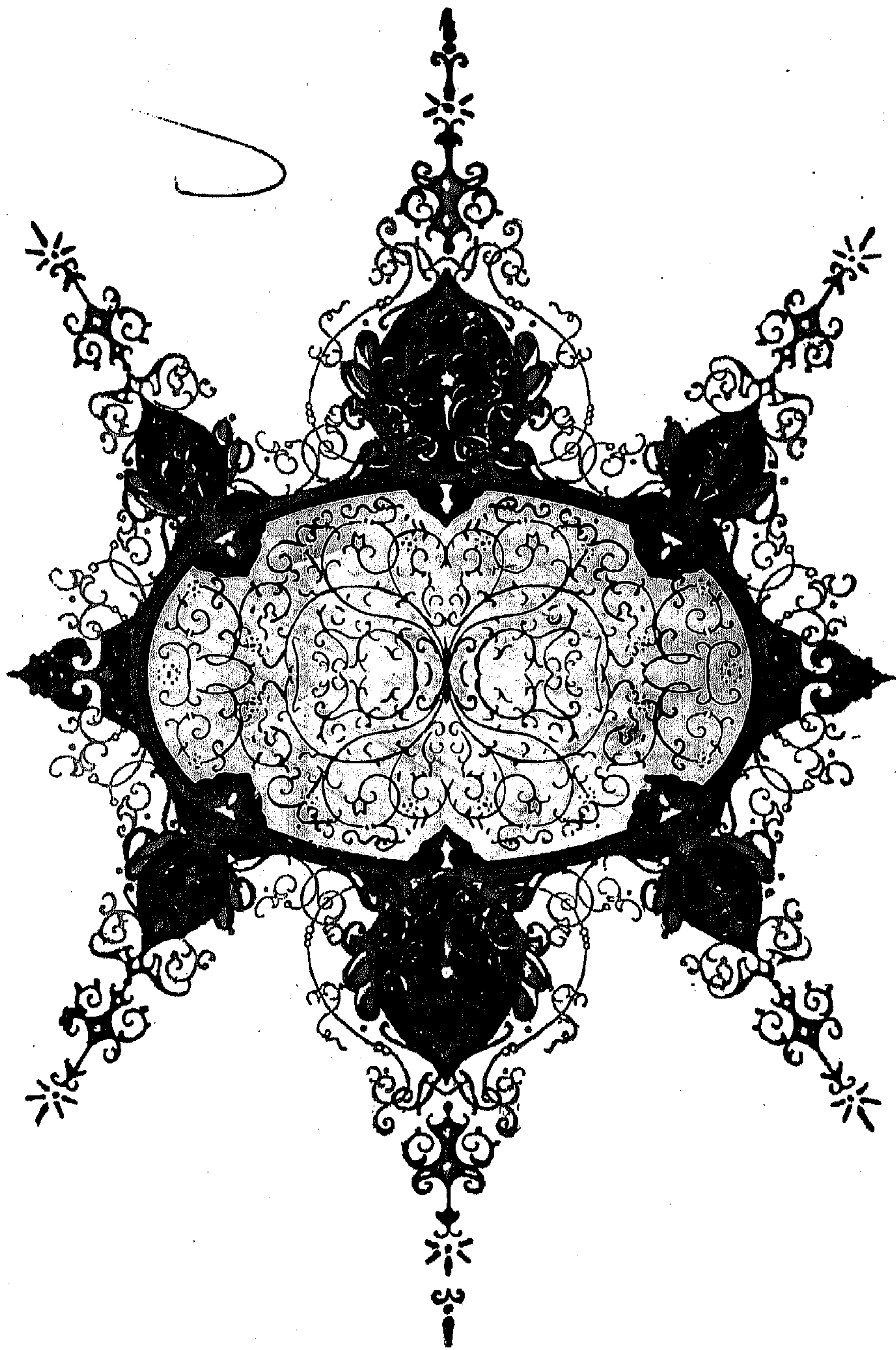


مجلة مجمع اللغة العربية



الجزء الثامن والأربعون
المجمد ١٤٠٢ هـ
نوفمبر ١٩٨١ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباطة الزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثامن والأربعون
المحمد ١٤٢ هـ - نوفمبر ١٩٨١ م

المشرف على المجلة:
الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير
إبراهيم التريزي

الفهرس

تصدير :

- صام نحن مع الفتنة باليوت
للدكتور عبد الله الطيب
ص ٤٩

للدكتور مهدي علام
الأمين العام للمجمع

- الجزائر
للاستاذ احمد بوفيق المدني
ص ٨٣

بحوث ومقالات :

- أصحاب اللسانين
للدكتور حسين عجيب المصري
ص ٩١

- حياتنا الفكرية في نصف القرن الأخير (٢)
للدكتور ابراهيم مذكور

ص ١٠

- دراسة ونحفيق لـديوان اشعار الامير
ابي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله
الخليفة العباسي

- المساهمون في احياء التراث
للدكتور احمد الخوفي

ص ١٧

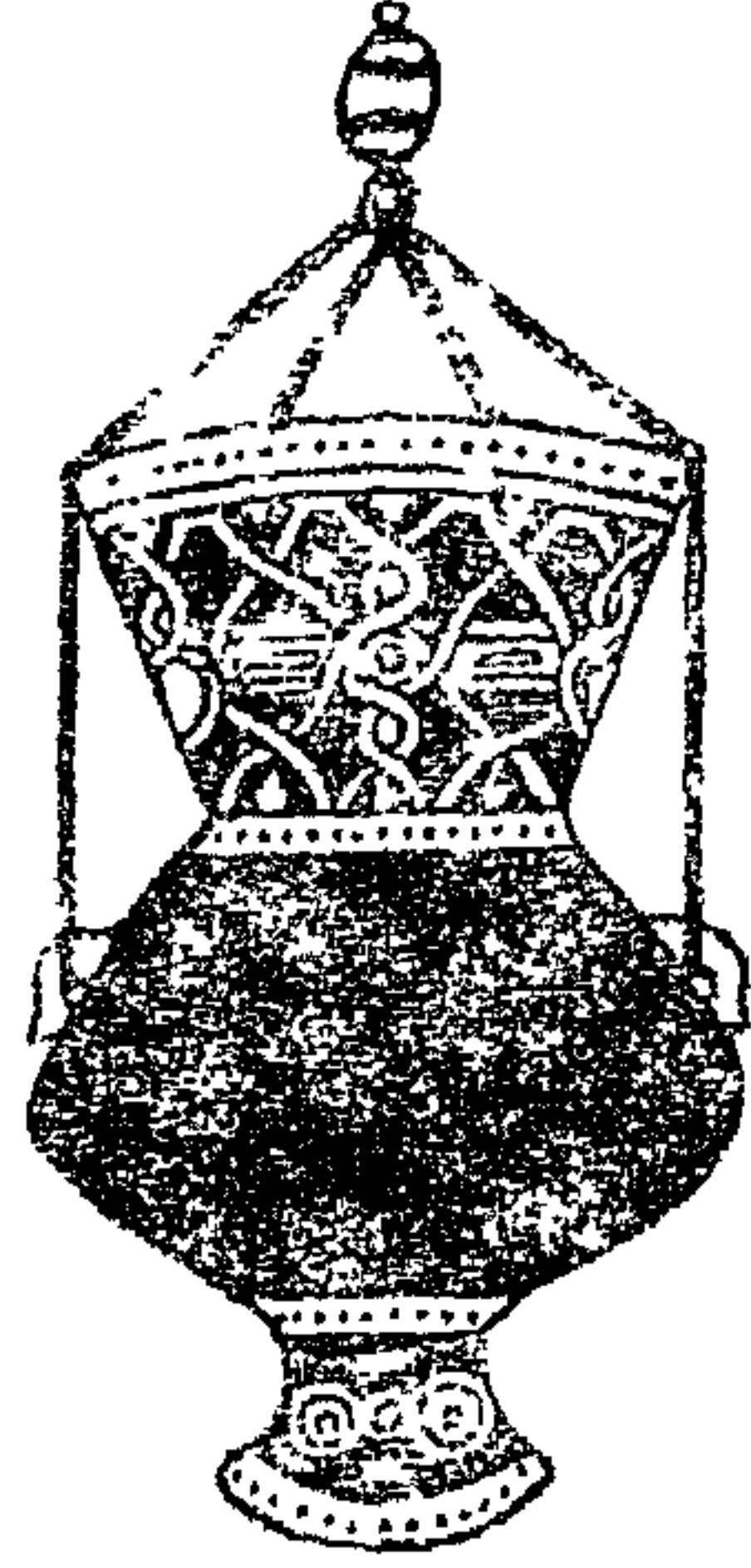
- للدكتور محمد بديع شريف
ص ١٠٤

- تراننا اللغوى في حاجة الى التهذيب
للدكتور رمضان عبد التواب

- من التراث الدرعى (حول الالف اللينة)
للاستاذ محمد شوقي أمين

ص ٢١

ص ١١٨



من التراث اللغوي :

● مع الأخفش الأوسط في كتابه معاني القرآن

للاستاذ سعيد الأفغاني

ص ٢١٢

تعريف ونقد :

● لسان العرب وكنز العربية في تحقيق وإخراج جديد

للاستاذ محمد عبد الفنى حسن

ص ٢٢٤

من أنباء المجمع :

ص ٢٣١

● الحركة الأخيرة في الكلمات العربية المفترضة في لغة الهوسا .

للدكتور مصطفى حجازى السيد

ص ١٣٢

● ظاهرة الاصلال والابدال في العربية بين القدماء والمحدثين (٢)

للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف

ص ١٥٣

● اعلال الواو والياء في اللغة العربية

للدكتور صلاح الدين صالح حسين

ص ١٨٠

● شعراء قوص في القرنين السادس والسابع الهجريين

للاستاذ محمد فتيدل البقلى

ص ٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

نصدير للككتور محمدى علام

من مكتبتى

أعود مرة أخرى إلى رفوف مكتبتى ، لألتقى بأحد أصدقائى بها ، فأحدث قرائى عنه ، كما فعلت فى عدد من المقدمات التى صدرت بها أجزاء مجلتنا الموقرة .

هذا الصديق هو كتاب « أو هام شعراء العرب فى المائى » تأليف المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا . وترجع صلتى بذخائر تيمور الأدبية إلى نحو نصف قرن ، وترجع علاقتى بهذا الكتاب إلى ثلث قرن . فى منتصف الثلاثينيات كنت أشتغل ببحث رجعت فيه إلى المخطوطات فى « الخزانة التيمورية » التى كانت تحتل قاعة خاصة بها فى دار الكتب المصرية ، بباب الخلق . ولم يهرنى يومئذ ما عثرت عليه هناك من المخطوطات النادرة المتصلة ببحثى ، قدر ما بهرنى من التعليقات التحقيقية التى وُشِّيت بها صفحات الكتب التى تملأ الخزانة التيمورية . إن عناية المرحوم أحمد تيمور باشا بجمع الذخائر العلمية كانت أمراً معروفاً لأهل الأدب والثقافة ، أما التعليقات والحواشى التى خطها هذا العالم بخطه الواضح الجميل على صفحات كتبه فلم يكن يعرفها ، ويعرف قيمتها ، إلا من اطلع عليها . وقد بهرنى منها أمران : غزارتها ودقتها . أما غزارتها فتبدو لكل مطلع عابر ، يقلب الكتب ويتصفحها . وأما دقتها فلا تتجلى إلا للباحث الذى يسعى وراء تحقيق مسألة من المسائل . فإذا حدث أن مثل هذا الباحث المتخصص رجع إلى أحد الكتب أو المخطوطات التى فى هذه الخزانة الميمونة ، ألقى أن ما خطته يد ذلك الشيخ الحليل ، لم تكن خواطر عابرة ، مما يجده المرء عادة على هوامش بعض الكتب ، بل كانت تحقيقات عامية يثرى بها العلم ويستنير بها الباحث .

وكانت إشارات يلاحق بعضها بعضاً ، ويكمل بعضها بعضاً . فمثلاً ؛ إذا علق فى موضع من كتاب على مسألة ، قال : وهذه المسألة تكملة أو معارضة فى صفحة كذا من الكتاب الفلانى ، ثم نجد فى ذلك الكتاب الآخر إشارة إلى ما فى الكتاب الأول ، وهكذا على تسق ما هو

متبع في أدق نظم المراجع والفهارس ، مما هو معروف باسم Cross - references أو ما يمكن تسميته بالإشارات المتقاطعة .

لقد كنت أتعقب تاريخ شاعر أندلسي عظيم ، نسيه الزمن ، ولم تنسبه له كتب الأدب إلا نادرا ، ولم يظفر بحظ في كتب التاريخ المتداولة ؛ حتى « دائرة المعارف الإسلامية » لم تسجد عليه ، ولا على مؤلف من مؤلفاته بكلمة واحدة . ولكنني وجدت في مخطوط من مخطوطات تيمور العظيم ، تعليقات تشير إلى بعض المراجع التي فيها شذرات عن ذلك الشاعر العظيم : « حازم القرطاجني » . (كتبت عنه بعد ذلك في « حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس » العددان الأول والثاني سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢)

ولكم تمنيت يومئذ أن يتيح الله من يدرس هذه التعليقات ليضم مؤلفها ، ويحصن مختلفها ، ليكون ذلك في متناول العلماء والباحثين .

ولم أكن أعلم أن تيمور العظيم كان قد قام هو نفسه بذلك ، أو ببعضه على الأقل ، مما تولت إخراجها فيما بعد « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » . وكان من حظي أن عهدت إلى هذه اللجنة في سنة ١٩٤٩ تحرير بعض هذه المؤلفات والتقديم لها .

وهذا هو الكتاب الذي أتحدث عنه اليوم ، بعد أن تحدثت عنه في ديسمبر ١٩٤٩ - جمع تيمور في هذا الكتاب « أو هام شعراء العرب في المعاني » : جمعها من لسان العرب . والمزهر ، والأغانى ، والخصائص ، والعقد الفريد ، ومحاضرات الأدباء ، والتنبيهات . والوساطة ، ومجالس أبي مسلم ، والموشح ، وسفر السعادة ، وخزانة الأدب ، وشروح الدواوين الشعرية المختلفة ، وغيرها من الكتب التي قرأها وعلق عليها .

ولم يكن تيمور العظيم في هذا الكتاب متعقبا لأخطاء الشعراء ، كما لم يكن ، في أى تعليق من تعليقاته ، متعقبا لأخطاء الكتاب والمؤلفين ، حبا في تسجيل خطأ المخطئين ، بل كان يريد تصويب الأمر بتسجيل الصواب ، ووضع الأمر في نصابه ، فهو ليس من العيابين الذين يتصيدون الهفوات ، أو يختلقونها ، بل كان من المصلحين . يتجلى ذلك في مناقشته لآراء النقاد الذين يخطئون الشعراء في معانيهم . فهو لا يفرح باكتشاف خطأ ليسجله شأن فقراء النفوس ، وفقراء العلم ؛ ولكنه كما يتعقب الشعراء ، يتعقب النقاد وينصف أولئك من هؤلاء . فعل ذلك في ثلاثة مواضع : حين أنصف أبا النجم من ابن قتيبة وأبي هلال العسكري (ص ١٦) ؛ وحين أنصف النابغة الذبياني من الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء

(ص ٢٤) ؛ وحين أنصف زهير بن أبي سلمى من موثني العقد الفريد ، والوساطة . والموشح :
وسر الفصاحة ، والموازنة ، والصناعتين ، وطبقات الشعراء ، فقد أهملوه بالخطأ حين وصف
الضفادع بأنها تخرج من الماء على جذوع الشجر «يَخْفَنُ العُصْمُ والغَرَقُ» لأنها إنما تخرج لتبيض
وتفرخ في الشطوط . واستشهد تيمور بقول من برأ زهيراً من الخطأ : إنه لم يُرد أنها تخاف
الغرق على الحقيقة ، وإنما أراد المبالغة في كثرة الماء (ص ٣٥) (١)

وبهذه المناسبة سألني أحد الطلاب يوماً ، وأنا أنكلم عن قول المتنبي في وصف حسّاده ؛
إذ يضرهم إنشاد قصائده كما تضرّ رياحُ الورْدِ بالْحُجْعَلِ (نوع من الخنافس) :

يَلْدِي الْغَبَاوَةَ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرُ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْحُجْعَلِ

أصبح أنّ الحعل يضرّ بها ريح الورْد ؟ فكان جوابي : أني لم أقم بتجربة أثبت منها
صحة ذلك ؛ وأغلب الظن أنها لا تضر بها ، وإنما تصوّر المتنبي أن الحعل تتأذى بريح الورْد
لأنها تعيش في بيئة قذرة ، ولعل ذلك من أوهام الشعراء . ولم أكن أدري يوم قلت ذلك أنه
سيصبح من حسن حظي أن أكتب مقدمة لكتاب في « أوهام الشعراء في المعاني » لعالم من
أعظم علمائنا . تغمده الله تعالى برحمته ☺

محمد مهدي علام

الأمين العام للمجمع والمشرّف على المجلة

(١) إني أعجب أني لم يخطر ببال هؤلاء الأفاضل أنّ ذلك قد يكون من قول « حسن التلّيل » .

بحوث ومقالات

حياتنا الفكرية في نصف القرن الأخير

(٢)

للكتور إبراهيم سكر

اللغة الوطنية :

ولغتنا نفسها كانت موضع أخذ ورد ،
فقليل : هل نفسح فيها المجال للفظ الأجنبي
والدخيل ، أو نقاطعه ونحرمه ؟ ودار حول
ذلك نقاش وجدل طويل ، ثم انتهينا إلى أنه
ليس ثمة غضاضة في أن نعرب كما عرب
الأقدمون ، وأن نضيف إلى ثروتنا اللغوية
الموروثة ثروة جديدة مكتسبة تسد حاجة
العلم والحضارة . وتساءلنا أيضاً أنقف عند
العامية أو نحل محلها الفصحى ؟ وكان لكل
من الجانبين أنصار وأعوان ، ولم يبق اليوم
شك في أن العربية هي اللغة الوطنية ، وفي
وسعها أن تحل محل العامية واللغات الأجنبية .
وسبق لسعد زغلول أن خطا في العقد الأول
من هذا القرن خطوة في سبيل تعريب التعليم
الابتدائي والثانوي ، ثم تابعنا السير وخطونا
خطى بعيدة ، فعُربت مرحلة التعليم العام
جميعه في الربع الثاني من هذا القرن ، فيما
عدا مدارس اللغات ، وقطيع شوط كبير
في تعريب التعليم العالي والجامعي . والعربية
التي ننادى بها تختلف عن عربية القرن الماضي

وأوائل هذا القرن ، فنحن نريد لها أن تكون
ملائمة لروح العصر . تمتعت الغرابة والتعقيد ،
وتتخلص من الصنعة والزخرف اللفظي ،
وتبدو سهلة سائغة . ويراد لها أيضاً أن تكون
يسيرة في تعليمها وتعلمها ، فيتخفف ما أمكن
في نحوها وصرفها ، ويسلك في كتابتها
ولملائها أيسر السبل ويراد بها في اختصار
أن تكون لغة الخاصة والعامية على السواء ،
لأننا أصبحنا لا نستسيغ الامتيازات الثقافية
والاجتماعية ، ولا نسلم بما كان يسمى :
« الأرستقراطية الفكرية » ، ورددت تلك
العبارة الشهيرة ، وهي « أن التعليم للإنسان
كالمساء والهواء » .

ويلحظ أن العامية عادت فشمخت بأنفها
بعض الشيء في ربع القرن الأخير ، وذلك
راجع في الغالب إلى قصور في التعليم ،
وضعف لدى بعض من يحترفون الكتابة :
وربما كان للغة السياسة دخل في هذا أيضاً ،
وقد قيل يوماً : « إن العامية أصبحت لغة
الدولة الرسمية » ، وبقدروا عزز سعد زغلول

الفصحى فى ثورة سنة ١٩١٩ . أصابها
ما أصابها فى ثورة عام ١٩٥٢ . ولكنى
على يقين من أن تلك أمور عارضة ، وأنه
لا معدل عن الفصحى بحال .

وتدور حياتنا الفكرية بوجه عام حول
أبواب ثلاثة رئيسية ، هى التحقيق والنشر ،
والترجمة والتعريب ، والبحث والتأليف ،
وسنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة .
ولن نعرض للجوانب السياسية والاجتماعية ،
لأنها تتطلب حديثاً خاصاً ، بل أحاديث .

(١) التحقيق والنشر :

اعتداداً بترائنا رغبنا فى إحيائه ، وقد
سبقنا إلى ذلك بعض المستشرقين فى القرن
الماضى ، ورسموا له مناهج علمية دقيقة .
وحاولنا أن نسهم معهم ، ونخطونا فى ذلك
خطوات فسيحة فى نصف القرن الأخير .
وبخاصة يوم أن سلمت جامعاتنا بأن تحقيق
النصوص يدخل عن جدارة فى الدراسات
الجامعية . وتراثنا نخب فسيح ، فيه علوم
دين ودنيا ، فيه تفسير وحديث وفقه . فيه
أدب ولغة ونحو وصرف ، فيه تاريخ ،
وقصص ، فيه كلام وفلسفة ، ورياضيات
وطبيعيات . وهو بلا شك من أغنى مخلفات
الحضارات القديمة والوسطى ، ولا أدل على
هذا من إحصاء قام به حاجى خايفة إبان
القرن السابع عشر ، وقدمه فى كتابه :
« كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون » .

ويشتمل هذا الكتاب الضخم على ٣٠٠ فن ،
وعلى عدة آلاف من المؤلفين ، وعلى نحو
خمسة عشر ألف كتاب ، وأيد هذا إحصاءات
وكشوف أخرى حديثة ومعاصرة . وأصبح
هذا التراث الوفير جانباً هاماً من جوانب
حياتنا الفكرية ، وله نسبة ملحوظة فيما تخرجه
المطبعة العربية كل عام . وبذلت فى سبيله
جهود مختلفة ، للكشف عنه وجمعه ،
أو تحقيقه ونشره . ودارت حوله دراسات
متصلة لشرحه والتعليق عليه ، واستطعنا فى
ضوئه أن نندارك نقصاً ، ونصحح خطأ ،
أو نوضح غامضاً فى تاريخ الفكر الإسلامى .
بدأنا فى إحيائه منذ آخريات القرن الماضى ،
وأخرجنا منه على عجل قدراً لم يؤخذ فيه
بمنهج التحقيق العلمى . وأجوده ما اضطلعت
به هيئات متخصصة أو كان ثمرة دراسات
جامعية للماجستير أو الدكتوراه . ومما يؤسف
له أن قدراً من هذا التحقيق الجامعى لم ير
النور بعد .

وللعلوم الإنسانية ، وبخاصة الأدب
واللغة ، نصيب ملحوظ فيما حقق ونشر .
وما أخرجنا أن نعى بالعلوم الطبيعية والرياضية
التي شغل بها الغرب قبلنا ، وكان لها شأن
فى تاريخ الفكر الإنسانى ، ومنها ما ترجم
قديماً إلى اللاتينية والعبرية ولم نقف بعد على
أصله العربى ، وفى وسع مجمعكم أن يسهم
فى هذا بنصيب .

(ب) الترجمة والتعريب :

الترجمة وسيلة هامة من وسائل ربط الثقافات بعضها ببعض ، وتبادل الآراء ، والأفكار وقد أخذ بها قديماً وحديثاً ، وهي اليوم أداة اتصال سريع ومباشر . وفي صدر الدولة العباسية قامت حركة ترجمة إلى العربية تعد من أنحصب الحركات الفكرية في التاريخ القديم والمتوسط ، كانت نخبة في موضوعاتها ، ففيها أدب وعلم وفلسفة ، ونخبة في أصولها ومراجعها ، فنقلت عن الهندية والفارسية ، كما نقلت عن السريانية واليونانية واللاتينية ، ونخبة أخيراً فيمن اضطلعوا بها ، فلم تفرق بين مسلم ومسيحي بل كان أغلبهم من المسيحيين ، ولا بين عربي وعجمي ، بل كان أغلبهم غير عربي . وآتت أكلها على أكمل وجه ، وكان لها أثر واضح في النهضة العلمية الإسلامية .

وفي التاريخ المعاصر صاحب نهضة محمد على التعليمية حركة ترجمة تزعمها رفاعة الطهطاوي ، واحتفظ لنا الزمن بقدر من ثمارها . ثم توقف السير أو كاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وكأنما شاء لطفى السيد في الربع الأول من القرن العشرين أن يوجه النظر مرة أخرى نحو الأصول اليونانية القديمة ، وكان معجباً بمولاه أرسطو . فترجم سلسلة من كتبه ، بدأها بكتاب الأخلاق ، وعول فيها على ترجمة بارتلمي سانتيلار الفرنسية . وبصرف النظر عما يؤخذ على صنيعه من مأخذ ، فإنه جاء مؤشراً

للاتجاه نحو الترجمة والعناية بها . وقد دُفِعت الدراسات الجامعية في الربع الثاني من هذا القرن نحو ترجمة متنوعة في الأدب والعلم والفلسفة ، نقلت عن الفرنسية والإيطالية ، أو عن الألمانية والإنجليزية ، وانصبَّ معظمها على دراسات حول آراء ومذاهب ، أو حول أشخاص ومدارس ، ووقف قسط ضئيل منها على النصوص : واضطلع بمعظمها متخصصون يفقهون ما يترجمون ، ويعرفون كيف يؤدونه بالعربية أداء حسناً إلا أن هذه جميعها إنما كانت ثمرة جهود فردية ومحدودة وكأن باحثينا يؤثرون التأليف على الترجمة ، ولست أدري إن كنا لا نزال نحرص اليوم على التمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل ، كما كنا نفعل بالأمس ؟ والتمكن من اللغات المنقول منها والمنقول إليها هو السلاح الأول للترجمة السليمة .

وعلى كل حال لا نزال في حاجة ماسة إلى حركة ترجمة أنشط وأوسع تضطلع بها هيئات تسهر عليها ، وتسهم فيها الدولة إسهاماً أكبر . وقد رسمت في ذلك خطط ، ووضعتم مشروعات لم تأخذ في جد سبيلها إلى التنفيذ . وهناك كتب أمهات تتبادلها اللغة الحية فيما بينها ، وما أجدرها أن تترجم وتزود بها المكتبة العربية . ولست في حاجة أن أشير إلى أن هناك بحوثاً تنقل من لغة حية إلى أخرى ولما يمحض على ظهورها بضعة أشهر .

وإذا كنت أدعو إلى تزويد المكتبة العربية
بثمار الفكر الإنساني في اللغات الحية ، فإنني
أمل أن يكون لنا إنتاج تتسابق هذه اللغات
إليه ، وتسعى إلى ترجمته ، أو نضطلع نحن
بالتأليف في هذه اللغات على نحو ما صنع بعض
مفكرينا ومبعوثينا .

(ج) البحث والتأليف :

لنا في نصف القرن الأخير بحوث ومؤلفات
متعددة ومتنوعة ، وفي كثير منها عمق ودقة ،
وابتكار وأصالة ، ويمكن أن يقارن بنظائره
في اللغات الحية . وتكاد تستوعب بحوثنا
أبواب الفكر الإنساني جميعها ، فشغلت
بالعلوم الإنسانية كما شغلت بالعلوم الرياضية
والطبيعية . والعلوم الدينية من تفسير وحديث
وفقه وأصول في قمة الدراسات الإنسانية ،
وقد اضطلع بها أساتذة أجلاء كشفوا عما فيها
من عمق وأصالة . وعُنى مؤرخونا بالحضارة
الإسلامية عناية كبيرة ، فوضحوا كثيراً
من جوانبها . وقام مؤرخون آخرون بحفريات
حول الحضارات القديمة من فرعونية ،
ورومانية ، أو بابلية وآشورية . وحاول مؤرخو
الفكر والفلسفة أن يعرفوا بمدارس إسلامية
غفل الناس عنها ، وأن يترجموا لرجال
بقوا مستورين في غياهب التاريخ . وقام بعض
علماء الاجتماع بدراسات عقلية هامة ، ومن
بين علماء النفس من اضطلع بحوث وتجارب
دقيقة .

ونحن اليوم إحساساً صادقاً بأننا نعيش
في عصر العلم والتكنولوجيا ، في عصر

الملاحظة والتجربة . وأعددنا لذلك عدته من
معامل ومراصد ، من محطات تجارب ومراكز
بحوث ، من معاهد ومؤسسات وأكاديميات
علمية ، وأنشئت جامعات مستقلة للتكنولوجيا
أو للبترول والمعادن ، واستكملت فروع
الدراسات الطبيعية والرياضية على اختلافها ،
من طب وفسيولوجيا ، وكيمياء وصيدلة ،
ونبات وحيوان ، وجيولوجيا وبترول ،
وطبيعة ورياضة ، وهندسة وميكانيكا ،
وكهرباء وإلكترونيات . وفي كل فرع
من هذه الفروع أساتذة متخصصون لهم
آراؤهم وأبحاثهم بالعربية أو الإنجليزية ،
ومنها ما نشر في بعض المجلات العلمية العالمية ،
أو ما كان محل تعليق وتنويه في المؤتمرات
الدولية . ومن بين هؤلاء الأساتذة أعلام
يُعَدُّون في مصاف الأطباء والعلماء العالميين
ويرأسون أقساماً متخصصة تخصصاً دقيقاً في
جامعات إنجلترا والولايات المتحدة . ولدينا
ما يزيد على أربعين جمعية علمية تتابع نشاطها
وتنظم لقاءاتها ، وتنشر أبحاثها ، وقد تكون
لبعضها صحيفة خاصة بها ، وعلى رأس هذه
الجمعيات الاتحاد العلمي المصري الذي يربطها
بالاتحادات العلمية العربية والعالمية . ومما يؤسف
له أن قدراً غير قليل من بحوثنا في ربع القرن
الأخير ينحو نحو الجمع والتلخيص ويتسم
بطابع السطحية ، ولا يعنى كثيراً بالأصالة
والتمحيق ، وكثيراً ما جنت عليه السرعة
والتعجل .

مسار الفكر الاسلامى :

لا سبيل لأن ندخل فى تفاصيل هذه البحوث والدراسات ، ويعيننا أن نوجه النظر إلى جانب واحد منها ينصب على الفكر الإسلامى ومساره . ولا شك فى أن هذا المسار قد تغير وتبدل على مر الزمن ، وكسته عصور الانحطاط والظلمة بجمود وعمق عشنا معهما زمناً طويلاً ، ففقدنا بصرنا وبصيرتنا ، وأهملنا عقولنا وتفكيرنا . وفى أخريات القرن الماضى وأوائل هذا القرن عدنا إلى أنفسنا ونعمنا بوعى جديد ينادى بفهم الإسلام على وجهه والعودة به إلى أصوله الأولى ، وصورته الحقة التى عرف بها فى عصور النهوض والازدهار . وسبق أن أشرنا إلى ما كان لمحمد عبده من شأن فى توجيه هذه الدعوة وحمل رايتها ، وقد حملها من بعده تلاميذ له وخلفاء فكشفوا بوضوح عن سماحة الإسلام ويسره ، واتساع آفاقه وقبوله للجديد النافع ، ودعوته إلى النظر والتأمل ، وإفساحه المجال للعقل ، وحثه على تحكيمه وحسن استخدامه . وفى ثقة هؤلاء الرواد والمصلحين بأنفسهم لم يخشوا مطلقاً طغيان الحضارة الغربية ، ولم يروا بأساً أن يأخذوا عنها ويفيدوا منها . وبالأمس البعيد قامت الحضارة الإسلامية الكبرى التى بزت الحضارات الأخرى وسمت عليها ، وتقبلت أفكاراً أجنبية كثيرة وفى وسعنا أن نستعيد مجدها ، وأن نطور ونجدد فى ضوء مثلها وقيمتها .

وفى الربع الثانى من هذا القرن تضافرت جهود صادقة على رسم هذه الصورة وتوضيحها وبيان حقيقتها ومعالمها الأصيلة : فبرهن أمثال مصطفى المراغى ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمود شلتوت ، على أن فى التشريع الإسلامى مرونة تمكنه من متابعة التطور والتجديد ، وتسمح له بمواجهة متطلبات كل عصر وحاجاته وتشريع الكتاب والسنة نفسه إنما ينصب أساساً على الأصول والمبادئ العامة ، وعلى الفقهاء والمشرعين أن يعالجوا كل جديد فى ضوء ظروفه ، على أن يضعوا المصلحة العامة موضع الاعتبار وقد أدوا فى الماضى رسالتهم على وجه سديد . وحتى الجرائم وقفت الشريعة الإسلامية فيها عند الأصول والقواعد التى تحدد مفهوم الجريمة والمخالفة ، تاركة للقاضى والحاكم تقدير العقوبة الملائمة . ولم تشر إلا إلى عقوبات ثلاث جرائم كبرى هى : القتل والزنا ، والسرقه ، فاتحه الباب لدرء الحدود بالشبهات وبهذه الروح صيغت فى الربع الثانى من هذا القرن قرانين الوقف والوصية والميراث وعنى فى الوقف خاصة بالوقف الخيرى ، وأخذ فى الميراث بالوصية الواجبة التى فتحت باب الإرث لأبناء الأبناء ، كي يحلوا محل آبائهم الذين ماتوا قبل المورث . وقننت حقوق الأسرة من زواج ونفقة ، وطلاق ووصاية ، وقيدت بقيود تلائم العصر وتحترم حقوق المجتمع ، ونخطونا أخيراً فى هذا السبيل خطوات فسيحة . وصيغ القانون

المدني جملة على أيدي عبد الرازق السهري
صياغة تلائم بين مبادئ المعاملات في
الإسلام ، وما أخذ به التشريع المدني المعاصر
في أرقى صورته وأحكمها . وأصل على الخفيف
التأمين في الإسلام ، ووجد لشهادات
الاستثمار سنداً في الفقه الإسلامي ولست في
حاجة أن أشير إلى أن القائلين باطراح قوانيننا
جميعاً ، والعودة إلى الفقه الإسلامي يغفلون
ماضيها القريب والبعيد .

واستكمالاً لهذه الصورة اتجه فريق آخر
نحو سيرة الأعلام في الإسلام ، وفي هذه
السيرة هداية وإرشاد ، ودحض لشبه باطلة ،
ورفض لقصص وروايات لا أساس لها ،
وتقديم نماذج حية لما كان عليه الإسلام في
ثوبه الصافي ومظهره الحقيقي . ويكفي أن أشير
في هذا إلى كتب ثلاثة ليكمل هي : « حياة
محمد » ، « وأبو بكر الصديق » ، « والفاوق
عمر » ، وإلى كتابين للعقاد : وهما : « عبقرية
محمد » ، و « عبقرية عمر » ، وإلى آخرين
لطه حسين ، وهما : « الفتنة الكبرى » ،
و « على هامش السيرة » . ونحنا أحمد أمين
نحو آخر ، فوقف نفسه في العشرين سنة
الأنخيرة من حياته على تاريخ الحياة العقلية
في الإسلام ، ووضع في ذلك على التوالي :
« فجر الإسلام » ، و « ضحى الإسلام » ،
« وظهر الإسلام » ، وفي هذا التوالي نفسه
ما يؤيد فكرة التطور والتبدل ، وتلك سنة
الحياة .

وتلتقي هذه المحاولات على اختلافها عند
هدف واحد ، هو عرض تعاليم الإسلام في
صورها الحقة ، وهي لا تتنافى بحال مع
النهوض والتقدم ، وتفسح المجال لحرية الفكر
ويسلم بما للعقل من سلطان :

خاتمة :

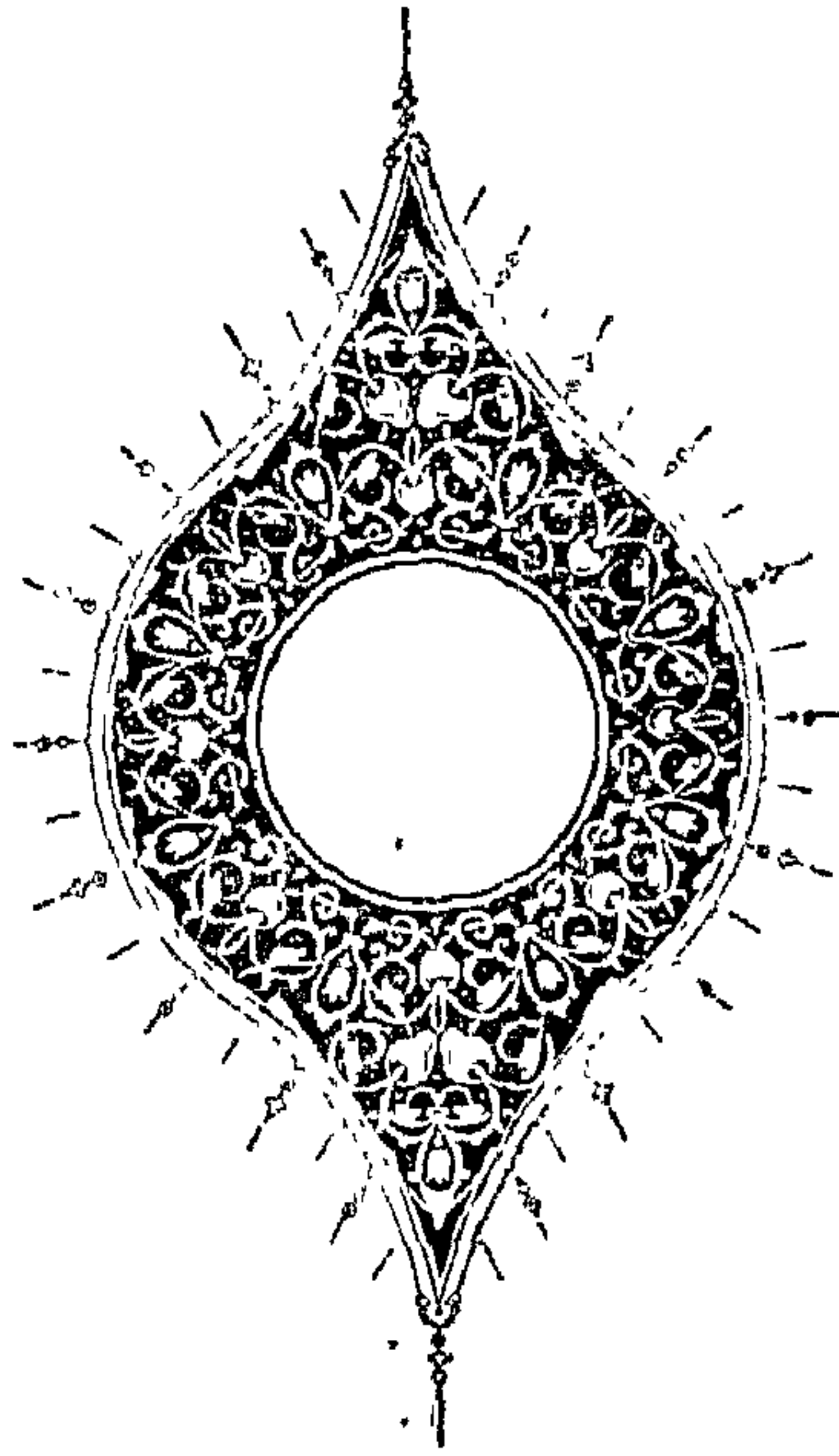
كل تلك جهود عشنا معها زمناً رغداً ،
وسعدنا فيها بالمواعمة بين القديم والحديث ،
ولم ترفض من ثمار الحضارة الغربية إلا ما يتنافى
مع أصولنا ومبادئنا ، وسرنا فعلاً إلى الأمام
في ثقة وطمأنينة ، وقطعنا شوطاً لا بأس به .
ولكننا مع الأسف الشديد بلينا في الخمسينيات
والستينيات بنكسة تدهم ولا تبنى . وتناكر
لكثر مما بنينا في النصف الأول من هذا
القرن . تندد بما سمته الغزو الأوربي وتحاول
ما استطاعت أن تضيق النافذة المفتوحة على
الغرب . وتصور الإسلام بصورة قائمة ،
وتنادي بالرجوع إلى ما ليس من الدين في
شيء ، ولا يتلاءم مطلقاً مع سنن النشوء
والارتقاء . ويمكن الكبت والفهر لمثل
هذه الاتجاهات أن تثبت في منبت السوء ،
وأن تعيش وتحيا تحت كنف الجمعيات السرية
والخلايا الخفية ، وأن يتعصب لها عملاء
أو جهلاء ، واختلط الفكر والدين بالسياسة ،
فضلاً معها الطريق . ولا يخلو هذا الضلال
والزيف من تيارات خفية ومؤثرات خارجية ،
هدفها الأول الهدم والتخريب برغم ما تزعمه
من رغبة أكيدة في البناء والتشييد . ولا سبيل

لحياة حقة ، فكرية كانت أو عملية ، إلا في
وضوح النهار .
ولنحارب التستر وبث السموم في الظلام ،
« ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره
المجرمون » .

فلنعده لأنفسنا ، ولنستفد من تجاربنا
القريبة ، ولنثبت أقدام الحرية ما استطعنا ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم مذكور
رئيس المجمع



المساهرون في إحياء التراث

للككتور احمد الحوفي

أشار

المقال السابق بطائفتين من العلماء الذين بذلوا

وأريد أن أنبه على أن بعضهم كانوا من العلماء والأدباء الكبار ، وكان آخرون من ذوى الوظائف العالية في الدولة ، حتى إنهم تولوا القضاء والوزارة .

جهوداً عظيمة محموددة في الحرص على تراثنا وإحيائه هما طائفة العلماء والأدباء الذين كانوا يسهرون الليالي ، ويضطربون لصيرير أقلامهم كما يضطرب الموسيقار لألحانه وأنغامه ، وطائفة الأثرياء أرباب المكتبات العامة والخاصة ، الذين كنزوا في مكتباتهم عشرات الألوف من المخطوطات . التي وصابتنا بماضيها العريق ، وأروتنا بنميره العذب .

فمثلاً كان في مكتبة المأمون كثير من النساخ ، وكثير من التراجمة ، على رأسهم ثابت بن قرة وحنين بن إسحاق . أذكر من أولئك النساخ على سبيل التمثيل :

وأما الطائفة الثالثة فهم النساخ الذين سكبوا نور عيونهم على الأوراق ، فحفظوا هذه المخطوطات من الضياع والفناء ، إذ نهضوا بأعباء النسخ ، وبلغوا درجة عالية في تجويد الخط وزخرفته ودقة النقل وأمانته ، سواء أكانوا ينسخون المخطوط من الأصل الذي كتبه المؤلف نفسه ، أم من نسخ آخر منقولة منه ، ولم يكن تكرير العمل ومشقته لتعدل بهم عن تجويد الخط ومراعاة أصول الضبط .

١- أبو علي محمد بن علي المعروف بابن مقلة (٣١٦ هـ) كان جيد الخط ، يضرب بخطه المثل ، لا ينازعه في ذلك منازع .

وكان عند سيف الدولة ابن حمدان خمسة آلاف ورقة بخط أبي علي ، لأنه كان منقطعاً إلى بني حمدان سنوات كثيرة ، يقومون بأمره أحسن القيام ، وقد تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣١٦ هـ .

٢- أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة سنة (٣٣٨ هـ) ، كان أكتب من أخيه الوزير أبي علي ، وقد ولاه أخوه ديوان

الضياع الخاصة وديوان الضياع المستحدثة
و ديوان الدار الصغيرة ، وكان أبوهما الملقب
بابن مقالة كاتباً مليح الخط .

٣- أبو سعيد السيرافي النحوي الحسن
ابن عبد الله المرزباني (٣٦٨ هـ) كان عالماً
كبيراً تولى القضاء ببغداد ، وكان زاهداً لم
يأخذ على القضاء أجراً ، أفق في مسجد
الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ،
فما وجد له خطأ ، وقد وصفه أبو حيان
التوحيدى في كتابه (محاضرات الأدباء)
بأنه شيخ الدهر ، وقريع العصر ، العديم
المثل ، المفقود الشكل .

كان أبو سعيد يعتمد في نفقاته على أجر
النسخ ، وكان لا يخرج من بيته إلى
مجلس القضاء ولا إلى مجلس التدريس حتى
ينسخ عشر ورقات ، يأخذ أجرها عشرة
دراهم ، تقوم بمؤنته ، ثم يخرج إلى مجلسه .
وله مؤلفات كثيرة ، منها شرح كتاب
سيبويه ، وكتاب أخبار النحويين ، وكتاب
شرح مقصورة ابن دريد .

٤- علي بن محمد بن عبيد بن الزبير
الأسدي (٣٤٨ هـ) ، صاحب الخط المعروف
بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل ،
كان من أجل أصحاب العلامة ثعلب ، ومن
جماعي الكتب ومحبيها ، وله تأليف كثيرة .

٥- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني
سنة (٣٨٤ هـ) كان إماماً في العربية والأدب
وله مؤلفات كثيرة .

٦- ابن البواب (علي بن هلال)
سنة (٤١٠ هـ) صاحب الخط المليح والأدب
الفائق ، كان ناثراً شاعراً وقيماً على خزانة
كتب بهاء الدين بن عضد الدولة بشيراز ،

٧- أبو حيان التوحيدى (٤١٤ هـ)
كان يحترف بالوراقة ، ولما اتصل بالصاحب
ابن عباد قال له الصاحب : الزم دارنا ،
وانسخ هذا الكتاب ، فقال أبو حيان :
أنا سامع مطيع .

ثم شكوا لبعض الناس أنه جاء من العراق
إلى الصاحب ليتخلص من حرفة الشوئم ، فإن
الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة . فنقل هذا
الكلام إلى الصاحب كاه أو بعضه أو على
غير وجهه ، فازداد تنكراً لأبي حيان .

وحدث أبو حيان فقال فيما بعد : قدّم إلى
نجاح الخادم وكان ناظراً على خزانة كتب
الصاحب ثلاثين مجلدة من رسائل الصاحب ،
وقال : يقول لك مولانا : انسخ هذا ،
فإنه طلب منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياد
(تدبر وإمعان) : هذا طويل :

٨- موهوب بن أحمد بن الحسن الجواليقي
سنة (٥٣٩ هـ) ، إمام اللغة والأدب ، مليح
الخط ، تنافس الناس في الحصول على خطه ،
وتغالوا به .

٩- كمال الدين علي بن حمزة البغدادي
سنة (٥٥٦ هـ) ، صاحب الخط المليح غاية
الملاحظة على طريقة علي بن هلال بن البواب ،

وبخاصة علم المصاحف ، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر :

كان من الأعيان الأمثال ، ولاء الخليفة العباسي المسترشد الحجابة ، ووكاه وكالة مطلقة ، ثم ولاء الخليفة المقتضى لأمر الله صدرية المخزن

وأما الطائفة الرابعة فهم المحققون الذين نهضوا بنشر هذا التراث بعد ظهور المطابع . فصححوا نسخه ، وقابلوا بعضها ببعض . وأكملوا ما نقص . وشرحوا ما غمض ، وعقبوا بما ينبغي أن يعقبوا به ، وفهرسوا الكتب فهارس متعددة تيسر البحث والاطلاع وعرفوا بالمؤلفين ومناهجهم .

أذكر من هؤلاء على سبيل المثال هيئات في مصر وفي العالم العربي ، كالجامعة العربية والمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون ، والجامعات ، والمعاهد العايسا ، ومجمع اللغة العربية ، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

ولا ننسى الأفراد الذين بذلوا جهوداً حميدة مشكورة في إحياء التراث وتحقيقه ونشره ، وفي مقدمتهم أحمد تيمور باشا (ت سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م) فقد احتوت مكتبته على اثني عشر ألف كتاب ومخطوط .

وأحمد زكي باشا شيخ العروبة (ت سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م) فقد جمع أكثر من ستة آلاف مخطوط .

والأب أنستاس مسارى الكرملى (ت سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م) وغيرهم ؛

هذا التراث الذى نعى به يوحى إلينا بأثاره العظيمة فى نهضة أوروبا ، لأنه هو الأساس الذى قام عليه المذهب العلمى التجريبي ، ولأنه أحد الأصول التى دعمت عليها أوروبا نهضتها العلمية .

فقد سرت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا فى عدة غدران ، منها أسبانيا وصقلية وإيطاليا ، ومنها الحروب الصليبية ، وذلك أنه منذ سنة (٥٥٥ هـ - ١١٣٠ م) بدأ مكتب للتراجمة فى طليطلة ينقل - برعاية رئيس الأساقفة ريمون - أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، فنجح نجاحاً باهراً ، وحسبنا أن نشير إلى أن علم الضوء مدين لكتاب (المناظر) للعلامة ابن الهيثم :

كما أن أصول الرياضيات مدينة للعلامة الخوارزمي ، وإليه ينسب علم الجبر :

وكما أن أصول الهيئة والنجوم والفلك ترجع إلى كتاب (القانون) للمسعودي :

كذلك كان لمكتب ابن سينا فى الطب أثرها العظيم إلى أواخر القرن الثامن عشر . ولقد قضت أوروبا ثلاثة قرون من القرن الثانى عشر إلى القرن الرابع عشر وهى تترجم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، ولم تقتصر

على مؤلفات ابن سينا وابن رشد والرازي ونظرائهم ، بل إنها ترجمت عن العربية كتب اليونان التي كان العرب قد ترجموها ، مثل كتب جالينوس وبقرات وأفلاطون ، وأرسطو وإقليدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب إلى اللغة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب .

ولم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر عالم لم يستنسخ كتب العرب ولم ينتفع بها ، مثل روجر بيكون وألبرت الكبير وسان توما وغيرهم . قال مسيوريان : إن ألبرت الكبير مدين لابن سينا . وإن سان توما مدين لابن رشد .

وقد ظلت ترجمات الكتب العربية ولا سيما الكتب العلمية هي المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أوستة .

وبفضل هذه الترجمات عرف الغرب كتب اليونان التي ضاع أكثرها ، مثل : كتاب جالينوس في الأمراض السارية ، وكتاب أرسطو في الحجارة ، وكتاب أبولونيوس في المخروطات ، كما ذكر الدكتور لوكلير في كتابه (تاريخ الطب العربي) .

وقد عتّب جوستاف لوبون على هذا بقوله : « إذا كانت هناك أمة تقرأ بأنفسها مديون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة ، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة . قال مسيولييري : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون » .

فإذا ما رجعنا إلى ورق الكتابة حدثنا التاريخ بأن العرب عرفوه من الصين في القرن الثاني للهجرة ، لكنهم لم يابثوا أن أنشأوا المصانع لإنتاجه منذ القرن الثالث في مصر والأندلس والمغرب ، وبلغت صناعة الورق على أيديهم درجة عالية من الجودة ، سواء أكان أبيض ناصعاً أم ملوناً ، وعن العرب نقلت أوروبا هذه الصناعة في القرن السادس للهجرة ، إذ كانت حضارتهم تعمر الأندلس وإيطاليا وجنوبي فرنسا .

أما بعد ، فقد آن للذين يتساءلون عن بواعث حفاوتنا بتراثنا العربي أن يعلموا قيمته وآثاره وأسباب عنايتنا به وحرصنا على إحيائه .

أحمد الحوفي
مضو المجمع



عن التراف الدرعى :

حول الألف اللينة

د. سنان محمد شوقي أمين

وأما أن ذلك يعد من التراث ، فلأنه قد مرّ على إذاعته خمس وسبعون من السنين — وأنه منذ أذيع في نشرة دورية طوتها الأيام ، لم يعد له — فيما أعلم — بين الباحثين ذكر ، إلا ما كان من إشارة منى إليه في مذكرة قدمتها إلى «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة منذ خمس عشرة سنة .

٢ — ولقد كان أول عهدي بهذا التراث الدرعى في حديثلى مع الشيخ «حسين والى» وهو ذو باع وسيع في الدراسات الإملائية خاصة ، سألته في شأن «الألف اللينة» ومصاعبها ، وكان ذلك في أول دورة «لمجمع اللغة العربية» سنة ١٩٣٤ فأنخبرنى بأن زميله في التدريس بمدرسة القضاء الشرعى المرحوم الشيخ «المهدى زيكو» له فيها رأى أولع به ، ودعا إليه ، وهو أن تكتب ألفاً في كل حال . ولم أدر سر كلمة «زيكو» اللاحقة لاسم الرجل إلا حين علمت من بعد أن جده اسمه «زكيرأغا» فلعل «زيكو» مبدول

١ — هذا طرّف من تراث درعى : . . . وأقول : «درعى» محاكياً النسبة إلى النحت من «دار العلوم» التى تعد مع «الأزهر» أقدم معاهد العربية في «مصر» . وصاحب هذا التراث هو «محمد المهدي» أحد أقطاب العلماء الأزاهرة الدراعمة المخضرمين ، أعنى الذين عاشوا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

وإنما آثرت تسمية هذا التراث «درعياً» لأنه محاضرة ألقى في «نادى دار العلوم» ، وشهد بها أساتذة العربية من أعضاء النادى ورواده ، وأسفرت المحاضرة عن إجراء اتخذها النادى بعد أن أمضى جلستين في دراسة وتمحيص للوضوع ، وهو علاج مشكلة «الألف اللينة» ، وكان هذا الإجراء توجييه تقرير إلى من له ولاية الأمر في التعليم المدرسى يطالب باتباع الطريقة التى بنى عليها المحاضر بحثه ، وهى كتابة الألف اللينة ألفاً على الإطلاق :

عن « زكير » للتمايح والتعقيب على نحو ما
نفعل في بعض الأسماء .

وبعد ذلك بأكثر من ربع قرن ،
والجمع يتابع دراساته لموضوع الإملاء ،
ذكرت للشيخ « أمين الخولي » حديثي
مع الشيخ « حسين والي » ، فأفادني
بأن « محمد المهدي » كان من أساتذته في
مدرسة القضاء الشرعي . وأن له محاضرة
بجامعة في موضوع الألف اللينة كان
لها صداها وقت إلقائها ، في نادي
دار العلوم ، وأن معظم أعضاء النادي
أقروه على رأيه في كتابتها ألفا ، وكتبوا إلى
وزير المعارف بما استقر عليه الرأي . وبعد
أسبوع تفضل الشيخ « أمين الخولي »
فأهدى إلى نسخة العدد الثاني من صحيفة
« نادي دار العلوم » الصادر في غرة ربيع
الثاني سنة ١٣٢٧ هـ - ٢١ إبريل سنة ١٩٠٩ م
وقد خصصت صفحاته إلا قليلا للخطبة
التي ألقاها الأستاذ « محمد المهدي »
المدرس بمدرسة القضاء الشرعي على أعضاء
نادي دار العلوم يوم الخميس ١١ مارس
سنة ١٩٠٩ في الإملاء وتاريخه وتذليل
أكبر صعوبة فيه . ولتقرير مرفوع إلى صاحب
السعادة « ناظر المعارف العمومية » لطاب
الترخيص للمعلمين أن يتبعوا في التعليم
طريقة كتابة الألف ألفا في جميع أحوالها .

ولقد ظلت هذه النسخة عندي ، حتى
بدالي اليوم أن أنشر ماحوت من الخطبة
والتقرير بنصهما ، على رأس سبع عشرات

وخمس من السنين ترادفت على النشر الأول ،
إحياء لذلك التراث العلمي الدرعي .

والباحث لي على هذا الإحياء أمور :
أولها : أن مشكلة الألف اللينة مازالت
قائمة ، لم ينته الرأي فيها إلى علاج ، ومن الخير
أن يبعث فيها ذلك الصوت القديم ، من جديد !
الثاني : أن المحاضرة دراسة علمية وثيقة
وأنها هي وتقرير أعضاء النادي ، ياقين
ضوءا على الحركة العلمية والاتجاه التقدمي
إلى الإصلاح والتقويم ، في ذلك العهد
المبكر الذي كان يعرف بأنه عهد المحافظة
والسافية والتقليد .

الثالث : أن هذا البحث للشيخ « محمد
المهدي » لم يذكره الذين ترجموا له ، وفي
مقدمتهم صاحب « تقويم دار العلوم » ،
وصاحب موسوعة « الأعلام » وما أجدره
بالذكر :

٣ - ومجمل تاريخ الشيخ « محمد المهدي »
أنه عاش فيما بين سنة ١٨٦٨ م و ١٩٢٤ م :
وأن جده لأبيه « زكراغا أرناؤوط » من قبيلة
زوغو الألبانية ، وأن أمه كردية ، وأنه
تعلم في الأزهر ودار العلوم ، وتلمذ
للشيخ « محمد عبده » ، وناصر « مصطفى
كامل » في دعوته الوطنية ، وقد قام بتدريس
العربية والأدب والفقه والتاريخ الإسلامي في
مدرسة القضاء الشرعي وفي الجامعة الأهلية ،
وله سفرة إلى أوربة ، وكان كاتبها مجيدا ،
وكان لا يعدل بالفصحى في حديثه بديلا ،

وكان حسن الهندام ، حتى إن أصحابه كانوا يلقبونه في زيه العربي : ملك العرب :

وهو في بحثه الذي نعيد نشره اليوم، يعرض مشكلة الكتابة العربية ، وبخاصة الألف اللينة ، ويبين أن اتباع مايفرض من قواعد كتابتها لا يتسنى إلا للمنتهين في العلم ، وقد عني بأن يبسط الشبهات التي تعرض للمعارضين في كتابتها بالألف ، ويفيض في تفنيدها واحدة واحدة ومن الطريف في بحثه قوله : « لا أدري لم لا يقولون لتلاميذهم تعلموا كل شيء في اللغة قبل أن تتعلموا كتابتها » . ولم يفته أن يشي في بحثه إلى مشكلة إهمزة أيضا، فقال : إنه أعد العدة لبقية نواحي الإصلاح للإملاء ، ولكنه أثر أن أن يتربص بها حتى يعلم مايصير إليه الرأي فيما ينادى به ، علاجا لمشكلة الألف اللينة .

٤ - والحق أن كتابة الألف اللينة بحسب الضوابط التي يسوقها علماء الإملاء باللغة الصعوبة فهي تختلف في أحكام كتابتها ألفا أو ياء بين وقوعها متطرفة أو متوسطة ، سواء أكان توسطها أصايا أم عارضا ، والخطب كل الخطب في المتطرفة ، فهي على تعدد وجوهها تقتضى تفصيلا وتفرقة بين الاسم والفعل والحرف ، وبين الأعجمي وغير الأعجمي ، وبين المعرب والمبنى ، وبين المنقلب عن واو وعن ياء ، وبين ما هو واوى يائى معا ، وبين كون الألف ثالثة أو ما فوقها ، وبين ما قبله ياء وما ليس كذلك ، وبين كون عين

الفعل مهموزة وغير مهموزة . على أن الضوابط بعد هذا كله تجر وراءها قافلة من المحترزات والمستثنيات ، وهي فوق ذلك كله ليست بين أعلام الإملاء محل اتفاق باطلاق !

ولبعض القدامى من النحاة رأى في كتابة الألف اللينة ألفا ، حملا للخط على اللفظ فقد اختار هذا الرأي « أبو على الفارسي » ، و« الزجاج » ولبعض النحاة رأى في تجويز كتابتها ألفا أو ياء ، مع تفضيل كتابتها بالياء ، وقد ذكر ذلك « أبو حيان » .

٥ - أما في عصرنا الحديث ، فكان الشعور بمشكلة الألف اللينة عميقا ، ومن ثم اهتمت بها الهيئات والمعاهد والجامع في البلاد العربية . وفي « مجمع اللغة العربية » بالقاهرة عنت بها لجنة الإملاء ولجنة الأصول ، في دورات شتى ، وأصدرت كلتاهما في شأنها قرارات متعاقبة . وما أكثر ما تعددت آراء الباحثين هيئات وأفراداً في شأن هذه الألف اللينة هناك قائل بكتابتها ألفا مطلقا دون استثناء ، أو باستثناء الحروف ، أو باستثناء ما يلتبس من الكلم ، وهناك قائل بكتابتها ياء مطلقا ، أو باستثناء طائفة من الألفاظ ، وثمة قول بكتابة الأسماء بالياء ، وكذلك الأفعال إلا أفعالا بأعيانها تحفظ وثمة أيضا قول بأن الثلاثي يكتب بالألف ، وغيره يكتب بالياء .

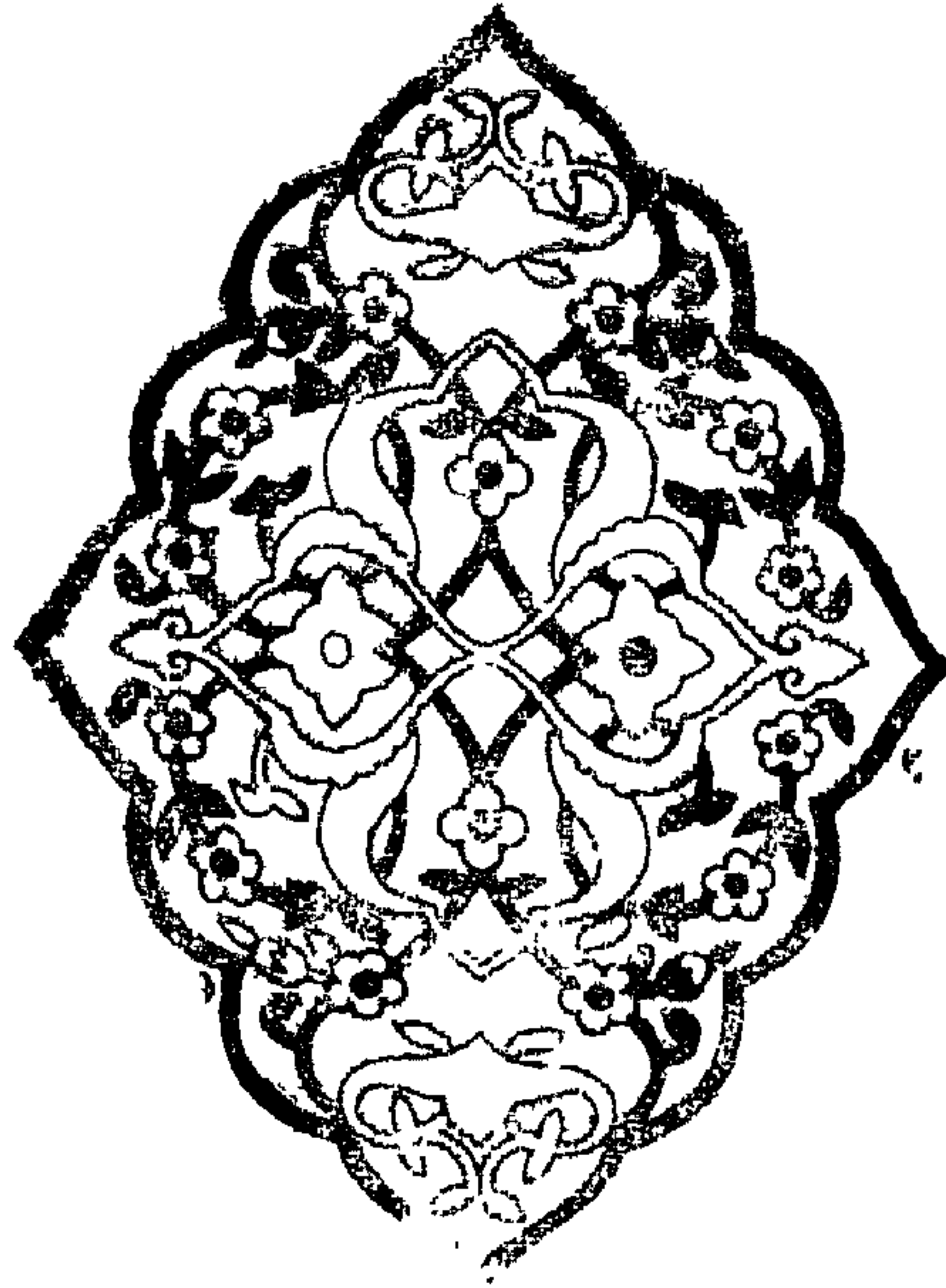
جاسسة المؤتمر الختامية في الدورة الخامسة
والثلاثين ، قائلا :

« إنا نرجو أن نفصل في موضوع
الألف اللينة ، تيسيراً لها ماوسعنا التيسير ،
وتعليمنا اليوم بأعبائه الثقال أصبح لايسمح
أن يقف الناس طويلاً عند كتابة الحروف
ورسمها » (١) .

محمد شوقي أمين
عضو المجمع

٦ - من هذا التباين في الآراء - قديماً
وحديثاً - حول « الألف اللينة » يتبين أنها لم
تكن - ولو بعض اللين - حتى اليوم
للباحثين ، ولم ياتقوا فيها على رأى جميع ،
وما أحققها بأن تسمى الألف الصعبة ،
لا الألف اللينة .

ولعل ذلك مادعا الدكتور « إبراهيم
مذكور » رئيس مجمع اللغة العربية منذ عشر
سنين ، إلى أن يخاطب أعضاء المجمع في



(١) أصدر المجمع فيما بعد قراراً في تيسير كتابة الألف اللينة . يرجع إليه من يشاء استكمال البحث .

صحيفة نادى دارالعلوم

﴿ مصر في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ - ٢١ ابريل سنة ١٩٠٩ ﴾

الخطبة التي ألقاها الاستاذ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي على
أعضاء نادى دارالعلوم يوم الخميس ١١ مارس سنة ١٩٠٩ في الموضوع الآتي

﴿ الاملاء وتاريخه وتذليل أكبر صعوبة فيه ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم هي لنا من أمرنا رشداً

سادتي

طال الامد على وقوف امتنا وسير المدنية فينا سيراً حثيثاً حتى اتسعت مسافة الخلف بينهما
وضج بالشكاة من اعواز اللغة وصعوبة قواعدها الكاتب المجيد والعالم النحرير والشاعر
الفحل والخطيب المفوه والمعلم الماهر والمترجم المتفنن كلهم متألم لذلك ولأن سلفهم كانوا
افراداً متقاطعين بعيدين عن روح الجامعة العلمية الاصلاحية ولا يكادون يجتمعون حتى
يفترقوا وهذا تاريخ فن الاملاء اصدق شاهد على ما أقول وعلى أن الايدي العاملة فيه أيدي

افراد لا ایدی جماعات •

ذلك ان الخط العربي من عهد عاد الاولى كان حروفا منفصلا بعضها عن بعض ولم تكن الحروف على هذا الترتيب ولا بهذه الاشكال وكان تعلم الكتابة محظورا على الناس الا باذن من أهلها فلما نقله الى آل المنذر نساء التبابعة مرامر بن مرة وعامر بن جذرة وأسلم بن سدره تصرف فيه الاول واقتطع منه خطا سماه خط الجزم ووصل بعضه ببعض وتبعه في ذلك من بعده . والدليل على أن الاول من هؤلاء الثلاثة هو واضع خط الجزم ما رواه ابن خلكان أنه قيل لابي سفيان بن حرب ممن أخذ ابوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدره وقال سألت أسلم ممن أخذت هذه الكتابة فقال من واضعها (١) مرامر بن مرة فكان مرامر فيما نقل اليها اول مختزل في اشكال الحروف العربية ثم نقل هذه الكتابة حرب بن أمية القرشي الى أهل الحجاز ومن جاورهم من الأميين وقد كانت على حالتها البدوية خالية من النقط والشكل والشذات والمدات وكثير من الألفات خصوصا منها المتوسطات وقد كتب القرآن المكريم بها على هذه الصورة ولم يكن للعرب كتب اذ ذاك غير القرآن وهو محفوظ في الصدور متاقى بالسند الشفوي المتصل المتواتر فلم يسالوا باللبس في رسم المصحف ولم يعنوا باصلاح الخط لمكانة السليقة فيهم من جهة والبداءة من جهة أخرى فلما كثرت الأموال والمولدون أخذ أفراد من العلماء في عصور مختلفة يزيلون اللبس بالتدريج اشفاقا على الناس ومحافظة على كتاب الله من تحريف غير القراء فان كلمة عبد مثلا كانت مرسومة هكذا (عبد) ولا تكاد تجد فرقا بينها وبين عَبد وعُبد وعَبْد وعَبَد وعِنَاد وعِنَاد وعِيد وعِيد وعَتَاد الى غير ذلك وكثير من أمثال هذه الكلمة فوضع ابو الاسود علامات الأعراب آخر كلمات المصحف في خلافة معاوية وهو يعلم اولاد زياد بن أبيه أخى معاوية بالبصرة فلما انتشر اللحن بالعراق في خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج طلب

(١) هذا رأي مؤرخي العرب ويرى علماء الآثار الآن ان تاريخ الخط العربي المتصل

• الحروف أقدم من هذا التاريخ

الحجاج من كتابه ان ينقطوا ازواجاً وافراداً ويكملوا ما وضعه ابراهيم الاسود فقام بذلك نصر
ابن عاصم وجري على طريقة تخالف طريقة ابي الاسود ثم جاء الخليل بن احمد فتم ما نقص
من اصلاح نصر بن عاصم وحسن ما وجدته منه واخترع الشدة والصلة والقطعة وعلامة
الامالة وبقى الناس يكتبون بخط الجزم وهو الذي سموه الخط الكوفي الى ما بعد الهجرة
بنحو ثلاثة قرون حتى جاء الوزير ابن مقله وزير المقتدر بالله من خلفاء بني العباس فحول
صورته الكوفية الى الصورة الحاضرة هذا ولقلة الكتابة في صدر الاسلام وانتشار الامية
وكثرة اللبس في الخط العربي بقيت دواوين العرب باللغات الاجنبية الى سنة ٨٧٠ فقد
كان ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وديوان مصر بالقبطية (١) فعلوا ذلك
للضرورة ولكنهم ما لبثوا ان كشفوا تلك الازمة الكتابية بالخروج عن خط المصحف
الى خط اصطلاحى اشتغل به كثير من علماء البصرة والكوفة فدوّنوا له القواعد على
مقتضى الأقيسة الصرفية وأمن اللبس وان الرسم تصوير للفظ فزادوا فيه ونقصوا ووصلوا
وقطعوا وقد كان ذلك على حسب سماعهم من العرب ولما كان السماع مختلفا كان الاستنباط
كذلك فلم يمحض غير قليل حتى ظهر للناس مذهبان بصرى وكوفى بل مذاهب عدة
ولكل شعبة وانصار وقد أخذ الناس عن علماء البلدين طرائق شتى في رسم الحروف
مخصوصا منها الالف اللينة حتى كاد يكون لكل عالم في ذلك العصر مذهب خاص
مثل ميمون الاقرن وابى عمرو بن العلاء ويونس والابخش والخليل وابى زيد وابى عبيدة
والاصمعي وحماد بن سلمة وشيبويه وقطرب والمازني وابن دريد من علماء البصرة ومثل
الكسائى والفراء وابن الاعرابى والمفضل الضبي وثلث من علماء الكوفة ولقد كان
غيرهم من تجماع الامصار يحذو حذوهم في تشعب الخلاف وكثرة العلل ولقد كان ذلك
في اول الامر محتملا لاعتماد الناس على الحفظ ولقلة المشتغلين بالعلم وقلة العلوم نفسها

(١) نقل الاول صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج بأمر منه ونقل الثاني صالح بن سعد
والى الاردن من قبل عبد الملك بن مروان ونقل الثالث عبد الله بن عبيد الملك بن
مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص

وصلاح حياة أكثر علمائهم الى الاتطاع لمثل ذلك فاما بعد تدوينهم العلوم وسير المدنية
فيهم وانتشار القراءة والكتابة في غير العلماء فلم يكن من حقهم البقاء في هذه الفوضى
ولكن التقليد ضرب بجرانه على كل شيء حتى ما ليس بدين فان الذي وسع
المتقدمين في الخروج عن رسم المصحف كان يسميهم في الخروج عن رسم اسلافهم
للاتفاق على طريقة واحدة قريبة المأخذ بعيدة اللبس ولكن الجمود والتقاطع فيما
بينهم كانا ولا يزالان عقبة كثودا في سبيل العلم والمدنية لتخالف رسم الكتب
وكثرة الخطأ والتصحيف فيما روي عن العرب من اشعارها وفما دونوا من المؤلفات
وحسبنا ان يخطئ ذلك العالم اللغوي الكبير أبو محمد عبد الله البطليوسي في اسم
أدب الكاتب لابن قتيبة فيقرأه أدب الكتاب ويسمى شرحه عليه الاقتضاب في
شرح أدب الكتاب وذلك لان كلمة الكاتب كانت مرسومة على الطريقة القديمة
هكذا (الكتب) وهي ان جعلت الفها بعد الكاف قرئت الكاتب وان جعلتها بعد
التاء قرئت الكتاب ولا تزال مخطوطات العصور الماضية بين أيدينا تشكو من تخالفها
وكثرة لبسها فتري في بعضها كلمة ادعو امامها الالف وهي فعل الواحد وتجد في بعض
آخر هذه الكلمة للجماعة وليس امامها الف واذا قتشت في المذاهب وجدت لكل
مذهبها وتجد معها مرسومة تارة بالالف واخرى بالياء على طريقة المغاربة وتجد كلمة الجزء
تارة مكتوبة بواو واخرى بهمز ومرة بهمز فوق الواو ومن الكتاب من يكتب الصلاة
والمشكاة والزكاة بالواو متبعاً في ذلك المصحف كابن حيان ومنهم من زاد الف في مثله للفرق
بينها وبين منه كما زادت العامة عندنا الف في حسنين للفرق بينها وبين حنين ومنهم من لم
يزدها الى غير ذلك ولا يزال الخلاف الى الآن خلافاً كبيراً في دور التعليم عندنا
وعند سائر الامم العربية نجد ذلك في جرائدهم ومجلاتهم وكتبهم بل قد يتخالف
الاساتذة في المدرسة الواحدة ويكون التعليم على طريقتين مختلفتين في الفرقة الواحدة
المقسمة الى فصلين وكما يكون الخلاف في التعليم يكون عند تصحيح أوراق الامتحان
فبعض المصححين يكاد يجوز كل شيء وبعضهم يكاد يخطئ كل شيء وكل يدل بحجة

وينقل قولاً عن امام يكاد يراه معصوماً ولذلك كانوا يضطرون قبل التصحيح الى الاتفاق على الطريقة المشهورة وهي طريقة جمهور البصريين ولكنى كنت ولا أزال أرى ان تكليف التلاميذ الكتابة على مقتضى هذه الطريقة ظلم من الاساتذة لا يجوز البقاء عليه فان اللغويين أنفسهم اليوم لا يستطيعون ان يكتبوا على هذه الطريقة كتابة سليمة من الخطأ باطراد الا بعد مراجعة كتب الصرف والقراءات وكتب اللغة لان أكثر قواعد الفن مرتبط بتلك الكتب ارتباطاً وثيقاً فكيف نأخذ صبياننا بما لا يقدر عليه فضلاؤنا ومن العجب العجيب ان يشتكي العلماء قديماً وحديثاً من صعوبة الاملاء ولا تباع بهم الشكوى ان يعملوا على تسهيله فقد قال أبو محمد البطلاني في الاقتضاب صفحة ١٦٦ ما نصه وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء ولم يلتزموا فيه القياس فزادوا في مواضع حروفا خشية اللبس نحو واو عمرو والفاء مائة وحذفوا في مواضع ما هو من نفس الكلمة نحو خالد ومالك فأوقعوا اللبس بما فعلوه لان الالف اذا حذفت من خالد صار خلداً واذا حذفت من مالك صار ملكا وجملوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالذال والذال والجيم والحاء والحاء وعولوا على القط في الفرق بينها فكان ذلك سبباً للتصحيف الواقع في الكلام ولو جملوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الامم لكان أوضح للعاني وأقل للالتباس والتصحيف ولذلك صار التصحيف في اللسان العربي أكثر منه في سائر اللسان اهـ فأنتم ترون ان هذا العالم الجليل الذي أصلح كتاب ابن قتيبة وهو احد أركان الادب الاربعة يجيز أن يضع الكتاب حروفاً أخرى غير الحروف التي عرفت من قبل الاسلام ليرفع بذلك اللبس ويقلل الخطأ ويشكي الناس وليكنه لم يفعل ولم يباغتنا انه دعا معاصريه الى الفعل وأنا في مقالى هذا لا أريد ان أعمل كما يريد البطلاني ولا أريد ان ابتدع وانما أريد ان أحمل الناس على مذهب سهل وطريقة متقبلة حتى لا يحمل على المحافظون حملهم المعهودة وقد فكرت أيها السادة في صواب الأملاء وذلالتها بما بلغه وسعى ورأيت ان أصحها على المتعلمين والمعلمين قواعد الالف اللينة ثم الهمزة وان الخطيب فيما بعدها محتمل

اما قواعد رسم الالف اللينة فالظاهر انها وضعت للعلماء المتهمين لا للنشأ المبتدئين لان منها تخلص الواو من الياء وهو من أصعب المباحث اللغوية التي افتخر بها محمد الدين الفيروز آبادي في مقدمة قاموسه اذ يقول ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب تخلص الواو من الياء وذلك قسم يسم المصنفين بالعي والاعياء (أي بالعجز والكلال) وانا أقول اذا كان يسم المصنفين بالعي والاعياء أقللا يسم المتعلمين من باب أولى بالبأس والشقاء اذ كيف يتأتى لاشئ الذي لا يعرف كيف يراجع كتب اللغة فصلا عن التضلع منها ان يعرف ما يفتخر بمثله أئمة اللغة ليصحح كتابة الالف *

ومنها ان كل اسم أو فعل ثلاثي ممال تكتب الياء وكلكم يعلم ان الامالة أصبحت فيما بيننا مهجورة لا تكاد تعرف الا من بطون الكتب بل قد بطلت دراستها من أكثر المدارس لقلة الحاجة اليها في الانشاء والخطاة ولم نعد نسمعها الا من بعض القراء الذين يقرءون نادراً بغير قراءة حصص المشهورة بينا فكيف نحيل الطلبة على الامالة في تعليم الاملاء بعد ان أصبحت خافية على كثير من المشتغلين بالعربية أفطالب الصبي ان يرجع الى كتب القراءات وشروح لالفية ليعلم هل الكلمة التي يريد ان يكتبها مماله في رسمها ياء أو غير مماله في رسمها ألفا ذلك هو الارهاق

ومها قولهم ان الكلمة اذا وردت ممدودة ولو مرة واحدة فان الفها ترسم الفا قائمة ومعنى هذا ان يقب الطالب أو المعلم في أمهات الكتب على الكلمة ويستقصي جميع ما وردت فيه من نظم ونثر حتي يحكم بأنها لم تسمع ممدودة وحينئذ يرسمها بالياء ومن عجيب ما رأيت ان القاموس رسم كلمة سنا بالياء في النسخة التي عليها خطه مع انه قال في المادة نفسها (ويمد) ولم يظن لها فيما رأيت الا صاحب اللسان فانه نص على رسمها بالالف فقاعدة هذا أثر التطبيق عليها بين لغويين كبيرين كيف يكون أثرها بين من دوما في العلم والانتطاع الى اللغة بله التلاميذ وهل يصح ان يكلف الذي يريد القراءة والكتابة مثل هذا ان هذا التكليف بما لا يطاق

ألم يقولوا للتلاميذ اذا أردتم ان تعرفوا الواوى من انبأى فاعرفوا ذلك بالثنية

والجمع والمصدر والمرة والهيئة والفعل والمضارع والاسناد الى تاء الفاعل أو الف الاثنين ولا أدري لم لم يقولوا لتلاميذهم اعرفوا ذلك بعلم الصرف واللغة بل لا أدري لم لم يقولوا لهم تعلموا كل شئ في اللغة قبل ان تتعلموا كتابتها ؟

ألم تكتب المطالع النصرية نحو تسع صفحات بالخط الدقيق في شروط حذف الف ابن ثم ختمت ذلك بعشرين بيتاً لجمع هذه الشروط وتسهيلها على طالبها وبني أناشدكم الله أي صعوبة أصعب من هذا التسهيل ؟

أليس من قواعد الانبائها اذا كانت زائدة عن ثلاثة في كلمة أعجمية رسمت الفا واذا كانت في عربية رسمت ياء مع ان المتعلمين من اللغة بل من اللغات لا يفقون على أصل بعض الكلمات وتميز عربيها من أعجميها الا بعد التقيب والبحث الدقيقين وقلما ينفعهم اليوم رجوعهم الى القواعد التي وضعها المتقدمون للفرق بين الكلمات الأعجمية والعربية لان أغلبها ملاحظ فيه اللغة الفارسية فاما اللغات المنتشرة بيننا الآن كالانجليزية والفرنسية والاطالية فلا تكاد تتعرض لها هذه القواعد ولا يذكر منها مثل في كتبنا لان معاجمنا قديمة لا تتعرض بالضرورة للجديد ولان المشتغلين منا لا يحبون ان يزيدوا مثالا غير الامثلة الموروثة فمل هذه القاعدة التي ناء بحملها الكبار تلقى على الصغار ؟

لهذا كله عمد ناس من المتقدمين وبعض المتأخرين الى جمع الواوي واليائي وما وصل اليه من الكلمات الأعجمية وصاروا يعلمون تلاميذهم باملاء ذلك عليهم كلمة كلمة فراراً من هذه القواعد التي تكاد تقعد باللغة على اطلالها القديمة ورسومها الدارسة

ومنهم من ظن انه يخفف على الناس بجمع المقصور في قصائد فجمع كثيراً منه في كلام غث ثقل فجعل للواوي من الافعال قصيدة ولاليائي قصيدة وللمتراوح بينهما قصيدة ثم ثلاثا أخرى للاسماء ومع هذا لم يستقروا ولم يوفقوا للصواب في كل ما قالوا على ان هذه الطوائف من القصائد اذا ابتلى بها طالب وحفظها فان كلماتها لا نصير

ملسكة في يده بمجرد حفظها بل قلما تبقى محفوظة لان الشيء الثقيل القليل الفائدة سريع الزوال وهل يجوز أن يضيق الطالب زمنه ويكد ذهنه ويملا حافظته بكلام سحيق لاجل أن يتأتى له رسم الالف اللينة في بعض صورها مع أنه لقنها في الهجاء وعلم أن شكلها أسهل الاشكال وابعدها عن الاشكال وهل في استطاعة اية حكومة ان تجعل التعليم عاما في أمنها مع نقاء مثل هذه القواعد المثمرة التطبيق لاجل كتابة حرف واحد من لغتها وهو الالف اللينة • ياسبحان الله ما اقسى هذه الالف اللينة وما اشد مصيبة التعليم بها

لهذا كله رأيت ان أطوح بهذه الاحمال الثقال وافرح عن المعلمين والمتعلمين واطلق يد الكتّابين وارفع صوني ماديا تترك هذه القواعد وهذه المنظومات وكل ما خط في رسم الالف اللينة والاستغناء عن هذا كله برسم الالف اللينة القائمة كما ننطق بها وكما علمناها في الهجاء سواء كانت في حرف او اسم او فعل ثلاثي او أكثر علم او غير علم مختوم بياء او غير مختوم • واني أقول للمحافظين لا يرتدحكم هذا النداء فاني راعيت جانبكم وثقيت في الاقوال الماثورة عن المتقدمين ووجدت كثيرا من علماء النحو يقول بهذه المقالة فلم أك والحمد لله عندكم بدعا فيما أقول واليكم ذلك فقد جاء في صفحة ١٧٣ من الاقتضاب مانصه (ومن النحويين من يرى ان يكتب كل هذا بالالف حملا للحط على اللفظ وهو الذي اختاره أبو علي الفارسي في مسائله الخلمية) بل قد جاء في الكتاب الذي تتداولونه وهو المطالع النهرية في صفحة ستة ١٢٠ ما نصه • واما المسوغ لكتابتها الفاع مع وجود المقنض للياء فسبعة وسرد ستة منها (ثم قال) وسابعها اتباع جماعة من النحاة مشوا على كتابة الباب كله بالالف حملا للحط على اللفظ سواء كانت الالف ثالثة او فوقها ولو منقبة عن ياء في علم او غيره كما في الشافية ووجه شيخ الاسلام بانه القياس ولانه اتفق للفاظ اه

فان كان لابد من فتوى فناهيكم بفتوى شيخ الاسلام زكريا الانصاري وان كان لابد من قاعدة فالقاعدة ان كل مسألة فيها قولان ينبغي ان يرجح منهما ما يوافق القياس اخواني هذه الطريقة يوجبها القياس والسهولة وادخار الزمن لعمل انفع وتيسرها للناس

كافة وهي التي تناسب تعميم التعليم ويستوى في معرفتها العالم الكبير والصغير
وتخفف عنكم شيئاً من العناء الكبير الذي تجدونه في تصحيح الكراسات وتمارين التلاميذ
والطلبة على أن المسألة ليست من مسائل الاعتقاد حتى نخشى من مناجاة الناس بها بل
هي مسألة اصطلاحية فنية بحتة وقد خرج الناس قبلنا في صدر الاسلام عن رسم المصحف
الكريم الى خط اصطلاحى ولم يروا في ذلك غضاظة على انفسهم ولا خطأ من شأن
الكتاب العزيز مع أن حاجتهم الى الخروج كانت أقل من حاجتنا اليوم فقد أصبحنا في
حياة كلها منافسة وهي تستدعى علوماً جمة وأعمالاً شتى وأصبحت اعمار الناس لا تنفصح
لان يصرف الواحد منهم سبع سنين في تعليم الاملاء ومع ذلك لا يجيده بل لا يزال
ينحط الى أن يموت على أن أهل العلم اذا تشددوا في التمسك بمثل هذه القواعد العقيمة
فانى انذرهم وانذر نفسى بتخلف اللغة العربية عن سير المدنية تخلفاً ينسأل معه الناس من
لغتنا لو اذا اما الى العامية وهي لهجة لا تنهض بعلم ولا باخلاق ولا بشيء من مقومات
الحياة الطيبة واما الى اللغات الاوربية وفي ذلك فناء الامة في سواها *

فاذا كان لى منكم عضد وواقفتموني على هذه الطريقة وطلبتم أن يؤذن لكم
بتعميمها في مدارسكم فانى لا اشك في اجابة طلبكم لانكم انتم لسان الحكومة العربى
ويرجع تعليم اللغة العربية في مدارس الحكومة اليكم ومكم المدرسون والمفتشون
والبظار واذا تم لكم ذلك مشى على اثركم المعلمون في القطر المصرى وانتقل الى
الاقطار الاخرى اذ لا يعقل أن يكافؤوا انفسهم الصعب بعد وجود السهل المقبول *

لعلكم تقولون اذا كنت مصلحاً ولا بد فضع الى عمالك هذا تسهيل رسم الهمة
بل اجعل الاصلاح عاماً واعرضه بعد ذلك على العلماء والكتاب وأهل الراى حتى
اذا وافقوك نقلت الناس قلة واحدة بدل أن تعلمهم كل حين الى مسألة واحدة فان هذا
يبتلى بالاصلاح من جهة ويكثر ازعاج الجمهور من جهة أخرى بنقلهم من شىء الفوه
الى شىء جديد *

(م ٦ من الصحيفة)

واني أجيئكم أيها السادة من وجوه . الوجه الاول ان الاصلاح الصغير لا يترك
لا انتظار الاصلاح الكبير . الثاني اني أردت التدرج مخافة الفشل اذا عملت كل
ما أريد وتريدون دفعة واحدة * وصعب على الانسان ما لم يعود . الوجه الثالث اني
أعددت بقية الاصلاح وتربصت به حتى أعلم رأيكم ورأي الجمهور في ذلك فاذا
أنست منكم ومنهم تقبل نادرت الى اعلانه كله في خطبة واحدة وارجو ان شاء الله أن
يكون ذلك قريبا

بقي على ان ارد الشبه التي سيوردها المحافظون فانهم سيقولون لا محالة *
(١) ان المتعلمين على طريقته التي اخترتها اذا قرءوا في كتبنا وجرائدنا ومجلاتنا
القديمة فانهم ينطقون بالالف المصطنعة على صورة الياء فيقولون في رمي رمي وفي
على على وفي الى وفي المصطفى المصطفى الى غير ذلك ورد هذه الشبهة من وجهين
الاول ان الطريقة القديمة لا تعصم من مثل هذا بل توقع فيما هو شر منه لان الرسم
فيها لا يفرق بين المصطفى والمستفى اسمى الفاعل والمفعول ولا يفرق بين هوى وهوى
وهوى وهوى ولا بين على وعلى الى غير ذلك ولان المعتلات الاواخر المرسومة الفاتها
على صورة الياء في الطريقة القديمة تزيد عن الفى كلمة مما يقع في عبارات الكتاب
والمؤلفين فالراجع الى الكتب القديمة واقع في لبس من هذا لا محالة ولا ينجيه منه
الا التضلع من علمي الصرف واللغة فالذي ينجيه من هذا على كثرته ينجيه مما تخافون
عليه من اللبس القليل في جانب ذلك فالطالب الذي يرجع الى الكتب القديمة ان
ن كان من صغار الطلبة فانه مخطئ ولا بد سواء جرى على الطريقة الجديدة أو القديمة
التي لا تنقط الياء لمطرقة فهو ينطق بالالف المقصورة كما ينطق بالياء ولا فارق فيها
يعصمه من هذا الخطأ فخير له على طريقتنا ان يقال خطؤه جدا فان الكتب ستقسم
الى جديدة لا يخطئ فيها وقديمة يجرها الزمان يخطئ فيها كما كان يخطئ من قبل ان
دعته الحاجة الى ذلك على سبيل الدور وان كان عارفاً باللغة والصرف فان اعتراضكم
لا ينجي لانه متى لاحظتم ما سهل عليه ان يعرف الصواب

الوجه الثاني ان الصدر الاول لم يبال بهذه الصعوبة حينما أحدث الخط الاصطلاحي ولم يبال ابن مقلة حينما غير الخط الكوفي الى الخط الذي تعرفونه الآن لان الزمان كفيل باظهار ما تدعو اليه الحاجة واضمار ما لا تدعو اليه فهو الذي يسير بالجديد الحاحي ويقف بالتقديم المفروغ منه على ان المطابع سيتعبد طبع النافع من الكتب القديمة فتطبعها على الطريقة الجديدة ولا يبقى بلا طبع غالبا الا الذي لا خير في كثير منه للناس وبهذا تذهب الشبهة الاولى

الشبهة الثانية ان كتابة المقصور كله بالالف تفوت الطالب معرفة أصل الكلمة أمن بنات الواو هي أم من بات الياء فلا يدرى كيف يثنى الاسماء أو يجمعها جمع سلامة أو يسند الافعال المعتلة الى الضمائر وهذا شئ لا يستهان به والجواب ان هذه مسألة دورية محالة وذلك ان الكتّاب على الطريقة القديمة لا يكتبون الا الف الثالثة الا اذا عرف أصلها ومعرفة أصلها متوقفة على علم الصرف واللغة وتعلم الصرف أو اللغة متوقف على الاملاء في رأى المشتبه فيجىء الدور حتما على ان تثنى الاسماء وجمعها واسناد الفعل الى الضمائر كل ذلك له علم خاص به وهو الصرف فمن أراد ذلك فليطلبه ولا يجوز أن تكلف من لا يريد الصرف ان يعرفه من الاملاء معرفة ناقصة وتضيع عليه زمنه بادخال ما لم يرد فيما أراد فلا يتقن لاهذا ولا ذلك بل لا معنى لتكليفه ما لا يطيقه ولا فائدة له منه

الشبهة الثالثة ان الجرى على الطريقة الجديدة غير مأمون اللبس بل يوقع الطالب في اشتباه كان ينجو من مثله على الطريقة القديمة مثال ذلك الى فانها تشبه بالا وعلى فانها تشبه بعلا الفعلية

وجواب هذه الشبهة ان الالتباس في ألفاظ قليلة حداً وتميزها بالقراءن أسهل من تميز سواها على الطريقة الاولى فاذا قلت أرسلت الى فلان أو سمعت الى ريارته ورسمت الى بالالف لم يشتبه الامر على الناظر خصوصاً بعد ان تبلغه الطريقة الجديدة ولا يفوتك أيها المشتبه ان تميز الا من ألا وألاً أصعب وتصدق من تميز الى من احدى هذه الثلاث

على انى أجهز للكاتب الذى يضبط بعض الكلمات اذا ظن فيها اللبس وأقول للمشتبه اذا رضيت باللبس على الطريقة القديمة في نحو ثلاثة آلاف كلمة ألف سنة أفلا ترضى به على الطريقة الجديدة في كلمات لا تكاد تستحضر منها بصع عشرة كلمة واذا رضيت بالاتباع الاعد عن القياس أفلا ترضى بالايسر الاقيس

الشبهة الرابعة اذا كنت تقول بالقياس وهو ان تكتب كما ننطق اذ ان اددان والا الاوادعى اددعى واطان اطان وانك ان فعلت ذلك أوقعت الناس فى لبس لم يعموا فيه من قبل

والجواب انى أقول بالقياس اذا كان مع المصلحة وكلامى اليوم فى الالف اللينة دون سواها والقياس فيها جلى واضح المنفعة واما فى سواها فاني أكون مع المصلحة أينما كانت

الشبهة الخامسة ان الانسان لا يكتب الا ما هو متمكن من معرفته والكلمات التى تدور على ألسنة الناس وفى حاجاتهم قليلة يمكن حصرها وتعليمها اياهم على الطريقة القديمة ولا حاجة الى هذا التغير

والجواب ان الدعوى الاولى غير صحيحة فقد يكتب الكاتب ما لا يعرف اذا أملى عليه من يعرف وقد رأيت عالما أعشى يملئ على تلميذه تأيئنا له فى علم لم يلقنه اياه فكان يخطئ فى ذلك خبط عشواء وهو لاء النساخون الذين نشكوا منهم كل يوم هل يكتبون ما يعرفون

وأما كون الكلمات المستعملة قليلة فهذا كلام مقول بالتشكيك وما ذا تريدون من القلة فان كانت ألف كلمة فهى كثيرة ون كانت ألفا فكذلك على ان كلمات التأليف والتحرير غير واقفة عند الحد الذى يحىء فى اذهانكم لاول نظره ولقد عيت بالنظر فى ذلك فرأيت المستعمل فى التأليف لا يقل عن ألفي كلمة هذا عدا ما ظننت انه ميجور ويجوز الا ميجره غيرى

الشبهة السادسة انه يشق على الناس ان يخرجوا من عادتهم فى مثل ذلك وتكليفهم

الخروج عما أنفوه ضرب من الارهاق وربما كان منه مالا يحب
والجواب ان الخروج من العادات الضارة واجب وليس في مثل هذا الاصلاح
المسهل ارهاق على أنى معتقد ان الناس متى علموا جواز الرسم على هذه الطريقة وأنه لا يعتبر
خطأ في الكتابة العلمية والرسومية والادبية سارعوا اليها وندوا القديم الذى لا يكاد يسلم
من الخطا فيه صغير ولا كبير

وسيقول من يحسن ظنه في لم لا يشتغل بتأليف كتاب في آداب اللغة والحاجة
شديدة بدل اشتغاله بموضوع صغير كهذا وما هذه الالف اللينة التى يعنى بها كل
هذه العناية ؟

والجواب انى مشتغل بما يريد من جهة ومعتقد ان هذا الموضوع الآن افيد الأمة
من الموضوع الذى يقترحه على فان اصلاح الاملاء أمر يرتبط من جهة أخرى في مصر
ناثني عشر مليوناً يراد ان يعمهم التعليم وهذا أمر حاجي لا يتأتى تعميم التعليم الا به واما
كتاب آداب اللغة فانه يؤلف لطبقة قليلة مخصوصة على أنه الى الآن من كماليات اغتبا
فهو يحملك أيها الاخ العزيز حسن اعتقادك في على أن تصرفني عن الانفع الى النافع
وعن الضروري الى الكمالي ذلك مالا ارضاه اصداقتك وحبك الخيرى وللناس
نقبت كلمة يقولها كثير من الناس حينما يسمعون باصلاح جديد وهى هل اصلحت
كل شئ حتى لم يبق الا الاملاء وهذه الكلمة تقال لى اذا أخذت في اصلاح معاجم
اللغة كما تقال لسواى ادبهم باصلاح أى شئ وكان من حقى الا ابالى بهذه الكلمة ولا
افرص لها وجودا لانها لا تصدر الا من الذين يكرهون كل تغير ولو كان في مصاحبتهم
كما كانوا يقولون وهل علماء النين حتى اعلم النبات والسكنى أردت أن أجيب عنها لارضى
القائمة او الجامدين أيضا فاقول افرصوا ان هذا اول اصلاح مستطاع الى الآن افأتركه
حتى يتأتى لي اصلاح كل ما عداه وهل أترك ما استطع للمالا استطيع وهل يتأتى اصلاح
كل شئ الا بالبدء فى شئ منه كما بدأت بهذا الآن ثم نجى الاشياء الاخرى التى
تتخاوتها بعد فيتم بهذا ما أردتم وقد يقول المحافظون انا نخشى ان جرينا على طريقة

الاصلاح ان تغير من اشكال حروفنا او ان نخرج بها عن المعروف قديما وحديثا
لسائر الامم ومن ذا الذي يعلم ما يصل اليه الامر فقد يتطرف متطرف الى اكثر من
ذلك ولهذا لا ينبغي أن تغير شيئا مما نحن فيه *

والجواب ان البقاء على ضرر محقق مخافة ضرر موهوم ليس من الحكاسة في شيء
وانا اخشى على اللغة من الضرر المحقق اكثر من خستينا عليها من الضرر الموهوم. على
ان الخطأ امر اصطلاحى متى ظهرت المصلحة في تغيير شيء منه فإى خطر على اللغة
من ذلك وانى اعتقد ان الساعى في اصلاحها الآن اشفق عليها من هؤلاء المحافظين
الذين يحتملون الضرر الواقع مخافة الضرر الذى يخيل اليهم *

سادتي واخوانى ان الناس لا يرضون منا أن تقتصر في اعمالنا على ما تفرضه
القوانين الرسمية على المدرسين منا والنظار والمفتشين بل يطلبون البنا ان نهذب لغتنا
وتقرب منهم مأخذا وتزيد لهم مادتها حتى تسع مسمياتهم الجديدة كما وسعت مسميات
العلوم من قبل واذا كان الله قد اهدى الناس هذه الثقة بنا فقد وجب علينا ان نهب
حياتنا للنهوض بلغة كتابه العزيز شكراً له على هذه المنحة الجليلة وتحقيقا لظن الناس بنا
ومحبة في الخير وحق على كل انسان أن يشد ازر أخيه لنعمل باجتماعنا عملاً صالحاً
فاذا كان لي منكم عون فيما اقترحه اليوم فانا نذلل اكبر صعوبة في سبيل تعلم هذه
الامة التي تريد أن يكون التعليم فيها عاماً اجبارياً ليتعلم أبناؤها القراءة والكتابة وما
لا بد منه من علم الدين والدنيا ويفرغوا بعد لمزارعهم وصنائعهم كما هو الشأن في
الامم الراقية

هذا وانى لا رحو من غيرتكم أيها الاخوان ان تقدموا ما عسى ان يكون قد وقع
في خطاب أخيككم تقدمكم الصحيح الذى يعمله في ذكائكم وفطنتكم وأسأل الله تعالى
لي ولكم التوفيق الى طريق السداد وقبل أن أختم خطابي انشدكم الله الا ما سرعتهم
الى العمل مجتمعين اذا تقابلتم اقتراحي بقبول حسن محمد المهدي

(صورة التقرير المرفوع الى صاحب السعادة ناظر المعارف العمومية
بطلب الترخيص للمعلمين ان يتبعوا في التعليم طريقة كتابة
الالف الفافي جميع أحوالها)

ناظر المعارف العمومية سعادتلو 'فندم
الامة الآن تسير في طريق تميم التعليم وسعادتكم تأخذون بيدها الى هذه
الامنية ومن الضروري ان يكون طريقها الى ذلك مدلا من العقبات التي تجعل السير
فيه صعبا .

اساس التعليم كله هو الكتابة والقراءة وعليهما يبنى كل علم آخر يراد استفادته
والكتابة والقراءة هما اول ما يقابل الناشئ في تعليمه الاولى أي تعليم الكتاب فمن
الواجب ان يتجه كل طالب اصلاح تهذيب قواعدهما حتى لا يكون اول ما يقابل
المتعلم مصاعب لا قبل له بها . من القواعد الثابتة المقررة ان الكتابة انما هي دليل للنطق
فيلزم ان تكون مصورة له تماما وكما كثرت مراعاة هذه القاعدة كانت السهولة في
الكتابة والقراءة اتم اذ لا يحتاج المتعلم مع ذلك الا الى معرفة صور الحروف المجانية
نطقا وكتابة وذلك لا يحتاج الا الى ايام قليلة ثم يشغل وقته بعد ذلك بما هو اكثر
فائدة وقد خرج الكتاب المتقدمون عن هذه القاعدة في تصوير بعض الحروف لامور
راعوها كما صوروا بعض حروف لا ينطق بها في الوصل رعاية للابتداء بها والوقف عليها
الا انا رأيناهم قد خرجوا عن هذه القاعدة في أمور فيكان من جراء الخروج فيها اللبس
على المتعلم وتعدر وصوله في نتائجه الى مراعاة ما راعوه . من ذلك كتابة الالف اللينة التي
تنتهي بها الكلمات من الاسماء والافعال والحروف . اختار جماعة من كتاب البصريين
ان يصوروها بمراعاة الاصل الذي انقلبت عنه او بمراعاة ما توول اليه فصوروا الف فدعا
والعصا الفا لانها منقبة عن واو وصوروا الف سعي والهي ياء لانها منقبة عن ياء وصوروا
الف على والي ياء لانها توول الى ياء عند اتصالها بالضمائر ولم يثبتوا على ذلك بل شذوا

عنه في بعض كلمات مراعاة لامور أخرى كما يصورون الف (أحيا) بالالف ويفرقون بين (الثري) و(الدنيا) لان الاولى علم والثانية صمة وكما يفرقون بين بخارى واوربا واختار جماعة من كتاب الكوفة ان يصوروها تسعا لامالة ما تلتها من الحركة فالكلمة الممالة يصورونها ياء وغير المحالة يصورونها على الاصل *

وبعض الكتاب يطرد الاصل فيرى ان تصور الالف كما نطق بها معنا للبس ومراعاة لاصل ان الكتابة دليل البطق وقد أحسن المعلمون المدارس من أعضاء نادى دار العلوم بما هنالك من المصاعب في تعليم النشء ما يتبعونه في كتابة هذه الالف فاقترح أحدهم ان تكون الالف الفا في جميع أحوالها سواء كانت في اسم او فعل او حرف ثالثة أو زائدة عن الثلاثة وقد نظر الاعضاء في هذا الاقتراح في جلستين من جلسات النادى وكانت النتيجة ان وافقوا ما عدا القليل منهم على هذا الاقتراح للأسباب الآتية *

(١) ان الكتابة دليل النطق ولا يخرج عن هذا الاصل الا اذا كانت هناك اسباب قوية تقتضي الخروج عنه ولا يصالح كل من مراعاة أصل الالف أو ما لها أو امالتها سببا في ذلك * اما أصل الالف فان الباحث عنه علم التصريف أو القواميس اللغوية * معلم الحرف اذا أراد ان يعلم الطالب كيفية اسناد ذى الالف الى الضمائر المتصلة أو ثنية المقصور بأمره ان يرد الالف الى أصلها ويبين له القواعد التي تعرفه ذلك الاصل فيقول في الفعل تعرفه من مضارعه أو مصدره ويقول في الاسم ارجع المعاجم أو اعرف ما اشتق منه ولا يخطر بباله ان يحيله على الكتابة فيقول ما كتبه بالالف فاجعله واوا وما كتبه بالياء فاجعله ياء لانه لو فعل ذلك لكان تعليمه دوريا فالطالب لا يعرف ان يكتب الالف الا اذا عرف أصلها ولا يعرف أصلها الا اذا عرف كتابتها هذا دور قال كتابة تبين النطق والصرف والمعاجم تبين أصول الالفات ولا معنى لخلط شئ بآخر لا سيما ان كان هذا الخلط مما يجعل امامنا عقبات صعبة فيما تقصد اليه من تعليم التعليم * واما الامالة ففضلا عن أنها لم تكن لغة قريش وأنها لا يكاد يعرف قواعدها أعد من المتكلمين بالعربية الآن الا قليلا قد وضع لها باب خاص في علم الصرف يعرف

ما يمال وما لا يمال فلا معنى لجعل الكتابة دليلاً على شيء لا يعرف ولا ينطق به
والتغاضي عن جعلها دليلاً على شيء ينطق به وإذا كانت إمالة ما قبل الألف تصلح
لكتابتها ياء فكان يجدر بهم أن يفعلوا ذلك في الألف المتوسطة الإمالة لكنهم لم يفعلوا
فإن من ذلك أن ما راعوه لا يصلح أن يكون موجباً للخروج عن هذا الأصل
الكلي المسلم به

(٢) أن هذا مذهب صرح باختياره بعض الكبار من العلماء وأرتضوه مقتنعين بأنه
خير مما سواه فلا نكون باختيارنا له بدعاً

وقد حاول بعض المعارضين منا أن يجمعوا أمام اختيارنا هذا أشياء ظنوها مانعا
فقالوا أن هذا خروج عما سنه المتقدمون وجرت عليه الآن فصار من عاداتها .
والعادات مما يجب المحافظة عليه . وجوابنا على هذا سهل فإن العادة التي تلزم المحافظة
عليها هي العادة المميرة الأمة عن سواها . أما استبدال حرف عربي بآخر عربي فليس
مما يضر بميزات الأمة خصوصاً أن كان رجوعاً إلى صواب . لا يعارضنا أحد في أن
تكليف الصغير أن يكتب بي وينطق ناشط وخروج عن الجادة فنحن لم نفعل شيئاً
إلا إذا قلنا أن كتب با وانطق با واكتب بي وانطق بي على أن العادة مهما كان قدرها
إذا تبين أنها عنرة في طريق تسهيل التعاليم فإننا ننبذها غير آسفين عليها

قالوا أن الكتابة الجديدة تقطع الصلة بيننا وبين كثير من الكتب التي كتبت
قبل . وجوابنا على ذلك أن الخط العربي محتاج في كثير من أشكاله إلى القرائن للاستدلال
على ما يراد منه ما لم يكن مشكولاً إذ أن القارئ لا يميز في هذه الصورة (كتب) بين
كُتِبَ وكَتِبَ وكُتِبَ وكَتِبَ وكُتِبَ وكَتِبَ وكُتِبَ وكَتِبَ وكُتِبَ وكَتِبَ وكُتِبَ وكَتِبَ
الكتب المطبوعة ويرى مثل سمي ورمي وهدى لا يتعذر عليه أن يقرأها أفعالا إذا
دلت على ذلك قرائن الكلام على أنه الآن محتاج إلى هذه القرائن ليفرق بينها وبين
سَمِي وَرَمِي وَهَدِي وقد يغفر هذا الشيء اليسير في مقابل المنفعة العظمى التي سنألفها
(م ٧ من الصحيفة)

بجعل الالف الف على الدوام . وحركة الطبع المستمرة لا تمكن الكتب الحبة من البقاء زمنا طويلا حتى يعاد طبعاها . اما مالا أمل في إعادة طبعه فهذا لا يرجع اليه في الغالب الا كبار المتعلمين وهؤلاء لا يصعب عليهم التمييز بين الكلمات

قالوا ان المتعلمين سبب طربون زمنا طويلا وجوابنا على ذلك ان كل اصلاح جديد لا بد ان يتأمله شيء من الاضطراب الوقتي بين القديم والجديد وبعد زمن قليل يتغير الامر على ما رأيناه سهلا وهذا الاضطراب السير معتبر في جانب الوقت العظيم الذي يوفر على الاطفال الذين نعلمهم الآر طريقة كتابة الالف . تبين من هذا ان ما راعاه المتقدمون في الخروج عن أصل الكتابة لا يصلح سببا وما رآه بعض المعارضين للرجوع الى الاصل لا يصلح مانعا .

لذلك كانت الاغلبية العظمى موافقة على هذا الاقتراح

وبناء على ذلك

تقدم الى سعادة الوزير الجليل العامل على نشر التعاليم وتسهيله ان يأذن لخصرات المعلمين بالمدارس في اتباع هذه الطريقة فيعلموا تلاميذهم ان يكتبوا الالف الفا في جميع الاحوال^١ (التوقيعات)

~~~~~

العلوم

للورد باكون الفيلسوف المشهور

العلوم تطلب للانسراح والتحلي وللإقتدار . اما الانسراح بها في الخلوة . وأما التحلي ففي المناقشة . وأما الإقتدار ففي ترتيب الاعمال واتخاذها . لان الرجال ذوي التجربة لا يقدر ون الا على تنفيذ الجزئيات وترتيبها واحداً بعد واحد . وأما المشورات والمشروعات العامة وتنفيذ الامور الكلية فاكفاء الناس لها العلماء . المبالغة في اطالة زمن الدرس من الكسل وفي التحلي بالعلوم من المراءاة وفي الاعتماد عليها وحدها في اتخاذ الاعمال من شطط المتعلمين لان العلوم كما تكمل الطبيعة محتاجة لان تكملها التجربة فانه ان كانت

القدرة الطبيعية كالباتات الطبيعية تحتاج الى ان يذهب العلم فان التواعد العلمية شاسعة  
الاطراف تحتاج كذلك الى ان تحدها التجربة

خبثاء الناس يحتقرون العلوم ومسطاؤهم يحترمونها وعقلاؤهم يستعملونها فان العلوم  
لا تعلم استعمالها لانه امر آخر وبراءها لا يكتب الا بالملاحظة

اقرأ لا تخاف وتدحض ولا تسلم وتعتقد ولا تتحسد موضوعا للكلام ولكن  
لتبحث وتزن

بعض الكتب يداق وبعضها يباع وقليل منها يضع ويهضم ومعنى هذا ان  
بعض الكتب لا يقرأ منه الا أجزاء وبعضها يمر عليه وقليل منها يقرأ كله مع الدقة  
والالتفات وهناك كتب تقرأ بالانابة يكلف الانسان آخر بقراءتها ووضع اشارات على  
الاجزاء التي تستحق القراءة منها ولكن ذلك قاصر على الموضوعات غير الهامة والكتب  
القليلة الفائدة اما الكتب المصفاة فهي كالماء المصفى بريقة باهرة

المطالعة تجعل الرجل مثمنا والمناقشة تجعله حاضرا والكتابة تجعله دقيقا لذلك  
يحتاج قليل الكتابة الى قوة الذاكرة وقليل المناقشة الى حضور الذهن وقليل المطالعة  
الى المسكر حتى يظهر بمعرفة ما يجمل

التاريخ يجعل الانسان حكيما والشعر يجعله فطما والرياضة تجعله دقيقا والطبيبات  
تجعله عميقا وفلسفة لا خلاق تجعله درينا والمطق والبلاغة يقويانه في المناقشة والمحاضرة  
لكل داء من ادواء العقل علم يداوى به كما ان لكل مرض من امراض  
الجسم دواء يشفي منه فكما ان رمى السكر يصلح الكلى والمثانة والصيد يصلح  
الصدر والرئة والمشي الهين يصلح المعدة وركوب الخيل يصلح الرأس وهلم جرا  
كذلك الرياضيات تشفي من تنقل الفكر ودراسة آراء العلماء تكسب الدقة في التمييز  
والفرق بين المتشابهات ودراسة الدواوي والخدومات تكسب المواصلة في البحث  
بقوة الاستدلال فاذا

لكل داء دواء يشطب به حتى الحماقة الفت ما يداويها

### ﴿ نماذج من كتابات بعض أعضاء النادي ﴾

من معلمى الاجانب الذين كان لهم أثر حميد في ترقية صناعة التعليم بمصر جناب  
المستر ( ماردن ) فقد كان معلما حازما ماهرا مدققا في أعماله واشتغل بتعليم اللغة الانجليزية  
بالمدرسة الخديوية ثم بمدرسة دار العلوم ثم نقل معلما لثمن التعليم بمدرسة المعلمين التوفيقية  
ثم أعيد معلما لهذا العلم بمدرسة دار العلوم التي سميت بعد مدرسة المعلمين الناصرية  
وبقى فيها مثالا للجد واتقان العمل حتى اعتلت صحته وأشار عليه الاطباء بوجوب اقامته  
في إنجلترا فأنحيل على المعاش ومنحته الحكومة المصرية الوسام المجيدى الثالث وقد  
اشترك تلاميذه وزملاؤه المدرسون في توديعه وشكره على أعماله النافعة بالقول والفعل  
وهذا بعض ما كتب له في ذلك

﴿ شكر من طلبة مدرسة المعلمين الناصرية لاستاذهم المستر ماردن  
بعد سفره الى بلاده لتغير صحته بقلم أحد معلميه ﴾

استاذنا المحترم

ان بوادى النيل قلوبا مقيمة على الاعتراف لك بالجميل والسنة ناطقة بشكر  
أولئك هم تلاميذك بمدرسة المعلمين الناصرية واثن اشتملت عليك الان ديارك بعد  
ان كان منك ضوء ساطع عندنا لقد تضمنت هذه القلوب من الاسي ما تضمنت . اننا  
ودعنا فيك استاذنا جمع كثيرا من الخلال الطبية . حب الخير والصدق في العمل  
والجد والنظام واصابة مواقع النائدة كل هذه أوصاف ودعناها فيك . أليس هذا  
التغير الذى مس جسمك أثرا لهذه المزايا التى حملتك على الاستهانة به فى سبيل تعليمنا  
ونصب آثارك النافعة من مؤلفات وغيرها . ولولا مزاياك لبقيت بيننا الى الآن فى  
عملك تصرفه على وجه ما . ولكن أبى لك ذلك صدقك . لك من هؤلاء الطلاب  
قلبان اما أحدهما فقلب ملؤه الشكر لاستاذ خير عامل . وأما ثانيهما فقلب ملؤه الأسف  
على فراق هذا الاستاذ وطيب الذكر . له . وبقي قلب كله دعاء الى الله تعالى أن



يبيد لك لباس العافية قشياً وان يجعل ابلادنا مرة أخرى من شروق عرفانك  
فيها نصيباً

وقد سرنا ان حكومتنا لم يفتها ادراك فضلك على البلاد فقلدتك الوسام المجيدى  
الثالث وان كان عارفوك يرون من هذا الذبول الذى علا جسمك فى سبيل الواجب  
وساما طبيعياً أنطق بفضلك وأدل عليك • وما الجندى الباسل يوم رجوته من الوغى الى  
وطنه وجسمه حافل بالجر وح نقطر منه الدماء باخلق منك بالتجاة يوم عودتك اليه وفى  
جسمك بقية مما ترك الجدد والصدق فى العمل • انه أخاص لداره وأخلصت لـسـكـل  
دار أثلتك والسلام

✽ عبارة كتبت فى مجموعة صور مدرسى مدرسة المعلمين الناصرية  
التي قدمت لجناب المستر ماردين عند توديعه  
لعودته الى بلاده سنة ١٩٠٩ ✽

يا جناب المربي المحترم  
ان كانت الآثار التي تركتها فى قلوب تلاميذك تجعلهم يأخذون على فراقك  
ويعانون انترافهم بجميالك فاننا نحن زملائك أجدر ان نعترف بان عملك لمصر وان  
قصرت مدته فى جانب مدد من استعانت بهم من فضلاء الاجانب قد كان من أمرك  
الاعمال لها وأعرقها فى نفعها وأنجمها فى تهذيب مربيها • تشهد بذلك مؤلفاتك الجليلة  
وآثارك الخالدة وليس فى سمعنا يا حضرة الفاضل كفاء ما أسلفته لنا من طيب صحبتك  
وأنفقته لخيرنا من وقتك وصحتك أجمل من ان نشكر لك كل هذا من صميم أفئدتنا  
موقددم اليك صورنا تذكاراً لهدنا معك ودلالة على تعلق قلوبنا بك وافتاءنا بحسن  
تاريخك وجايل ماضيك والله يسبغ عليك العافية وينسج لك فى الامل ويجمل حياتك  
حافلة باليمن والسعادة والسلام

﴿ كتاب مقدم من مدرسة المعلمين الناصرية الى حضرة الفضال أحمد بك  
فهمي الذي كان مدرسا بها وتقل مرتقيا الى ديوان المعارف مفتشا فيه وناموسا  
خاصا لسعادة ناظر المعارف . ثم هو الآن وكيل للمدرسة المذكورة ﴾  
حضرة الفضال

لئن كان المعروف أثر في امتلاك القلوب . والاحسان سبيل الى استحقاق  
الشكر . لقد كان منك الينا ما جعل قلوبنا طوع محبتك . ورهن مودتك . ومنك  
الى الطلبة ما جعلهم في أعينهم نتائج صنمك . وصنائع تفضلك . وفي أعين المساكين  
صعائف تخليد الثناء عليك ونماذج لا ياديك البيضاء في خدمة العلم وأهله . وانا  
وإن حرما منك شريكنا في الصناعة ورفيقنا في حسن العشرة إن نعلم منك عضدا في  
المهم . وأهلا للأفادة . ولم تنتقل عن الفرع نعمة ذهبت الى الاصل . وان ما خلفته  
بيننا من آثار خاللات وجايل فمالك لاحسن ذكرى نأتمن الدهر على حل عقدها فلا  
نحسب ابتعادك عن اشخاصنا الا اقترابا من قلوبنا

هذا وان الصحف المجيدة التي أضفتها الى تاريخ مدرسة المعلمين الناصرية نحفظ  
لك أحمد أثر وأطيب ذكر في تكوين نهضتها المباركة وتشيد صرحها المتين وضمان سيرها  
في الطريق التي يتمناها لها كل محب للعلم ونشره . فالمدرسة اذا أسفت لفراقك فان لما  
بعض السلوة أن كانت في ماضيها بستانا لكريم غراسك . ومجازا لاذاعة فضلك وتهبته  
رقيق وأن تكون في مستقبلها مترقبة لمساعدات عديدة تؤديها اليها في عمالك الجديد .  
وهي تقدم اليك بهذا الخطاب تذكارا لاعمالك العظيمة فيها واظهارا لحسن ولائها لك  
هيا الله لك ما ترجوه وحفظك لامتك الفقيرة من أمثالك ونفع بك حينما عملت  
وأبها بعمت والسلام

﴿ مقابلة ﴾

﴿ لابي حيان التوحيد في معرفة الناس للحق ﴾

قال سمعت أبا سليمان (١) يقول قال أفلاطون إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا اخطئوه في كل وجوهه بل أصاب منه كل إنسان حبة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل وأخذه كل واحد منهم جارحة منه فجسها بيده ومثما في نفسه فأخبر الذي مس الرجل أن خلقه الفيل طويلة مدورة تشبهه بأصل الشجرة والحلة . وأخبر الذي مس الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة والراية المرتفعة . وأخبر الذي مس اذنه أنه مبسط دقيق يطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك وكل يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطأ والغلط والجحد فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم . وكان يقول أعني أبا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا يخفاء بها أحد من يسمعها بتحصيل وبتأييدها ببيان قال ولهذا لا نجد عاقلا في مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره والسابق الى قلبه والملائم لطبعه والموافق لهواه واسكن البارح المتسع المحصل له المزيد في السبق والفالج بالتدبير

### ✽ مقابلة له ✽

( في سهولة ارجال الكلام الصحيح وصعوبة اصلاح المختل )  
قال سمعت الخوارزمي الكاتب يقول لابي اسحاق الصابي بن هيثم بن هلال لم اذا قيل المصنف أو كاتب أو خطيب أو شاعر في كلام قد احتل شيء منه ويبت قد انحل نظمه ولفظه قلن مصابه هات بدل هذا اللفظ . ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معني آخرتهاقت قوته وصعب عليه تكلفه وامل بمزاولة ذلك رأيته ولو رام انشاء قصيدة مفردة وتحرير رسالة مقترحة كان عسرها عليه أقل وكان نهوضه بها أعجل . فقال — رقع ما وهي يحتاج الى تدبير تدفات أوله من جهة صاحبه الاول ومن كلن أولى به وكان كلاب له . وذلك شبيه بعلم الغيب وقل من ينمذى حجب الغيب مع المرائي التي دونه وليس كذلك اذا افترع هو كلاما وابتدا فعلا واقتضاب حالا يستقل

(١) هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي



حيثئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شئ كان من غيره أو يكون تعاقبه بيقظته يعطيه تمام ما قد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه ولم يهيجس قط في نفسه ولا أعد له شيئاً من فكره فقد يعجزه ما لم يتأهب له ولم يرض نفسه عليه . وفي الجملة كل مبتدئ شيئاً ففوة المبدأ فيه تنضي به الى غاية ذلك الشئ . وكل معقب أمر قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه ينضي الى حد ما بدأ به في تعقيبه ويصير ذلك مبدأ له ثم تقطع المشاكاة بين المبتدأ وبين المتعقب

#### النادي

في يوم أول ابريل سنة ١٩٠٩ التي حضرة الاستاذ أحمد فهمي بك وكيل مدرسة المعلمين يمدّرج المدرسة على أعضاء النادي خطاباً في حياة الفيلسوف المربي الالاماني ( هيربارت ) وفي آرائه الخاصة في النفس وقواعده التي جعلت الان أساساً لفن التربية الحديث . وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادي كثير من فضلاء المعلمين وبعد انتهائه قام حضرة رئيس النادي وشكر له تفضله بالقاء الخطاب والفوائد الجليلة التي اقتبست منه وقد حضر الاجتماع غير أعضاء النادي كثير من فضلاء المعلمين ونظار المدارس وعلية أهل العلم والادب وسينشر الخطاب في العدد التالي لهذا

وفي يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٠٩ التي حضرة الاستاذ محمد الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي خطاباً في حياة حجة الاسلام الغزالي وآرائه في الاخلاق والتربية وبعد انتهائه قام حضرة رئيس النادي وناقشه في بعض آرائه وشكر الخطيب . وقد حضر الاجتماع كثير من المعلمين وفضلاء النجوم

﴿ تنبيهان ﴾ (١) نرجو من حضرات المشتركين في صحيفة نادي دارالعلوم اذا طرأ تغيير على عنواناتهم ان يكتبوا بذلك للنادي حتى تصل اليهم الصحيفة في اوقات صدورها (٢) نرجو من حضرات أعضاء النادي ومشتري الصحيفة اذا أرسلوا أى قيمة للنادي ولم يصل اليهم وصل بها موقع عليه من أمين صندوقه ( السيد التزهي أفندي ) في بحر أسبوع ان يكتبوا الى النادي بذلك حفظاً لحقوقهم وانتظاماً لاعماله

# حَتَامُ نَحْنُ مَعَ الْفِتْنَةِ بِالْيُوتِ

## للدكتور عبد الله الطيب

### تمهيد :

توماس ستيرنز إليوت Thomas sterns Eliot . ولد سنة ١٨٨٨ م وتوفي سنة ١٩٦٥ م . نشأ بسنت لويس مسوري من الولايات المتحدة بأمريكا الشمالية وتلقى تعليمه الجامعي بين سنة ١٩٠٦ م و ١٩١٥ في هارفارد بأمريكا والسوريون ببافيس وأكسفورد بإنجلترا واستقر بإنجلترا بعد سنة ١٩١٥ وتجنس الجنسية البريطانية ويذكر مترجموه أنه كان من أسرة عريقة الأصل من السلالات البريطانية القديمة ذات جاه وثراء . وكان هو مع أدبه في إنجلترا من رجال الأعمال الناجحين في ميدان النشر : وكان مرموق المكان بين أدباء عصره من جانبي المحيط الأطلسي ، قريباً في المنزلة عندهم مما كان عليه أديبا الأمة العربية الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين رحمهما الله . اشتهر أول أمره بعبد نشره منظومته ( الأرض المقفرة The Waste Land في سنة ١٩٢٢ . ويقال : إن الذي نشر حينئذ كان شيئاً مختصراً ، اختصره

منها - وهي طويلة جداً - صاحبه وأستاذه الروحي إزرا باوند Ezra Pound وعندى أن مثل هذا القول ، صبح أو لم يصب ، مما لا ينبغي أن يُعَوَّل عليه . وإليوت أعظم بها شهرة بين أدباء الغرب المتعلقين به منه بغيرها ، ولكنه في فرنسا مثلاً أعظم شهرة بمسرحيته (مقتل في الكنيسة Mured in the Cathedral ) وللناس في ما يعشقون مذاهب .

### الفتنة باليوت والأرض المقفرة وحتام نحن مع ذلك ؟ :

الفتنة باليوت بين أدباء العرب المعاصرين كبيرة جداً . وينسب إليه تفوق وإبداع وابتكار . ومما ينسب إليه في باب الابتكار مذهبه في الإشارات والاقتباس . وهذا المذهب قديم في اللغة الإنجليزية وأقدم في اللغة العربية أفشنت فيه من الجاهليين ، على سبيل المثال ، زهير وزابغة بنى ذبيان ، ودع الفرزدق وجريرا وذا الرمة وأبانواس وشيخ المذهب في المحدثين أبا تمام وتلاميذه

من لان أبي العلاء إلى الحريري ؟ وكان إليوت معروفا بالانحراف عن جون ماثون John Milton الشاعر الإنجليزى الكبير المشهور ؛ ومن جون ماثون استفاد هو طريقة مذهبه فى الإشارات والاقتباس فتأمل هذه الالتهواء ؛ وكأنما كان أسلوب أمثالها له ديدنا وطبيعة والله تعالى أعلم بسرائر غيابات النفوس ؛

ويدعو الداعون إلى الاقتداء بأسلوب إليوت والمذهب بمذهبه ويبغون بذلك النهوض بالشعر العربى الحديث وبث روح جديد فيه أو هكذا يقولون . وفى هذه القضية نظر . هذا أقل ما يقال . ولو قلنا إنها قضية دعوى من الضلال البعيد والانحراف السمج ما غلونا . وإليك بعض البيان :

أولا : لفت نظرى أن تعليقات إليوت التى جعلها فى ذيل منظومته المسماة The Waste Land أى الأرض المقفرة = خالية من الإشارة إلى العرب وما يمت إلى العرب وما العرب يمتون إليه ( القرآن مثلا والإسلام ) مع أن هذه التعليقات ذات حظ وافر من الحرص على إظهار المعرفة العريضة والاطلاع الواسع وبعض الغلو فى ذلك حتى إنها لتوشك أن تشمل أكثر أمم الأرض ولغاتها وآدابها الحاضرة والغابرة :

ثانيا : لفت نظرى أن إليوت قد ضمن منظومته ( راجع = The Waste Land and

other Poems طبعة لندن فى السنوات ١٩٧٢ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥ م ) فى السطر ١٠٠ - ١٠٣ ص ٣٠ إشارة إلى شئ من شعر وليم وردزورث William Wordsworth الرومانتكى الإنجليزى الكبير وفى السطر ٢٦٣ - ٢٦٥ من ص ٣٧ إشارة إلى شئ من شعر والتردى لاير Walter de

la Mare من شعراء صدر هذا القرن الشديدى التأثير بالرومانتكية . ولم يذكر فى تعليقاته شيئا يدل على هاتين الإشارتين . وقد يبدو لأول وهلة أن سبب هذا السكوت هو شهرة الشعر المشار إليه . ولكننا نجد أن إليوت يشير إلى بيت مشهور تكرر فى منظومته من شعر SPENCER سبنسر ( راجع ص ٣٣ و ٣٤ س ١٧٦ و ١٨٣ ) وآخر مشهور جدا من شعر ANDREW MARVEL أندرو مارفيل ( راجع ص ٣٤ س ١٩٦ ) وأشياء معروفة من التوراة والإنجيل وغير ذلك . إذن ينبغى أن نبحث عن سبب آخر لسكوت إليوت عن البيان غير شهرة ما أشار إليه على نحو ما هو معروف من مذهبه .

ثالثا : لفت نظرى أن ذكر العرب الذى قد أضرب عنه إليوت كل الإضراب له ورود واضح فى أصل الإشارتين اللتين تضمنت معانيهما وألفاظهما الأمطار التى أشرنا إليها من قبل فى منظومته - الإشارة الوردزورثية ، نسبة إلى وليم وردزورث ، فى الأسطر ١٠٠-١٠٣ والإشارة الديلميزية ،



نسبه إلى والثرى لأمير ، في الأسطر ٢٦٣ -  
٢٦٥ « ١ » الإشارة التي وردت من إليوت  
في س ١٠٠ - ١٠٣ من ص ٣٠ إلى شئ من  
شعر ولیم وردزورث هي قوله :

..... Yet there the nightingale Filled  
the desert with inviolable voice and still  
she cried, and still the world pursues  
Jug jug' to dirty ears

### ترجمة تقريبية :

ولكن هناك البلب

ملاً كل الصحراء بصوت لا يطمث ولا يغتصب

واستمر يصيح وتستمر الدنيا تطارد

زقزقة صغيرة إلى الآذان القدرة

هذا الذي أشار إليه إليوت من شعر ولیم

وردزورث هو قول هذا في منظومته

The Solitary Reaper أي الحاصدة المتوحدة :

O listen for the vale profound Is over-  
flowing with the sound. No nightingale  
did ever chant more welcome notes to  
weary bands of travellers in some shady  
haunt Among Arabian sands.

وضعنا خطأ تحت الكلمة الدالة على العرب

من نظم وردزورث لمجرد التنبيه على موضعها

و ترجمه هذا النظم التقريبية كما يلي :

ألا فاسمع فإن الوادي العميق

يفيض منفعماً بالصوت

وما غنى أبداً بلبل

نغات أطيب لجماعات مضمناة

من المسافرين في ظل مكان ما

بين الرمال العربية

أخذ إليوت معنى فيض الوادي وإفغامه

بالصوت من قول ولیم وردزورث حيث

قال (راجع السطر الثاني من كلامه الذي

مر) :

..... Overflowing with the sound

أي : يفيض منفعماً بالصوت

فجاء بقوله في السطر ١٠٠ :

Filled all the desert

أي ملاً كل الصحراء كما مر بك في

الترجمة ، وتتمه السطر في نعت البلب بأن

صوته الذي ملاً الصحراء لا يستطيع أحد له

اغتناباً وطمناً inviolable وأصل هذا

المعنى مأخوذ من حاصدة وردزورث

المتوحدة . شبه إليوت صوت بلبله بالعذراء

الحاصدة المتوحدة التي أفعم صوتها الوادي

العميق وفضاه وردزورث على صوت كل

بلبل ، ونقل عذرية الحاصدة التي لاتنال

لتوحدتها وبدأوتها إلى الصوت نفسه فزعم

له عذرية سرمدية لا يستطيع نيلها بغصب

وطمناً ، لا يطمثها أحد لا إنس ولا جان

كحور الجنة . وأزعم أن إليوت لا يخاف أن

يكون نظر في قوله inviolable إلى هذا

المعنى القرآني - قال تعالى في سورة الرحمن

في وصف الخور العين : لم يطمثهن إنس

قبلهم ولا جان» ؛ وذلك أن ترجمات القرآن في اللغة الإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا كثيرة والاطلاع عليها واسع .

هذا وإليوت في السطر ٩٩ من منظومته يذكر تغيير صورة فيلوميل Philomel

في نوع من تكلف وإقحام :

The change of Philomel .....

وهو يريد بذلك أن يوقع في وهمنا أنه يشير إلى خسر Philomela فيلوميليا الأسطوري وخلاصته (وقد أشار إليه في التعليقات ص ٤٦) أن ماكا تزوج أخت فيلوميليا (أو فيلوميل) ثم شغف بها هي حبا وغصبها نفسها ثم قطع لسانها لكيلا تكلم أحدا بذلك فاحتالت على بث خبرها بتطريز طرزته وتنتهى الأسطورة بمسح الغاصب والمرأتين طيرا وصيرورة فيلوميليا (فيلوميل) بلبلًا لتتغنى كالتعويض لها عن لسانها الذي قطع . وما أشبه كلمة بلبل بفيلوميل لسهولة تحول الفاء والميم باء ويجوز أن أصل اللفظين واحد قديم موغل في القدم . وهل لذلك صلة ببابل وهي من أمهات الحضارة ؟ ومن خطأ اليونان أو غيرهم في هذه الأسطورة نسبة الغناء إلى أنثى البلبل لأن الصادح في الحقيقة هو الذكر .

والدليل القاطع على أن أصل معنى إليوت أخذه من حاصدة وردزورث المتوحدة محاكاته الواضحة لصياغة وردزورث .

استبدل إليوت قول وردزورث الرمال العربية Arabian sands بقوله هو « كل الصحراء All the desert » وما قوله كل الصحراء . إلا كما لو قال رمال العرب أو الرمال العربية أو الصحراء العربية . واستبدل إليوت قول وردزورث للجاعات مضتة « to weary bands » بقوله هو « للآذان أو إلى الآذان القدرة » to duty ears « وشبه الصياغة ودليل الأخذ في النص الإنجليزي واضح جدًا . ولاحظ مع هذا أن إليوت حذف اللفظ الدال على العرب حين استبدل قول وردزورث « بين الرمال العربية » بقوله هو « كل الصحراء » : وردزورث : Among Arabian sands إليوت : Filled all the desert

وقول إليوت

Jug jug to dirty ears ...

أى : زقزقة صغير البلبل إلى الآذان القدرة .

إنما جاء فيه بحكاية الصوت « زقزق » ليوهم بأنه يشير إلى شكسبير ومعاصريه لكثرة ورود هذه الحكاية في أشعارهم ويصرف الأذهان عن محاكاته لوردزورث كما بينا من قبل .

ولا يخفى أن ثمة رابطة قوية بين طي إليوت لذكر العرب وطيه لذكر وردزورث وأن هذا الأمر قد كان منه عن عمد لا مجرد مصادفة واتفاق .



« ب » الإشارة الديلميرية نسبة إلى والتردى  
لامير .

قال إليوت في منظومته السطر ٢٦٣ -  
٢٦٥ ص ٣٠ :

Where fishmen lounge at noon, where  
the usalls of magnus martyr hold.  
Inexplicable splendour of Ionian white  
and gold.

الترجمة التقريرية :

حيث يستريح صائدو الخوت في نصف  
النهار ، حيث جدران (كنيسة) ماغنس  
الشهيد تحوى :

مايعجز الشرح من روعة الأبيض اليونانى  
والذهبي .

الكلمة Inexplicable في هذا النص  
ومعناها مايعجز الشرح والتفسير تشبه في روح  
الفكرة والصناعة كلمته التى تقدمت في  
أخذه من وردزورث وهى inviolable  
أى لا يستطيع اغتصابه . وفكرة الأبيض  
اليونانى والذهبي فيها مشابهة من فكرة إقحامه  
فيلوميل من قبل من حيث الإيهام بالرجوع  
الى الأصول القديمة الكلاسيكية وصرف  
النظر عن موضع الأخذ القريب .

وكذلك ذكر كنيسة ماغنس الشهيد وتعميمته  
بذكر المعمارى رن WREN في ص ٤٨ وهو  
السير كرسطوفر رن SIR CHRISTOPHER  
WREN يشبه إقحامه «زقزق» ليصرف النظر  
عن أخذه عن دى لامير ويوهم بإشارة بدل  
ذلك إلى هذا المعمارى وعصره الرفيع في  
تأريخ الحضارة والفن والأدب .

عنى إليوت بالأبيض اليونانى والذهبي  
من قوله المتقدم نقوش القسيساء التى في  
سقف الكنيسة من الداخل وأصاها يونانى  
وقول إليوت : Magnus Martyr أى

ماغنس الشهيد عنى به كنيسة القديس ماغنس  
SAINT MAGNUS وذلك سم كنيسة مما  
صممه المعمارى المهندس السير كرسطوفر رن .  
ومعنى « مارتر Martyr » التى أقحمها  
إليوت هو الشهيد ، وصف وصف به  
القديس ماغنس المسماة باسمه الكنيسة .

(راجع A HISTORY OF ARCHITECTURE  
أى تأريخ العمارة لمؤلفه السير بانستر فلتشر  
SIRBANISTER FLETCHER طبع مدينة  
لندن سنة ١٩٤٨ م ص ٨١١ - ٨١٥) .

السير كرسطوفر رن Sir Christophet Wren  
(١٦٣١ - ١٧٢٣ م) من كبار رجال الفكر  
والعلم والهندسة والعمارة في بريطانيا في  
القرن السابع عشر الميلادى ، وثيق الصلة  
بملكها مئارس الثانى ، أعاد تصميم عدد  
كبير من كنائس مدينة لندن بعد حريقها  
الكبير في سنة ١٦٦٦ م وما أعاد تصميمه  
كاتدرائية القديس بولص المعروفة SAINT  
PAUL'S ونقوش سقفها الداخلية البيض  
الملهبات تعد من الروائع وقد حاكى بها  
كريستوفر رن طريقة مايكل أنجلو الفنان  
العظيم في تصميمه كنيسة القديس بطرس بروما  
وقد حاكى كرسطوفر رن فن النهضة في  
سائر ما صممه ولا يستبعد أن يكون إليوت  
ضمن قوله ( ماغنس مارتر Magnus  
Martyr ) على شرحه المتكافئ له في ص



٤٨ في التعليقات ، معنى كاثارائية القديس بولص تشبها لها بكنيسة القديس بطرس في روما إذ لا يخفى أن بطرس الحواري هو شهيد المسيحية العظيم ( ماغنس مارتير ) وهذا معنى جانبي تجيء ظلاله من طريق تداعي المعاني والأول مع الشرح هو الظاهر والكنى أحسب أن هذا هو المقصود وهو الأصل هـ  
أضرب إليوت عن ذكر دي لامير وأخفاه

وقول والتردي لامير الذي أشار إليه هو أول كلمته ARABIA أي الجزيرة العربية ، هذا هو العنوان - ( انظر ص ١٥٥ من مختارات . الشعر الإنجليزى المسماة

Selections from Modern Poets

لصانعها ج. س. سكوير J.C. SQUIRE طبع لندن - مارتن سكر MARTIN SECKER سنة ١٩٢١ م . قال والتردي لامير في أول منظومته :

Far are the shades of Arabia,  
Where the princes ride at noon,

هذان أول سطرين وقد نظر إلى هذين السطرين وإلى ما بعدهما إليوت نظراً شديداً في الأسطار التي ذكر فيها فياوميل والتي قبلها ( راجع من أول الفصل الذي عنوانه لعبة الشطرنج حيث يبدأ بشئ كميحاكاة وصف شكسبير لسفينة كليوبترا إلى السطر ٩٩ ) وليس ههنا موضع تفضيل ذلك .

وترجمة سطر دي لامير على وجه التقريب :

هيات ظلال جزيرة العرب

حيث يركب الأمراء في نصف النهار . . .

استبدل إليوت عبارة دي لامير the shades of Arabia ( ظلال جزيرة العرب ) بعبارة هو ... the walls / of magnus martyr ( جدران كنيسة ماغنس الشهيد ) .

حذف إليوت اللفظ الدال على العرب وهو جزيرة العرب Arabia واستبدله بكنيسة ماغنس الشهيد وجعل الجدران في مكان الظلال التي في عبارة والتردي لامير ولا يخفى أن الجدران وثيقة الصلة بالظلال . والغرار عن جزيرة العرب Arabia إن يك بعضه صادراً عن تعصب ديني أو عنصري أو عقابيل شعور صليبي ؛ ما يدعو إلى التماس ملجأ عند الكنيسة إذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والإسلام والجهاد .

وقد كان والتردي لامير ( ١٨٧٣ م - ١٩٥٦ م ) معاصراً لإليوت ، أسن منه شيئاً ووصفه تأريخ كمبردج الصغير لآداب اللغة الانجليزية بالأصالة والملكة ذات الطبع الحدّاب - ( انظر ص ٨٤٧ - ٨٤٨ من كتاب

The Concise Cambridge History of English Literature

لمؤلفه جورج سامبسون George Sampson طبعة ١٩٧٥ م ) وقد كان ذا روح رومانتيكي وطوى إليوت ذكره طياً مع أن شاهد محاكاته له واضح في الصياغة والتركيب كما طوى ذكر العرب والجزيرة العربية هـ

واستبدل إليوت لفظ الأمراء the princers  
الوارد في بيت دي لامير بقوله the fishmen  
أي صائدو الحوت وقول دي لامير ride  
( يركب ) بقوله lounge ( يستريح )  
واحتفظ بلفظا نصف النهار at noon وهو  
وحده كاف في النسيمة بالمحاكاة . وكرر  
إليوت لفظ Where ( حيث ) الوارد في  
بيت دي لامير :

.... Where the princes ride at noon  
( حيث يركب الأمراء في نصف النهار )  
يترنم به كما ترى :

لا يخفى أن ثم رابطة قوية بين طي إليوت  
لذكر دي لامير وجزيرته العربية كما بين  
طيه لذكر وردزورث ورماله العربية .

بعض هذا مرجعه كما قدمنا منذ حين  
إلى الشعور الصليبي الموروث والتعصب  
الديني والتعصب العنصري ، وبعضه مرده  
إلى الزهو والغرور والاعتداد بالانتماء إلى  
حضارة اليونان والرومان وأوزوبوا والسوربون  
وهافارد واكسفورد والاستنكاف عن أن  
ينسب إلى الرومانتيكية لادعائه الانتساب إلى  
الكلاسيكية مع أنه غارق إلى أذنيه في  
الرومانتيكية مدين لشاعرها وردزورث السابق  
له في الأوان ولشاعرها والتردي لامير  
المعاصر له في الزمان ، وبعضه مرده إلى  
شخصيته وبيئته كنشأته في أمريكا وتحوله  
إلى الجنسية البريطانية وتقلب أهوائه في  
السياسة والدين ، وأكثره مرده إلى طموح

جامح طلب بملكة محدودة المدى أن يساوى  
ملتون وشكسبير ويحل كمثل محلها في عصره ،  
معتمداً في ذلك على الكد والمكر والدهاء  
كالذي رأيت من كتمانها محاكاته لوردزورث  
ودي لامير وتغطية ذلك بضباب من  
الكلاسيكية والتعليقات الأكاديمية . وكتمانها  
أمر دينة لها وإضرابه عن ذكرها في النص  
والتعليقات كذلك كتم أمر دينه للعربية وأضرب  
عن ذكره والإشارة إليه كل الإضراب .

ووجدت في كتاب برنارد برغونسي عن  
ت : س : إليوت في طبعته البريطانية  
الثانية سنة ١٩٧٢ م س ١٤٣ ( راجع الكتاب  
واسمه بالإنجليزية :

T.S. ELIOT BY BERNARD BERGONSI

أشطارا هجاء بها أحد نقاده ونصها كما  
يلي :

How unpleasant to meet Mr. Eliot !  
With his features of clerical cut,  
And his brow so grim  
And his mouth so prim.  
And his conversation, so nicely  
Restricted to what *Pleisely*  
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :  
ما أسمع لقاء المستر إليوت  
بسمت تقاطيعه الاكليروسي  
وبحاجبه جلد الكاليج  
وبفمه جلد المتنطس  
وبمحادثته حق الحريصة على أن



تتقيد بأمثال ماذا تقول على وجه التحديد ،

وأمثال إذا كان ويجوز ولكن .

ومع ما في هذه الأشرطة من سخرية ومرارة  
فإن الصورة التي تطالع القارئ منها غير  
بعيدة الصفة والملامح جداً مما يطالع قارئ  
شعر إليوت من أثناء أسطاره وتعليقاته  
قبل أن يطلع عليها . وفي الذي قدمنا ماعسى  
أن يشهد بصحة ما نقوله في هذا الصدد :

\* \* \*

قال الشاعر الجاهلي أحد أصحاب المعلقات ،

لبيد بن ربيعة العامري :

عفت الديار محلها ومقامها

بمى تأبد غولها ورجامها

وضعنا خطأ تحت ( عفت الديار ) إذ

لفتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان  
إليوت لمنظومته The Waste Land أى الأرض  
التي جُعِلَتْ عَافِيَةً فأقوت وأقفرت  
وعفت وعفتها السنون :

\* وغيّر الأيام والليالي \*

كما قال ذو الرمة :

في قاموس الدكتور صمويل جونسون  
أن معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل  
أولا يدل على تعفية المكان وجعله قفراً وثانياً  
يدل على الخلو كل الخلو مثل خلو الصحراء  
والبرية التي لا ديار فيها . وكلا المعنيين  
متضمن في عنوان إليوت The Waste Land

أى الأرض التي أقفرت أو الأرض المقفرة  
أو قل عفت الديار :

ولإليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان  
لفصله الأول هو :

The Burial of the Dead.

أى : دفن الموتي .

هذا أيضاً لفت نظري على بُعد في ذلك

شعراء العرب تبدأ في باب الأطلال بذكر  
تعفية الديار ثم تذكر أن الرياح دفنتها بما أهالته  
عليها من غبار : ثم جاءت رياح أخرى  
فأزالت هذا الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة  
فيعرفها الشاعر بعد تأمل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالقراءة لم يعف رسمها  
لما نسجت من جنوب وشمال

وقال ذو الرمة : وبائته مما ترجمه الأفرنج  
وتشروه وحققوه :

من دمنة كشفت عنها الصبا سفعاً  
كما تنشر بعد الطية الكتب

وقال لبيد بعد قوله : ( عفت الديار )  
الذي معناه كعنى عنوان إليوت

The Waste Land

فدافع الريان عرّى رسمها  
نخلقاً كما ضمن النوحى سلامها

أى كانت مدفونة فعرّتها الرياح وعرّتها  
السيول فأظهرتها ، وذلك قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها

زهر تجدد متونها أقلامها



وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم  
كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى  
بدت كالنقش القديم على حجارة آثار  
الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد :

رزقت مرابع النجوم وصاحبها  
ودق الرواعد جودها فرهامها

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت

بالخلهتين ظباؤها ونعامها

والعين ساكنة على أطلالها

عوذا تأجل بالفضاء بهامها

وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر تجد متونها أقالمها

وموضع استشهادنا هو البيت الأول

الدال على أن مدافع الريان التي دفنتها الرياح ،

وهذا المعنى مستضمن معروف ، قد عرّيت

فبدت ملمساً عليها الآثار كالنقوش إما عرّيتها

رياح معاكسة التي دفنتها وإما عرّيتها السيول ،

ورُبَّ قائل إن المعاني مشتركة والعواطف

الإنسانية التي تلبس المعاني متقاربة ونحواطر

البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديماً ما قيل ،

قد يقع الحاطر على الحاطر كما يقع الحافر

على الحافر ، ويُرد على مثل هذا القائل بأن

الصياغات والأشكال البيانية والرنات المغيرة

المؤثرة هي التي يتفوق بها الشعراء والكتاب

والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهي التي

يقع فيها التقليد الأنحس والتوليد والنظر

والإغارة والاختلاس . ولقد فطن إلى ذلك

نقاد العرب القدماء وخصصوا له الأبواب

في تصانيفهم . وما تعمقوا في الفطنة إليه

والتنبيه عليه أن الأنخذ يكون نوع

الصياغة كما يكون في المعاني . من ذلك مثلاً

ما ذكره عن أبي عبادة البحرى أنه سأل

النوبختي عن بيت أبي نواس :

ولم أدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرُ مَا شَهِدَتْ بِهِ

بشَرْقٍ سَابِطِ الدِّيارِ البَسَابِيسُ

وهو آخر أبياته السينية الحميمة التي أولها :

ودارِ ندامي عطلوها وأدْجَلوها

بها أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ ودارِيسُ

أتدري من أين أنخذ أبو نواس قوله ؟

قال النوبختي فقلت لا . قال من قول

أبي خراش :

ولم أدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءَهُ

ولكنَّه إِقْدَسُ عَنْ ماجِدٍ مُحَضَّرٍ

قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : أما ترى

حذو الكلام واحداً ؟

وأبو خراش من شعراء هذيل والبيت من

قطعة يذكر فيها أبو خراش مقتل أخيه

عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلاً ألقى

على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف

هذا الرجل فهذا مراده من قوله : « ولم أدْرِ

من ألقى عليه رداءه ، وفطن البحرى إلى

أن أبا نواس حذا كلامه على نهج كلام أبي

خراش مع اختلاف المعنى والموضوع .

وقد كان البحرى ناقدًا ثاقب النظر ( راجع

السخيرة لابن بسام : دار الكتب مصر

سنة ١٩٣٥ م 'القسم' الأول المجلد الأول  
ص ٥٩ - ٦٠ )

ومن أمثلة حذو الكلام على الكلام مع  
شدة مراعاة الصياغة على تقارب المعاني قول  
المعري يصف نار القرى :

حمرء ساطعة الذوائب في الدشجى  
ترمى بكل شرارة كطراف

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعري كلامه على الآية : « إنها  
ترمى بشرير كالقَصْرِ » وقد نبه على هذا  
الزمخشري في تفسير هذه الآية في الكشف .

ومن أمثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع  
تباعد المعاني قول المتنبي :

فيا شوق ما أبقى ويالى من النوى

ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

وهو في نسيب قصيدته ( فديناك من ربح  
وإن زدتنا كربا ) حذاه على منهج ليلي  
الأخيلية في رثائها توبة بن الحمير حيث  
قالت :

فيا تَوْبَ للهيجا ويا تَوْبَ للندى

ويا تَوْبَ للمستنجح المتشور

اهتم أبو الطيب كما ترى بمحاكاة الإيقاع  
( راجع إلتماسة عناوين الشعراء ص ١٢٢ )

ولنما استطرنا هذا الاستطراد للتنبيه على  
أن الأخذ لا يقع في المعاني وحدها وأن  
التشابه والتوافق وتوارد الخواطر في المعاني

جائز ، أما الصياغات وأشكال الأداء  
فأمرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابهاً فيها  
وجب علينا أن نرجح أخذ المتأخر في الزمان  
عن المتقدم وأن نجزم بذلك حتى ما وجدنا  
ما يدل على الصلات والوسائط التي يكون بها  
الأخذ. ورب حذس كثير جريح وترجيح  
كجزم . والله تعالى أعلم :

ونحن إذ ذكرنا لبيداً والأبيات الأوليات  
من معاقته فريد التنبيه على حذو إليوت على  
شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى أول  
معاقه لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على  
نماذج من معاقه امرئ القيس - على أنه  
لا ينبغي أن ننسى غموض إليوت والتواءات  
أسلوبه ولا شبيثته ذات السطح المتعمق :

سياق معاني لبيد هكذا :

(١) تعفية الديار : The Waste Land

(٢) اندفكات الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت

معالمها : The Burial of the Dead

(٣) هطول أمطار الربيع وما نشأ عنها

من زيادة التعفية .

April is the cruellest month

جعانا في مقابلة سياق لبيد بعض

عناوين إليوت وابتدأته : سياق تأليف

إليوت ينتهى بعد عناوينه ، The Waste Land

( الأرض المقفرة ، الأرض التي عفت ،

عفت الديار ) The Burial of the Dead

( أى دفن الموتى وقد تقدم كلاماً عنه )

بذكره الربيع وأمطاره كالذي صنعه لبيد  
في قوله :

رزقت مرابيع النجوم وصاها  
ودق الرواعد جودها وجهامها

قال إليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان  
طريقة بدء قدمائنا بهاء الديار واندفانها  
( انظر منظومته من السطر ١ - إلى - ٨  
ص ٢٧ ) :

April is the cruellest month breeding  
Lilacs out of the dead land, mixing  
Memory and desire, stirring Drill roots  
with spring rain. Winter kept us warm,  
covering Earth in forgetful snow, leading  
A little life with dried tubers.  
Summer surprised us .....

نافت النظر أول شيء إلى لزوم إليوت  
في خمسة من أسطاره هذه نظاماً ذا شبه  
بالتأنيث العربية وهو الصيغة الصرفية ( انق )  
ing . وقد جاء بسجعة تامة في breeding  
( بريدنق - القاف مقاربة للكاف كنطقها في  
دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية  
feeding ( فيدنق ) وكالتامة في stirring  
( ستيرنق ) وفي covering ( كقرنق )  
وترجمة كلام إليوت الذي مر كما يلي على  
وجه التقريب :

أبريل أقسى الشهور ، منبتاً ،

زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجاً .

الذكرى بالشهوة ، مشيراً .

الحدور الفاترة بمطر الربيع ،

كان الشتاء قد حفظنا في دِفءٍ ، مغطياً  
الأرض في الجايد الناسي ، مطعماً :

حياة قلبية بأنابيش جافة  
فاجأنا الصيف . . .

قول إليوت : أبريل أقسى الشهور إلخ  
بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد  
دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه  
قول لبيد :

رُزِقْتُ مَرَّابِعَ النجوم وصاها  
وَدَقُ الرواعد جَوْدَها فرهامها

الجود بفتح الجيم وسكون الواو المطر  
الغزير والرهام بكسر الراء وهاء مفتوحة  
بعدها ألف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء  
وسكون الهاء وميم مفتوحة بعدها علامة  
التأنيث التاء المتحركة وهي الأمطار الخفاف  
اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق  
الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have  
made their hills green and luxuriant :  
the drops from thunder clouds have,  
drenched them with profuse as well as  
gentle showers.

Showers

مجمل معنى كلام لبيد أن أمطار نجوم  
الربيع هطات على هذا المكان المقفر فزادته  
توحيشاً لتعفيتها كل أثر وخلوه من الأحبة ،  
ولخلول النعام والبقر الوحشية وما أشبه فيه  
بعد عهدهم . هذه قساوة لا تخفى ،



مع هذا عاينا أن نتذكر أن السير  
وليم جونز جاء في ترجمته بكلمة Showers  
ومعناها رش المطر وهموله في قوله :

.... Profuse, as well as gentle showers...

ليدل بذلك على معنى المطر الغزير  
(الجود) والأمطار الخفاف اللطاف (الرهام)  
أو كما قال لبيد : وَدَقُّ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا  
فَتَرَاهُمُهَا .

قول وليم جونز هنا « Showers... »  
ينبغي أن يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً  
ما ترتبط في الذهن بالقول الانجليزي المعروف  
الحارى مجرى المثل :

March winds, April showers, Bring forth  
May flowers.

أى رياح مارس وأمطار أبريل .

تخرج بهن أزهار مايو .

« لا يخفى أن مارس هو آذار وأبريل نيسان  
ومايو أيار فمن شاء أن يضع ذلك مكان  
ما وضحناه فله أن يفعل ) .

وأبريل بحبوحة أشهر الربيع فذكره يدل  
عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير  
إلى أنه لو صح أن إليوت أطلع عليها فإنه  
يكون نبى قوله « أبريل أقسى الشهور »  
على كلمة ( Showers ) الواردة فيها .  
وقد سبق التنبيه منا على أن قوله : « أبريل  
أقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء  
والأندفان شبيه في سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فقامها : .

(٢) فبجلا السيول عن الطلول . . .  
(٣) رزقت مرابيع النجوم . . .  
ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجىء من  
بعد أن شاء الله :

هنا نتساءل : هل أطلع إليوت حقاً على  
ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

كان السير وليم جونز. Sir William Jones  
(١٧٤٦ - ١٧٩٤ م) من قدماء الاستشراق  
وجهاً بذته تعلم في هافارد واكسفورد .  
( التى قصدها إليوت وتعلم بها ) وأتقن اللغات  
الكلاسيكية ( أى اليونانية القديمة واللاتينية )  
مع الفرنسية ولغات أوربية معاصرة  
أخرى ودرس العربية والفارسية وكتب  
ملخصاً في نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله  
بالقانون عيّن قاضياً بالحكمة العليا بفورت وليم  
( كالكتا ) بالهند وتعمق في درس السنسكريتية  
( لغة الهند القديمة ) وكتب رسالة عن الشعر  
الشرقي باللغة الفرنسية

TRAITÉ SUR LA POÉSIE ORIENTALE

طبعت أول مرة بلندن سنة ١٧٧١م [ وأعيد  
طبعها وأعاد كتابتها بلغته الإنجليزية أيضاً ]  
أشاد فيها بمكان الشعر العربى ونبه على  
موضع معلقة لبيد وامرئ القيس واستشهد  
في ما استشهد بقول أبى تمام :

إن القوافى والمساعى لم تزل  
مثل النظام إذا أصاب فريدا

هى جوهر نثر فإن ألفه .

بالنظم صار قلائداً وعقوداً

مترجماً للبيتين من دون ذكر نصهما العربي  
وله مختارات من أشعار العرب والفرس  
وأهم المشرق من ضمنها لامية المعري .

أعن ونحد القلاص كشفت حالا  
ومن عند الظلام طابت مالا  
أوردها نموذجاً لشعر المدح الذي استشهد  
على أهميته ببتي أبي تمام المتقدمين . وكان  
أبو تمام من أوائل من عرفه المستشرقون  
وطبعت حماسته في ألمانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت  
باللاتينية وقد تأثر بجوته الشاعر الألماني  
في ترجمته للامية المنسوبة إلى تأبط شرا :

إن بالشعب الذي دون سلع

لقتيلاً دمه ما يُطَلّ

بترجمة فرتياخ اللاتينية في مازعمة المستشرق  
الإنجليزي السير شارلس ليال . ( انظر ترجمته  
لها وتعليقه ص ٥٠ مختاراته المترجمة من  
الشعر العربي القديم

TRANSLATIONS OF ANCIENT  
ARABIAN POETRY

تأليف شارلس جيمس ليال

CHARLES JAMES LYALL

الموظف ببينغال طبع لندن ١٨٨٥ م .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر  
هو نفسه أنه صنعها متأثراً بترجمة ألمانية  
للحماسة :

وقد ترجم السير ولیم جونز المعلقة السبع  
ترجمة حسنة ناصعة الأسلوب وجعل لكل  
معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن

الوزن وما يقابلها من أوزان الإنجلیزية  
وعن طريقة أسلوب الشاعر ومعاينه وتشبيهاته  
ومجازه وعناصر الوحدة في نظمه وأردف  
ذلك بكتابة بالحرف اللاتینی بحسب النطق  
لكل معلقة مبالغة منه في التقريب . وقد  
تأثر به واقتدى ليال في كتابه المشار إليه  
آنفا ونيكاسون في ترجماته التي ضمنها  
تأريخه للادب العربي . ولم يترجم ليال من  
المعلقة غير آخر لامية امرئ القيس  
وغير ميمية زهير وكأنه اكتفى في هذا المجال  
بعمل السير ولیم جونز لحدوده . وترجمه السير  
ولیم جونز للمعلقة في ٤٦ صفحة نشرت  
وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م  
ومرات بعد ذلك وتوجد من ذلك نسخ  
في مكتبة المتحف البريطاني وأيتها ومن قبل  
اعتمدت على نسخة صورت لي منها وفي  
كبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير  
ولیم جونز صورت لي منها نسخة من رسالته  
عن الشعر الشرقي المشار إليها آنفاً ولا ريب  
في وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد  
وسوى ذلك من ذلك من خزانات الحياة  
وترجمة السير ولیم جونز المستشرق في الجزء  
الثالث عشر من الموسوعة البريطانية ومكان  
اسمه في الفهارس عامراً بماله من تصانيف  
ومن أهم تأليفه ترجمته للسكونتالة  
وهي من مسرحيات اللغة الهندية القديمة .  
وترجم الموسوعة البريطانية ( ج ١٣ ص  
٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م . ) أن مؤلفها كاليداس  
KALIDASA من أدباء الهند القديمة عاش



في المائة الميلادية الثالثة والسير ولیم جونز كتاب في الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند المسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مما هو ادخل في حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع .

إذا تذكرت أيها القارئ الكريم أن إليوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنين بهارقارد وفلسفة الهند مدى سنه وهو يعد للدكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر ، وقد قال : إن دراسته هذه ، معترفاً بما أصاب فيها من مشقة ، تركته في حيرة مستنيرة enlightened mystification ( راجع كتاب برغونزى ص ٢٣ ) ومع ذلك كان يزعم أنه كان يتذوق الشعر - السنسكريتي وقد ترك في نفسه أثراً عظيماً. إذ تذكرت هذا وأضفت إليه صحبته لإزرايوند وتأثره به وكان هذا ذالوع صادق فيه أو كاذب بلغة الصين وآدابها . وإذا أضفت أيضاً أن إليوت اتصل بجماعة التصويرين Imagists - وكانوا يدعون إلى محاكاة اشعار الشرق واساليب اغاني العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا ان إليوت نفسه قد ذكر أنه كان قرأ في صباه رباعيات الخيام المترجمة وأعجب بها .

احسب أن إليوت قد ذكر أن ذلك كان سنه في زمان العبا أنفة منه أن ينسب إلى - الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية .

زعمه وواقعية مجادة ؟ ونذكر على سبيل الاستطراد في هذا الصدد مقال برتراند رسل Bartrand Russel في كتابه : HISTORY OF WESTERN PHILOSOPHY تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ١٩٧٤ م ص ٦٥٤ حيث قال عن الرومانتيكين الألمان : إنهم كانوا شباناً وفي أوج شبابهم كان أجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكي ، أما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت في الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكتلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إليوت من مذهب أسرته وآبائه البيوريتاني - والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتي - إلى محافظة الكتلكة الإنجليزية من دافع رومانتيكي يا ترى ؟ هذا وإذا تذكرت مع ما تقدم أن إليوت أديب مثقف ناقد قارئ وذو دعوى في ذلك طويلة عريضة ، ألا ترجح معي حينئذ ألا يكون قد خفي عنه مكان السير ولیم جونز المستشرق في معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وآدابها وفلسفة الهند القديمة . ما زعم أنه أثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسراً وانصرف عن مواصلة درسه متخيراً مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة ولیم جونز كانت من مقرر الدرس . وقد كانت رسالته الفرنسية وأختها الإنجليزية عن الشعر الشرقي معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا أنه نبه على الملاحظات وعلى أمر القيس وليبد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بأن الافرنج الاوائل إنما أخذوا القه في عن



عرب الأندلس : أضفت إلى هذا أن إليوت كان معجباً بالبريطانيين وامبراطوريتهم معتزلاً بذلك ، وقد ترك بلاده التي كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار في سنة ١٧٨١ م وإعلانها حقوق الإنسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وبريطانية أقام وإلى كنيسة الإنجليكو كاثوليكية انتهى ؟

ونذكر من باب الاستطراد أن إليوت كان شديد الإعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دن John Donne وكان غامض العبارة كثير الإشارة ملتوى عقيد الأسلوب واسع الاطلاع عالماً بالكوميديّة الإلهية لدانتى في نصّها الأصيل من أسرة متطرفة في الكاثوليكية بشأ كاثوليكيّاً ثم تحول إلى كنيسة إنجلترا الإنجليكو كاثوليكية وأخلص في خدمة الملك واهمه بعض نقاده بأنه كان في نفسه منظوياً على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث أسرته فذلك جرّ عليه كثيراً مما أخذ به من عقيد الأسلوب . وحمد النقاد لحون دون أنه قارب برنة نغمه الشعري رنات نبرات الكلام الذي يدور في حديث الناس . هذا والشىء بالشىء يذكر ، فتأمل .

ونعود إلى ما كنا فيه فنقول : لا بد أن يكون إليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز في شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه في هذا الباب الشرقي القصي الذي كان فيه من أعمدة أستاذيته : شارلس لامان وجيمز وود :  
( Charles Lamman and James Wood )

أستاذى السنسكريتية والفلسفة الهندية بها قارد بلا ريب . وهل تظن أيها القارىء الكريم أنه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراة أن يتحير ويستنير بشعر السنسكريتية - وهو أمر أقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفته ترجمتها متممة لتذوقه - هل تظن أنه إذا اطلع على ذلك وعلى ما ترجم من أدب الفرس وكان إليه مائلاً ولوليم جونز فيه من العمل ما قدمنا ذكره مع اختياراته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى . . . هل تظن أنه إذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بأن السير وليم جونز قد نبه في رسالتيه الفرنسية والإنجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

إن مكتبات الأقسام الشرقية في جامعات أوروبا كثيراً ما تكون في موضع واحد ، وكثيراً ما تقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون إليها ضروب من التعارف وتبادل الآراء ، ويكونون أشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرأ الهندية مثلاً أن يقرأ لمستشرق مشهور كتب في آداب الفارسية أو التركية أو العربية مثلاً أو كتب في باب من أبواب الأدب المحض ذى الطابع الشرقي القوي كالسير شارلس داوتى Sir Charles Doughty في كتابه ARABIA DESERTA ( أي الصحراء العربية ) ورديارد كبلنج Rudyard Kipling في قصته KIM ( كم )

وغيرها وكان إليوت به معجباً وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بأنه — كان من كتاب التراويل الدينية العظام فيما ذكره روبسون ( ص ١٧ ) a great hymn writer . وكان للمدرسة الهندية البريطانية في المكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السيروليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس ومن كان ينتمى إليها من الكبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التي مر ذكرها ومن بينها شيء من المعلقة ( زهير وامرئ القيس ) وصاحب ترجمة المفصليات والشرح والتعليق الوافي ( اكسفورد عام ١٩١٨ ) وراجع للمزيد في هذا الصدد تاريخ كمبردج الصغير للأدب الإنجليزي الذي مر ذكره في الفصل الذي جعله للأدب الهندي الإنجليزي من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكارتني على زمان إليوت شعر ذي الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت باثية ذي الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقة بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالألمانية شعر عربي كثير وكان إليوت بالفرنسية والألمانية وغيرهما عالماً وقد درس بألمانيا كما درس ببافيس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون اللغات الشرقية وتقارب أسباب قبيلتهم فكيف يكون الأمر إذ كان أحد هؤلاء أديباً شاعراً طموحاً موسوعياً ذا مقدرة ودهاء

مثل إلهيه وأصاب ضلالة نادرة في موسوعى نادر مثل ولیم جونز الذى لما وصل الهند كان مستشرقاً ناضجاً وزاد بها نضجاً وفتح الطريق لمن بعده ؟

على أن الاستشراق في زمان إليوت في هذا القرن الميلادى العشرين إلى قريب من أوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان الموسوعية فإذا أخذ إليوت مثلاً من الأدب العربى وهو غير معروف بأنه درس لغة العرب وآدابها ولكن معروف بأن درسه إنما كان للغة الهند القديمة ، فمن سيفطن إلى أنه أخذ من الأدب العربى القديم ثم يهتم به بناء على ذلك بالسرقة من أدب العرب ؟

بعيد جداً أن يتنبه أحده إلى أن — السير ولیم جونز صاحب ترجمة السكونتالة أو الشاكونتالة Shatuntala ( تأريخ كمبردج ٧٣٥ ) والمختارات من أشعار فارس والهند والصين هو أيضاً قد كان طريقاً سرياً خفياً سلكه إليوت إلى النظر أو الأخذ أو الاختلاس أو السرقة من أسلوب المعلقة وشكل صياغتها ومعانيها وكتبان ذلك وإخفائه كل الإخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة ( العربية Arabian ) وإشارته إلى ولیم وردزورث وكلمة ( جزيرة العرب Arabia ) وإشارته إلى — والتردى لا مير . نعود بعد هذه الفذلكة إلى ما كنا فيه من تتبع أسطر منظومة إليوت :



أول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة  
إبريل انباته زهرة ليلى وهى التى يقال لها فى  
الإنجليزية : ( ليلاك : Lilac ) ونقل  
برغونزى ( ص ٥ ) أن الليلاك كان كثيراً  
فى سياجاتها فارد النباتية كأنه يشرح بذلك  
وروده فى شعره . وذكر إليوت هذه الزهرة  
أنشورية الإسلامية المعدن فى سياقه الذى  
يقرنها فيه بالد كرى والجنس .

عجب : ( راجع قوله :

...., breeding

Lilacs out of the dead land, mixing  
Memory and desire, .....

والترجمة : منبتاً

زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجاً  
الذكرى بالشهوة ) .

إذ قد كان أشبه بأساليب لغته وحضارته  
لو قد ذكر الوردو كان من ضروب نواوير  
أوربا وبريطانيا وأمريكا - أم ليت شعري  
هل فر من رومانكية الورد وما بمجراه ؟

فى معجم أكسفورد فى تخريج كلمة  
( ليلاك Lilac ) أن أصلها من ( ليلاك )  
العربية ولا وجود لهذا اللفظ ( ليلاك أو ليلاك )  
فى العربية اسماً لهذه الزهرة . وأصل هذا  
التخريج من المستشرق ر . دوزى R. Dozy  
( راجع المجلد الثانى ص ٥٦٢ من معجمه  
ملبية باريس وليدن ١٩٧٢ - واسم المعجم

يدل على أنه تكملة وملحق للمعجم العربية :  
(SUPPLEMENT AUX DICTIONNAIRES  
ARABES)

ظن دوزى أن النيلج بكسر النون هو  
الليلاك Lilac مع أنه كان يعلم أن النيلج  
بكسر النون هو النيل الزرقاء . وذكر -  
الفيروزابادى ( النيل ) بلا تاء فى آخرها فى  
مادة ( رسم ) فى تفسير لفظ الوسمة بفتح  
الواو وكسر السين أو سكونها وبعدها ميم  
مفتوحة فهاء التأنيث قال الفيروزابادى :  
« ورق النيل أو نبات نخضب بورقه » .  
وأحتمل أن الشك جاء الفيروزابادى من أن  
لفظ العظم الوارد فى شعر عنتره يستخرج منه  
صبغ أسود أو النياة وقيل هو صبغ أخضر  
وبيت عنتره هو قوله فى محلقته :

عهدي به ممدّ النهار كأنما

صبغ البنان ورأسه بالعظم

وذكر الفيروزابادى ( النيلج ) بكسر

النون فى مادة ( ناته ) وذكر طريقة استخراج  
( النيلج ) بمعنى ( النياة ) من العظم . جاء  
هنا بالنياة مقرونة بالتاء المتحركة علامة التأنيث  
وفى شرحه لكلمة ( الوسمة ) ذكر النيل  
مثل اسم نهر النيل بلا تاء التأنيث . وكلمة  
( النيلج ) بكسر النون غير عربية الأصل  
ولكن معربة مثل فالودج وليرينج وهام  
جرا ومنى النيلج كما تقدم النبات الذى  
تستخرج منه النياة الزرقاء .

واضطرب شراج بيت عنتره واكتفى  
السير ولیم جوتز برسم لفظ العظم نفسه  
بالحروف اللاتينية من دون ترجمة له ،  
هكذا ( IDHLIM ) والراجح عندي أن



عنتره أراد لون الزرقه لا الحمرة يكنى بذلك  
عن الموت وذها بجمرة دم الحياة . وقد  
نقل عن الأزهرى أنه اختضب بالعظام  
يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره -  
الفيروزابادى وعليه تفسير التبريزى فى شرحه  
أن العظم هو الوسمة ولم يزد على ذلك عنى  
عنتره أن عهنده به ، وقد قتله ، وقد صار  
لون رأسه كاه ، والوجه من الرأس ، ولون  
أصابعه أزرق هامداً بعد أن كان كل ذلك  
مشرقاً ناضراً بالحياة . ولا يخلو عنتره فى  
قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر .  
كأن يقال مثلاً : « صار المسكين أسود مثلى  
أنا العبد بعد أن كان حراً أبيض » . قال  
تعالى : « ونحشر المحرمين يومئذ زُرْقاً » .  
والله تعالى أعلم .

ليس ( النيلج ) بكسر النون هو الليلاك  
Lilac  
الليلاك شىء غير النيلج . الليلاك Lilac  
هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية  
اليوم زهر البنفسج وايس كاه بنفسجياً ولكن  
منه ذو اللون البنفسجى وذو اللون الأبيض .  
وفى معجم أكسفورد ومعجم وبستر أن الشبه  
المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجى  
هو مما جعل اسم « ليلاك Lilac » يطلق  
على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقاً من كلمة  
( النيلج ) الدالة على اللون الأزرق وهذا  
أصله من دوزى وهو بعيد وليس بشىء .  
وفى معجم لاروس الفرنسى أن أصل

« الليلاك » من بلاد الشرق الأوسط وأنه يزرع  
من أجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر  
لاروس أنه من أسرة Oléacées ( أولياسيه )  
التي منها الياسمين والزيتون .

ويظهر أن هذه الكلمة الفرنسية Oléacées  
( أولياسيه ) نفسها قد حرفت من الفارسية  
( جل ياس ) تنطقها كالجيم المصرية بين  
الكاف والقف وتكتب بالكاف المعقودة  
( كل ياس ) . عل أن أصل Oléacées لا تبنى  
فى مدلولها العام .

و ( جل ياس ) أصلها من ( جل ليلى )  
أو ( كل ليلى ) أى وردة ليلى أو زهرة ليلى  
ثم شبهوها بالياسمين فقالوا : ( جل ياس )  
أو ( كل ياس ) بالكاف المعقودة كما ذكرنا  
من قبل .

ونبت أن ( جل ) بالجيم التى كالكاف  
معناها بالفارسية الورد وهى أصل الجل بفتح  
الجيم وضمها الواردة فى شعر الأعشى :  
وشاهدنا الحل والياسمون  
والمسعات بقصاصها

قال الفيروزابادى : ( وبالضم ويفتح  
الياسمين والورد أبيضه وأحمره وأصفره )  
ومن ( جل ياس ) أخذت كلمة Oléacées  
الفرنسية ومنها أخذت الكلمة الدالة على هذا  
الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلاك بكسر  
اللام بعدها ياء فلام ألف ( Lilas ) -  
راجع لاروس الكبير طبعة ١٩١٥ م المجلد ٤



الذى خلف الأحباب على الديار وجعل بحوية  
الربيع يُطْفِل وَيُفْرِخ. ثم يتذكر لبيد الحبيبة  
ويقسو عايبها وعلى نفسه حين يقبّاح في صدره  
أمر انصرام عهودها وتبدد زمان وصلها :  
بل ما تذكر من نوارٍ وقد نأت

وتقطعت أصابها ورسامها

يقول السير ولیم جونز في مقدمته لقصيدة  
لبيد : إن أبياتها الخمسة عشر الأولى من  
روائع التصوير ، يعذل الشاعر في آخرها  
نفسه على هواه الضائع سدى عند امرأة  
لا تستجيب ، فيدعوه ذلك إلى أن يفر من  
الهُوى إلى الراحة ، ثم يعود إلى ذكر محبوبته  
نوار بعد نعت الرحلة برجوع فيه نوع من  
قاة الاهتمام بدلا لها . هذا ماخص كلام  
السير ولیم جونز في مقدمته . أهـ .

ليت شعري هل مجرد توافق خواطر شبه :

١ - قول إليوت في عنوانه The Waste  
Land بقول لبيد : « عفت الديار ... إلخ »

٢ - وقول إليوت في عنوانه The Burial of  
the Dead بطريقة الشعراء العرب ومنهم لبيد  
بأن الديار تنبذن وتكشف آثارها الرياح  
والسيول ( عرى رسمها ) ( وجلا السيول  
عن الطاول ) .

٣ - وذكر إليوت أمطار إبريل وقساوته  
وشبه ذلك بقول لبيد : « رزقت مرابيع  
النجوم ... إلخ » .

٤ - وقول إليوت بإنبيات زهور ليلي  
Lilacs وخاطب الذكريات بالشموات وشبه

ذلك كما قدمنا بقول لبيد : « فعلا فروع  
الأيهقان ... إلخ » .

٥ - وانصراف إليوت عن مطر الربيع  
إلى مطر الصيف حيث قال : « فاجأنا  
الصيف » - هل هذا أيضاً مجرد توافق  
خواطر ؟

٦ - وتذكر إليوت للحبيبة بعد إذ ساقاها  
القهوة وتقطعت أصابها ورسامها ،  
( راجع الأسطر ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ ) ..  
هل هذا أيضاً مجرد توافق خواطر ؟

وقد ركب لبيد ناقته بعد تصرم أميابه  
نوار وشبهها بحمار وحشي وذكر الصيف  
وحره ...

..... وتهيجت

ريح المصايف سومها وسهامها

أى أعاصيرها وسماثها .

٧ - أم هل مجرد توافق خواطر قول  
إليوت في س ٢٣ ص ٢٧ :

And the dead tree gives no shelter

أى : والشجرة الميتة لا تعطى مأوى .

مع شدة شبهه بقول لبيد في وصفه للبقرة  
الوحشية التى أصابت السباع ولدها ،  
وأحاطت بها المخاوف بعد تردها تبحث  
عنه وتناديه بنوح وبغمام ، ولقّنتها بين الرمال  
ليلة ذات برق ومطر وأهوال :

تجفاف أصلا قالصاً متنبذاً

بمعجوب أنقاء يحيل هيابها



ويد الشتاء جديدة لا تنكر  
Winter kept us warm  
شكراً للشتاء . . .

لولا الذى صاغ الشتاء بكفه  
قاسى المصيف هشائماً لا تشر  
شكراً للشتاء - ولأبى تمام الذى مدح الشتاء  
خلافاً للشعراء الذين كانوا يذمون كقول  
الآخر :

إذا اغبر آفاق السماء . . . الخ .  
لقد أفاد إليوت من الشعر العربى إما من  
قراءة تراجم له وإما من مشافهة معاصرين  
له عارفين به .

وقد أفاد من اطلاعه على ترجمة السير  
وليم جونز لا لعلقة لبيد وحدها ولكن لسائر  
المعلقات ، نخذ مثلاً الأسطر ١٩ - ٢٤ من  
ص ٢٧ وهى أولى صفحات المنظومة فى  
الطبعة التى رجعنا إليها :

What are the roots that clutch, what  
Branches grow out of this stong rubbish ?  
Son of man, you cannot say, or guess,  
for you know only A heap of broken  
images, where the pum beats, and the  
dead tree gives no shelter, the cricket  
no relief, and the dry stone no sound of  
water ....

الترجمة على وجه التقريب :  
ما الجذور التى تمسك ؟ ما الأغصان التى  
تنمو .

من هذه القمامة الحجرية ؟ يا بن آدم .  
إنك لا تستطيع إن تقول بيقين أو ظن  
لأنك إنما تعلم .

أى تلتمس بقرنيها جوف أصل شجرة قديم  
فى قعر كئيبان من الرمل منهالة ، وترجمة  
وليم جونز :

She shelters herself under the root of  
a tree

٨ - أم ليت شعرى - بعد الذى لم نشك  
فيه من كتمان إليوت مصادر أخذه من العربية  
هل مجرد توافق خواطر ذكر إليوت لمفاجأة  
الصيف :

Summer surprised us ....

وأن الشتاء أدفأنا

Winter kept us warm ....

يمدح بذلك الشتاء ؟

هل اطلع إليوت على ترجمة ما لبعض  
شعر أبى تمام ، فقد عاش فى الزمان الذى  
كان فيه الاستشراق العربى بين اكسفورد  
وكمبردج ولندن وباريس وألمانيا ضارباً -  
بجبران وكان لأبى تمام صاحب الحماسة فى  
ذلك مكان مرموق - قال حنة ليال فى مقدمة  
اختياراته :

... I ... and was himself a desting-  
unshad poet

أى وكان هو نفسه شاعراً ممتازاً .

هل أطلع إليوت على ترجمة لقصيده أبى تمام  
فى وصف الربيع التى أولها :

رقت وجوه الدهر فهى تمرمر  
وغدا الثرى فى حليه يتكسر

وفىها قوله :

\* جاءت مقدمة المصيف حميدة \*

(أو فاجأنا الصيف

(Summer surprised us

كوه من ظلالٍ متكسرة ، حيث  
الشمس تصلك .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطي مأوى ،  
ولا الصرصور راحة ولا الحجر اليابس  
صوت ماء . . .

أحالنا إليوت على سفر حزقيل أول  
الإصحاح الثاني بالنسبة إلى سطره ( الثاني  
أعلاه ) ٢٠ ليؤكد أن مواده من قوله :  
Son of Man (أى يابن آدم أو يا أيها الإنسان)  
هو معناها الذى فى العهد القديم لا معنى  
« ابن الإنسان » الذى عند النصارى . ولاشئ  
يمنع ملائكة هذا المعنى المسيحى لكلامه هو  
لأنه هو مسيحى الديانة لن يخلو منه بحال  
ولن يخلو من القصد إليه وليس تأكيداً الذى  
زعم بملازم استبعاده أحداً .

وهذه الإحالة لما هو ظاهر من عدم الحاجة  
إليها لا تخلو من تعمية ما وتضاييل . وكاد  
السارق يقول نخدوني مرات . ذلك بأنه فى  
سفر حزقيل فى الإصحاح نفسه بعد رقم  
« ١ » . الذى فيه son of man ورد فى رقم ٢  
و ٣ و ٤ ذكر تمرد بنى إسرائيل وقسوة  
قلوبهم . وهذا وارد فى قول إليوت متضمناً  
لمعناه فى :

And the dry stone no sound of water

أى : « ولا الحجر اليابس صوت ماء » ،  
أى القلوب قاسية كهذا الحجر اليابس .

لكن هذا التشبيه وهذه العبارة نفسها  
لم ترد بهذا اللفظ وهذا البيان التصويرى فى

سفر حزقيل الذى أحالنا عليه تعميةً وتضاييلاً  
فيما نرجح ، إذ لا ريب أنه أخذها من القرآن  
— وتراجمة كثيرات — لأنها بعينها واردة  
فى خبر تمرد بنى إسرائيل : « ثُمَّ قَسَسْتُ قُلُوبَهُمْ بِكُمْ مِنْ  
بَعْدَ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنْ  
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ  
فِيهِ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ » — سورة البقرة ، ٧٤ .  
ولكن هل يعقل فى إليوت الكتوم لذكر  
وردزورث ودى لامير وظلال جزيرة  
العرب The shadrs of Arabia وما أشبه  
أن يخطئ فيحيلنا على القرآن ؟ أليس ذكره  
سفر حزقيل فى إحالاته ههنا شبيهاً فى طريقة  
الاستبدال بما صنعه من جعل جدران كنيسة  
ما غنس ما رتر فى مكان ظلال جزيرة العرب ؟

وبالنسبة إلى الأسطر ١٩ — ٢٤ ( انظر  
ما تقدم ) أحالنا إليوت فى تعليقاته على السطر  
٢٣ وهو الخامس فى ما ذكرنا لننظر فى سفر  
( الجامعة ) من العهد القديم وهو الذى يقال  
« ( الواعظ ) أو The Preacher بالإنجليزية  
وأيضاً يقال له Ecclesiastes رقم ٥  
فى الإصحاح ١٢ من أجل توضيح  
مراده من الكلمة Cricket أى الصرصور  
الواردة فى النص المتقدم . وكلمة Cricket  
أى الصرصور غير واردة فى نص سفر  
الجامعة ابن داود الذى أحالنا عليه ولكن  
وردت كلمة grass-hopper أى الحنذب  
ولمّا أحالنا إليوت على سفر الجامعة تعميةً  
وتضايلاً .

وقد وجدت من نقاد إليوت البروفسور  
 رملبون يقول بمثل ما نقول به من عمده إلى  
 التعمية في تعليقاته إذ ذكر بمعرض حديثه  
 عن الأرض المقفرة في كتابه عن الأدب  
 الإنجليزي الحديث ، وسبقت الإشارة إليه  
 في ص ١١٢ . أن إليوت أضاف تعليقات  
 أحياناً هي غامضة غرض الاسطار التي  
 يراد بها شرحها .

.... Later Eliot added notes sometimes  
 as cryptic as the lines they purport to  
 elucidate .....

ومن تعليقات إليوت المضملة ، والشئ  
 بالشئ يذكر نورد ذلك على سبيل المثال ،  
 إحالته بالنسبة إلى سطره رقم ٦٣ على جسيم  
 دانتى وإنما خطف خطفاً من مسرحية ما كبيت  
 لشكسبير من قول مشهور وهو مقال امرأة  
 ما كبيت في الفصل الخامس في حديث  
 هذيانها : « من كان يظن أن هذا الرجل  
 العجوز دمه كثير هكذا ؟ ويجوز أن يكون  
 شكسبير متق دانتى وأخذ من هناك وأن إليوت  
 نظر إلى دانتى كما نظر إلى شكسبير إلا أنه حذا  
 على صياغة هذا . ونحو ما يجرى هذا المجرى  
 هو ما سماه أبو تمام السرق ( بفتح السين  
 والراء ) المورى بضم الميم وفتح الواو وراء  
 مشددة مفتوحة بعدها ألف لينية - قال بمدح  
 شعره :

إليك بعثت أبكار القوافي

يلها سائق عجل وحادى

شداد الأسر سالتة النواحي

من الإقواء فيها والسناد

منزهة عن السرق المورى

مكرمة عن المعنى المعاد

الأقواء والسناد من عيوب القافية كما لا يخفى

وقد أحكم نقاد العرب باب السمقات  
 إحكاماً وأبواباً غير من النقد كثيرات .

هذا والصرصور Cricket شئ غير  
 الحنذب grass-hopper وظاهر مراد إليوت  
 في إحالته على سفر الجامعة « أن يشعر  
 القارىء مثلاً بأنه إستبدل كلمة grass -  
 hopper أى الحنذب بكلمته : cricket  
 أى صرصور لداعٍ دقيق من دواعي البيان  
 والصناعة الشعرية . هنا مكان التعمية والتضليل  
 والغموض . وليس بين النص الوارد في سفر  
 الجامعة ووردت فيه كلمة الحنذب - grass  
 hopper أدنى صلة معنوية بكلام إليوت  
 في الأسطر ٢٢ - ٢٣ :

..... where the sun beats  
 And the dead tree gives no shelter, the  
 cricket more relief,

أى ..... حيث تصبأ الشمس .

وحيث الشجرة الميتة لا تعطى مأوى ،  
 ولا الصرصور راحة ، ونص كلام  
 الجامعة الذى ورد فيه ذكر الحنذب كما يلى  
 ( دار الكتاب المقدس ، العهد القديم ) :

وأيضاً يخافون من العالى ، وفى الطريق  
 أهوال ، واللوز يزهر ، والحنذب يستثقل ،  
 والشهوة تبطل ، لأن الإنسان ذاهب إلى بينه  
 الأيدي والنادبون يطوفون فى السوق . ا هـ .



نهاراً لظلامها ودفعها ولا تنفك تصرصر  
ولا تكف . . . . gives no relief .

وكلا الجندب والصرصور حشرة مصوتة  
وثابة Jumping, chirping كما يقول المعجم  
الإنجليزي ، ومراد إليوت واضح وهو  
استمرار الصرصور يصبح بلا انقطاع .  
والضرورة الشعرية التي دعت إلى ذكر الصرصور  
مكان الجندب ( cricket مكان grass hopper )  
هو أنه ذكر الشمس وحرارتها وذلك قوله :  
Where the sun beats

أي حيث الشمس تصبك .

وليس الصرصور — cricket — بأخى  
الشمس ولا موقده الذي يأوى إليه نهاراً  
وهو مظلم دافئ ، بوهج الشمس الملهب  
الذي تتكسر منه أكوام الظلال .

أخذ إليوت فكرة صرصوره لامن  
سفر الجامعة ابن داود ولكن من جندب  
أشعار العرب . حشرة سفر الجامعة ابن داود  
خفيفة الوزن وثابة بين أزهار اللوز ،  
لا مزعجة صخابة في حر الهجير حيث تصاك  
الشمس وتتكسر الظلال . قال كعب بن زهير  
في بانث سعاد وهي مما ترجم :

وقال للقوم حسادهم وقد جعلت  
ورق الجنادب يركضن الجصى قيلوا

جعلت الجنادب تركض الجصى بحثاً عن  
الظل ، عندئذ قال الحادى للركب الآن وجب  
المقيل .

Also when they shall be afraid of that  
which is high and fears shall be in the  
way, and the almond tree shall flourish,  
and the grasshopper shall be a Burden,  
and desire shall fail : because man goeth  
to his long Lome, and the mourners go  
about the streets. (Ecclesiastes-Chapter  
12 - 5).

محمل المعنى أنه في زمن اكتساء شجر اللوز  
بأزهاره البيض الحسان وهو زمن الربيع حين  
ترداد الحيوية والنشاط وتلب الشهوة في  
النفوس ، في هذا الزمن حين يقترب الموت  
من الإنسان تذهب لاقترابه كل حيوية وكل  
روح نشط ، حتى أن الجندب الصغير الجسم  
الخفيف الوزن ليستثقل المرء وزنه ثم يحمل  
المرء إلى القبر ويظوف زاده يروحون .

إليوت لا يشير إلى الحين الذي يستثقل فيه  
الإنسان وزن حشرة صغيرة لأن الموت الذي  
اقترب منه يجعل كل شيء ثقيلاً ، فلماذا  
يحيانا علي سفر الجامعة ابن داود ؟ نعم ،  
الصناعة الشعرية — صناعة السرق المورى  
ورحم الله أبا تمام — هي التي دفعت إليوت  
إلى استعمال cricket أى الصرصور مكان  
grass hopper أى الجندب . لا لأن الجندب  
في نص الكتاب المقدس في العهد القديم  
فذلك ادعى له لأن يذكرها لا أن يتفادها ،  
ولكن لأن الجندب في شعر العرب ومن  
هناك أخذها . الجندب حشرة نهارية ،  
والصرصور حشرة ليلية تأوى إلى مواقد  
البيوت نوات المواقد ( في أوروبا مثلاً )

وقال ذو الرمة ، ونشر ديوانه بكمبريدج سنة ١٩١٩ م وترجمت بانيتته من قبل ولعل إليوت أن يكون قد لقي مكارتيثي الذي حقق الديوان ، وقد نيه شارلس ليال على منزلة ذي الرمة في ذيل ص XXXIII من مقدمة مختاراته قائلا :

Dhu-r-rummaḥ was the last really great representative of desert song ....

أى كان ذو الرمة حقاً آخر شعراء الصحراء العظام — أو آخر ممثل لعظام المتغنين بالصحراء قلت : في هذا نظر وأبو عمرو بن العلاء عندنا أصبح بصراً بالشعر من شارلس ليال على حسن اجتهاده ورأيه في ذي الرمة معروف إذ جعله شاعراً من المحدثين وهو في الحقيقة لهم رائد ؛ وما نشك أن إليوت اطاع على ترجمة ليال في اختياراته ومقدمتها وأفاد من ذلك في معرفة طريقة نظم الشعر العربي ، في زمان كان فيه شعراء أوروبا والإنجليز خاصة يريدون التجديد ويطلبونه من طريق الأخذ عن أمم الشرق أشد طلب . وقد ذكرنا من قبل أن شارلس ليال نشر اختياراته — سنة ١٨٨٥ م وكان موظفاً بالهند ومن قبل سبق له نشر بعضها في مجلة بنغال ثم إنه في سنة ١٩١٨ م نشر ترجمته للمفضليات مع تعليقاته الناضجة النفيسة وقد حقق شرح ابن الأنباري للمفضليات كما هو معروف . وسنعرض إن شاء الله من بعد إليها نرى أن إليوت أخذ من ليال في المقدمة التي ذكرناها. قال ذو الرمة يصف الحنّاب :

معروياً رمض الرضراض يركضه  
والشمس حيرى لها بالحو تدويم  
البيت مشهور وقيل فيه : إنه أكثر رمضاً  
من رمال دميرين لتكراره الرأء والضاد وهذا  
يسمى الآن الحناس الداخلى وهو فن في  
العربية قديم . وبيت ذي الرمة هذا يحتوى  
على معنى ظلال إليوت المتكسرة وشمسه  
التي تصاك :

Where the sun beats

\* والشمس حيرى لها بالحو تدويم \*

وتأمل ( رمض الرضراض ) مع قوله :  
( يركضه ) لأن الحنّاب يطلب المأوى في  
بقية الظل المتكسر في رمض الرضراض .

وأخذ ذو الرمة من كعب بن زهير قوله :  
« يركضه » لأنها من قول كعب :

..... وقد جعلت

ورق الحنّاب يركضن الحصى  
ومن كليهما أفاد من أفاد .

.... for you know only

هذا وفي قول إليوت :

A heap of broken images

أى إنما تعام — كومة من ظلال متكسرة .

فيه نوع من السخرية بأساليب الشعراء  
إذ كلمة image كما تدل على الظل تدل  
أيضاً على الصورة البيانية من تشبيه واستعارة  
وما أشبه وفيه صدق من وردزورث —  
ودى لا مير كليهما وتأثر بمقدمة وإيم جونز  
لمعلقة لبدي حيث ذكر أوصافه وتشبيهاته



وزعم أنها مثل التشبيهات الطويلة التي ترد في الشعر الكلاسيكي أي ( اليوناني واللاتيني ) هذا وزيادة على ما تقدم ، واعتماداً على ما هو نازل عندنا منزلة الدليل القاطع من قوة الملابس التي تشهد باطلاع إليوت على عمل السير وليم جونز ، وطريقته في الإخفاء والسكتمان ، نرجح أن إليوت اطلع على كثير مما ترجم من أدب العرب وعلى ما كتبه كبار المستشرقين بالإنجليزية . على أقل تقدير وعلى ما كتبه السير شارلس ليال مما يدل على فهم عميق لطريقة الوحدة والانسجام عند شعراء العرب القدماء مثلاً تعاقبه على بائية سلامة ابن جندل ولامية بشامة بن القدير وعينية سويد بن أبي كاهل وطوياتي عاتمة بن عبدة ومما عين ذكره ههنا أن بعض من كتبوا عن شعراء المفضليات من فضلائنا أخذوا عنه ولم يشيروا إليه ومنهم من تابعه آخذاً غير معترف في الخطأ وفي الصواب وهذا باب ربما أتيح لنا بعض تفصيله في موضع غير هذا مما يناسبه . وإنما دعا إليه أن الشيء بالشيء يذكر ، وكما يقول سيبويه : رب شيء كهذا .

ولا شك أن إليوت قد اطلع على شيء من مقدمة ليال لمختاراته ( طبعة ١٨٨٥ م ) إذ كان ذا استشراف ومن عصبية نجباء الحكومة البريطانية بالهند إحدى مراكز السحر الشرقي الكبرى وقد وصف ليال القصيدة العربية القديمة بأن شكلها لا يمكن أن يوصف بما عليه أوصاف الأشكال في شعر أوروبا وأنه

عسى أن يكون أقرب الأمور به شيئاً ما كان اليونان يسمونه بالقطعة الوصفية أو الأخبارية idyll وأنهما تعرض عاينا صوراً متتابعة مأخوذة أخذاً مباشراً في التجارب والواقع مصوغة بمهارة وإحكام يربط بينها عنصر من الوحدة التي لا تبدو وثيقة واضحة ولكن تخضع لروح من الشاعر يهيمن عليها بكشف ما يشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شيء - ( راجع ص XVIII من المقدمة ) .

مما أخذه إليوت من المعلقة سوى الذي ألمعنا إليه من محاكاة لبيد أنه حاكي طريقة النظم فيها ونظر في ذلك نظراً شديداً إلى المعلقة الأولى ، التي ينبغي أن يكون حين بدأ بالقراءة قد بدأ بها .

عول إليوت في نظم أرضه القفر على اتباع طريقة صياغة امرئ القيس حيث بنى تأليف لاميته المعلقة على وحدة مستمدة من الربط العاطفي الإيقاعي وتداعي المعاني المنبعثة من حل عقد خيط الذكريات ( أو كشف ما تشتمل عليه ضميره شيئاً بعد شيء أو كما قال شارلس ليال the poet's unfolding of himself - ص XVIII ) من حل عقد خيط الذكريات عقدة بعد عقدة ، من الوقوف والاستيقاف إلى ذكر أم الرباب وأم الحويرث - دارة جاجل - نحر الناقة - خدر عنيزة - حديث الحب - حديث الجبال - الليل - الصباكة - الفروسية والصيد وزمان الشباب - ذكريات



floods of the night, float like the roots of  
wild anions

( وراجع ترجمة ليال لهذا البيت في ص ١٠٤  
حيث قال :

( like earth-stained roots of squills. )

الاصطلاح الإنجليزي لما ينمو من النباتات  
كالبصل ينتفخ أصله الملامس بجذوره للتراب  
Bulb ولما ينمو كالبطاطس بانتفاخ  
جزء الساق الملامس للتراب هو Tuber  
واستعمل إليوت اللفظ الدال على النوع  
الثاني فيبدو أولاً أن هذا بعيد من أن يكون

مأخوذاً من عبارة السير ولیم جونز the roots  
of wild anions (أي عروق البصل البري) التي

ترجم بها ( أنابيش عنصل ) . و ترجمة ليال  
غير بعيد من هذا . وأخذ إليوت قوله المتقدم  
من ( أنابيش عنصل ) هذه . وقد أبت فكرة  
صورة الحث التي غرقت وبدأت أطرافها  
من شوارب وآذان وأذنان كأطراف أنابيش  
العنصل أن تفارق إليوت فنمت بنفسها في  
أسطاره ٧٠ - ٧٢ من ص ٢٩ وذلك قوله :

You who were with me in the ships at  
Mylae that corps you planted last year  
in your garden, Has it begun to sprout ?

أي :

يا أنت الذي كنت معي في سفينات ما يليس

تلك الحنزة التي غرستها العام الماضي

في حديقتك

هل بدأت تخرج شطها ؟

الطفولة - المطر والسيول وانمحي كل شيء  
إلا منظر ثبير وصوت الطير - والسباع  
الغرقى - كل ذلك في تجاوب مدهل من  
الإيقاع والصور وضروب الموسيقى الظاهرة  
والباطنة .

من حيث لا يحتسب يدلنا إليوت على أخذه  
من معلقة امرئ القيس في السطرين ٧ و ٨  
من أرضه البلاقع أي المقفرة وقدموا في  
أول كلامنا ، واختارنا لفظ الأنابيش . في  
ترجمتنا لقوله tubers لأنه الأصل الذي نرجح  
أنه أخذ منه قوله :

..... feeding

A little life with dried tubers

أي : . . . . . مطعماً

حيياة قليلة بأنابيش جساءة

ونشير ههنا إلى قول امرئ القيس في  
المعلقة :

كأن السباع فيه غرقى عشية  
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

العنصل بضم العين وسكون النون وضم  
الصاد هو البصل البري والأنابيش ما ينبشه  
الصبيان من عروق ونحو ذلك . التبريزي :-

« الأنابيش جماعات من العنصل يجمعها  
الصبيان ويقال الأنابيش العنصل والعنصل  
بصل بري » ا . ه . ( راجع شرح التبريزي  
للمعلقات العشر وطبعاته كثيرة ) . و ترجمة  
السير ولیم جونز :

The beasts of the wood, drowned in the

عنى إليوت بما يلبس هنا المكتشف  
الدنركى مايليس لدوج Mylius Ludurig  
الذى غامر باكتشافه سواحل جرنلندة  
فى أوائل هذا القرن الميلادى ومات  
سنة ١٩٠٧ م بعد مغامرة أخيرة فى سنة ١٩٠٦  
وكانت هى من أسباب هلاكه :

استعمل إليوت صيغة المضاف إليه  
اللاتينية ( مايلاي ) من ( مايليس ) . وهل  
نخى عنك أيها القارئ الكريم عنصر تداعى  
المعاني الشديدة فى النظر إلى بيت امرئ  
القيس وهنا ؟

امرؤ القيس :

غرقى . جنائز سباع غرقى فى العشية . تشبه  
مناظرها فى الأرجاء القصوى أطراف البصل  
البرى التى ينبشها الصبيان أو نخرجوا لينبشوها

إليوت :

سفائن مايليس ( At Mylae ) معها البحر  
ومخاطره . جنازة مفروشة فى حديقة فى العام  
الماضى . هل نبتت وأخرجت شطها مثل  
النبات ؟

هذه المشابهة فى نهج الصياغة هل هى مجرد  
توافق خواطر مع بيت امرئ القيس ، كما  
مطر إبريل وعلو أغصان ( الليلك ) مجرد  
توافق خواطر مع مرابع النجوم وعلت  
فروع الأبهقان ؟ وهل فكرة dried tubers  
( أى الأصول النباتية الجافة أو العروق  
الجافة ) مجرد توافق خواطر مع أناييش

العنصل ؟ العنصل هو ( Bulb ) بحسب  
الاصطلاح النباتى ومع هذا الاصطلاح يرد  
دائماً الاصطلاح الآخر المقابل له TUBER -  
أليس تحويل ( Bulb ) إلى ( Tuber ) فيه لون  
من أسلوب تحويل (grass-hopper) إلى (cricket)  
وما مر بك من قبل من أمثلة « السَّرَقِ -  
المُورَى » ؟

قولنا عن امرئ القيس آنفاً : إنه تذكر  
الصبا وتذكر الطفولة نشير به إلى قوله :  
يزل الغلام الخف عن صهواته

ويلوى بأثواب العفيف المثقل

وإلى قوله :

كفيت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء بالمتزل

وليس هنا موضع التفصيل وقد كان  
امرؤ القيس صاحب ذكريات وتذكر له  
أبيات لطيفة يصف بها زحلوة الأطفال -  
أولها :

لمن زحلوة زُلّ

لهما العينان تسهل

لاحظ أن تذكر الزحلوة هنا أبكاه كما  
بكى من ذكرى الأحباب والمنازل .

وإلى قوله :

درير كمخدروف الوليد أَمَرَّة

تتابع كفسيةً بخيطٍ موصِّل

When those two damsels departed, musk was diffused from their robes, as the eastern gale sheds the scent of clove-gilly flowers.....

لاحظ استعمال إليوت prolucion في س ٧٥ وكذلك poured في مقابلة diffused التي عند ولیم جونز و sheds... تأمل ذلك أيها القارئ الكريم .

الفصل الذي فيه هذا النعت جعل إليوت عنواناً له « لعبة الشطرنج A Game of chess » وهو الفصل الثاني من الأرض المقفرة والعنوان مأخوذ من اختيارات - ولیم جونز إذ عنوان إحدى القصائد الهندية التي اختارها هناك هو هذا ، فتأمل . . . . .

رجع الحديث ، راجع قولنا قبل إلى النعت المنظور فيه . . . إلخ والآن . . . إلى لقاء الكويتبة في الفصل الثالث الذي عنوانه ترقية النار أو كما قال : A FIRE SERMON

ونلفت نظرك ههنا إلى ما ذكر عن ليوت أنه وصف رديارد كبلنج شاعر الامبراطورية الذي نشأ في الهند بأنه كان من عظام أصحاب التراتيل .

لتي إليوت في منظومته الكويتبة في الفصل المذكور على مائدة فاترة وصال من نوع ما يقع في سأم المدن المعاصرة . . . شيء مسوخ من ولية عناري داره جلعجل ودخول الحمار خلد عنيترة : ( وقد ترجم ذلك السير ولیم جونز ترجمة حسنة حية : .

Woe to thee ! than wilt compel me to travel on foot

تقول لك الولايات إنك رحلى .

هذا .

ومثل أبي تمام إذ فاجأته « مقدمة المصيف حميدة » نجد إليوت فاجأته مقدمة المصيف - ولكن غير حميدة ( إبريل أقسى الشهور ) ومثل امرئ القيس نخلص إليوت الذي هو امرؤ الأرض القفر من البدء بذكر الأطلال ( عفت الديار كما تقدم ) إلى حل العقد من خيط الذكريات - المقهى في أول المنظومة ( السطر ١١ ) - إلى النعت المنظور فيه إلى سفينة كليوباترة بعين ، ( س ٧٧ ص ٢٩ ) : The chair she sat in, like a burnished throne, glowed on marble.....

أى : الكرسي الذي جلست عليه كان يتوهج من فوق بلاط الرخام كأنه عرش مجلو . . . . . ( راجع نعت أنوباربس لسفينة كليوباترة عند شكسبير ) ومنظور أيضاً فيه بنفس العين أو بعين أخرى تحت الحجاب الكاليج إلى قول امرئ القيس : إذا قامت تضحك المسك منها نسيم الصبا جاءت بريا الفرغل

( راجع من قوله س ٨٤ ) : The glitter of her jewels rose.....

أى : قام بريق جواهرها . . . . . إلى . . . . . her strange synthetic perfumes.....

أى : عطورها المصنوعة الغريبة - س ٨٧ ص ٣٠ .

وقال ولیم جونز في ترجمة هذا البيت :



من هنا أخذ إليوت عبارته ( ص ٣٢ ) :

..... caresses

Which still unreproved, if undesired

وتأمل بعد أسطاره من ٢٣٥ - إلى - ٢٣٨

في حديث عنيزته هو :

The time is now propitious as he guesses

The mean ended, she is bored and tired,

Endeavours to engage her in caresses

Which still unreproved, if undesired

الترجمة التقريبية :

الوقت الآن مواتٍ كما يظن .

انتهت الوجبة وهي متعبة وسئمت :

يحاول أن يشركها معه في ملامسات .

استمرت بلا مؤاخذه إن لا بلا اشتها .

كذلك من قبل ظن امرؤ القيس الوقت

مواتياً بعد عقر الناقة وانتهاء الوليمة وارتضاء

العذارى - يطبخن - بلحم مطيته ( يخطيء

من يحسب أنهن كن يترامين بقطع اللحم

كالغولات وكأن اللحم كرات لعب ) وبشحم

كهذاب الدمقس المقتل ، الذى هو حريرهن

وبياض أبشارهن ، فدخل الخدر خدر

عنيزة ليشركها معه في ملامسات ومداعبات

فزجرته بقولها : « لك الوليات إنك مر جلى »

ومع زجرها له مال بهما الغبيط معاً :

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

ولكنه لا ينزل :

فقلت لها سبرى وأرخى زمامه

ولا تبعدينى من جناسك العلال

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع  
فألهيتها عن ذى تمام محول

كلام امرؤ القيس فيه شيطنة وأريحية

وحرارة عاطفة وصدق فى مباشر مع

الزمان والبيان الناصع . كلام إليوت مصقول

كخشب النجار الماهر ولكنه ناشف لاعاطفة

فيه ولا حرارة ولكن حرارة برود تعال

فكرى وشيء من سخرية . غطاء كثيف يخفى

حقيقة السريرة ولو كانت فيها أريحية من

عواطف البيان والصدق الشعري لهتكته .

في كلام إليوت روح سامة كسامة الليل

والبعير الذى شبه به امرؤ القيس الليل لما تمطى

بصلبه وأردف أعجازاً ونكاء بكل كل ،

وكسامة الحمل التى ذكرها امرؤ القيس

فزعم أنه أنهاها عن طفلها ذى التمام المحول :

إذا ما بكى من تحتها انصرفت له

بشق وتحتى شقها لم يحول

وقد استفحش النقاد هذا من مقال امرؤ

القيس وعذلوه عاياه وعابوه وأبى الشعراء من

بعد إلا أن يحاكوه فيه ويسرفوا كالذى

صنعه سحيم عبد بنى الحمحاحس فى يائيته

« عميرة ودع إن تجهزت غادياً » وفيها :

توسلنى كفاً وتثنى بمعصم

على وتحنو رجلها من ورائيها

وفيها وجدان وغرام وفلك وكالذى صنعه

بشار فى الرائيين ، المقيدة التى يقول فيها :

أمتى بدد هذا لُعبى

ووشاحى حله حتى انتثر

والمطلقة التي يقول فيها :

قولى لهـسا بقـة لهـسا ظفر

إن كان فى البق ما له ظفر

وفى كلتيهما تهتك وزندقة ومجون .

وهل نظر بعض شعرائنا المعاصرين إلى  
عنيزة امرئ القيس وإلى دعوى التحضر  
والتقدم بالنظر إلى عنيزة وجبة طعام أرض  
إليوت المقفرة الباب الخراب ؟ هذا باب  
يكتفى فيه بمجرد الإشارة واللمح :

ويبقى وزن إليوت : ومداره كما يذكر  
نقاده على محاكاة نبرات الكلام المؤلف  
وعلى الحناس الحرفى الداخلى وعلى سمعات  
القوافى وهذا أمرٌ خالف فيه أصحاب الشعر  
الحر الفرنسيين ومن مال إلى مذهبهم .  
وقد تأثر فيما ذكروا بإزرا پاوند وقد سبقه  
فى مذاهب من النظم جرارد ما نلى هو بكنز

١٨٤٤ - ١٨٨٩ م

GERARD MANLEY HOPKINS

ورجع إليوت فى ما يذكر إلى نماذج من  
الشعر الإنجليزى القديم الذى يقال له  
المنوسط مثل منظومة ولیم لانجلاند ( ولا  
يكادون يستشهدون إلا بها ) التى أسماها  
بطرس الحرّاث William Lang Land ( ولد

سنة ١٣٠٢ م وتوفى ١٤٠٠ م ) - بطرس  
الحرّاث Pibrs Ploughman وعندى أن

الحناس الحرفى أو الداخلى ليس بأصيل فى  
اللغة الإنجليزية على اتصاله بأوائلها ولكنه  
أخذت أصوله من البديع العربى إذ هو قد

كان النموذج الأدبى البراق المحتذى فى القرن  
الحادى عشر والثانى عشر الميلادى فما بعدهما  
وقد كانت أمة العربىة آنشد هي أمة المدنية  
الكبرى المرموقة فى ذلك الزمان - تحاكى  
أساليب حياتها وآدابها كما نفعل الآن بتقاييد  
الأفرنج . ذكر صاحب الذخيرة نقلا عن  
المؤرخ أبى مرران بن حيان فى صفة ريموند  
صاحب برشلونه ( ص ١٥٥ العتم أح أ ) :  
« فإذا هو جالس على مرتبته عاياه ثياب من ثياب  
المسلمين » أ . ه .

أمر آخر ينبه إليه مما عسى أن يكون إليوت  
قد أخذه أيضاً من أساليب العربىة ، هو مذهبه  
فى غرابة التشبيه . ويوقف كثيراً عند قوله فى  
إحدى منظوماته :

Let us go then, you and I  
When the evening is spread out against  
the sky Like a patient ethervised upon  
a table

أى :

دَعْنَا إذن نذهب أنت وأنا .

عندما يكون الليل قد مدد بإذاء السماء .

مثل مريض بنج على منضدة « العمليات » .

ووصفه برغونزى بالجمال والغرابة

( ص ١٥ ) .

والحق أن تشبيه إليوت ههنا جارٍ على  
ما يسميه البديعيون بالتشبيه المقابوب ، المريض  
ساعة الغيبوبة والامتداد على المنضدة هو  
المشبه بغروب الشمس إذ كمفاجأة غشيان



الظلام الأفق تكون مفاجأة غيبوبة المريض بالبنج .

من أمثلة التشبيه المقابب المعروفة :

وبدأ الصباح كأن غرته

وجه الخليفة حين يُستدح

وما الأمر إلا أن وجه الخليفة المشرق بغرة

الأنشراح للمدح قد صار جسم مريض

مدوداً على منضدة عملية . وغرة الصباح

الباهرة صارت غروباً . . هل أخذ إليوت

من ههنا أم هو توارد مخاطر ؟ لعاه توارد

مخاطر ولكنه بلاريب تشبيه مقلوب . صناعة

وبديع مصونة متكلف لا أكثر ولا أقل .

أشهد أن أول مادعا إلى الشك في أصالة

إليوت في منظومته The Waste Land

( الأرض المقفرة ) ما قدمته من ارتياب

النفس من تعليقاته ومن حذفه اسم العرب

وأسماء من أشاروا إليهم ومن غلبة البرود

والتنطس على أساوبه ومذهبه ومن الفتنة

المفرطة به ولاسيما من ليست لغتهم باغته وفي

لغته على أهل لغته هو الإنجليزية عسر شديد .

حتى المعجبون به ذكروا ذلك . مثلاً

قال أنتوني بيرغس Anthony Burgess

في كتابه من الأدب الإنجليزي طبعة ١٩٨٠ م

وهو من المعجبين بإليوت أن منظومته

The Waste Land ( الأرض المقفرة )

فيها عسر ومشقة على الفارئ وذكر من بين

أسباب ذلك كثرة الإشارات والاقتباسات

والأخذ من أدب أوروبا والهند وتداخل الصور

إلى آخر ما قال .

ومع أن تأريخ كبردج للأدب الإنجليزي

بعد إليوت من ثلاثة العصر في الشعر الإنجليزي

الكبار ، مع هذا عاب عايه كثرة أخذه من

دون إشارة إلى موضع الأخذ أو علامات

تدل عايه وقال إنه كان يلزمه بيان ما أخذ

وما استعار . وألغ تأريخ كبردج إلى أنه إن يك

المراد من هذا الحنين إلى الماضي هو للتعبير

عن الضجر عن العصر بأسلوب أدبي ، فإن

ذلك غير خارج عن نطاق الأساليب التقايدية ،

ونص عبارة تأريخ كبردج هو كما يلي

وما قدمناه فحواها وملخصها ، ( ص ٨٥٣ ) :

But we may doubt wheither the disgust with the realities of the modern world, and the nostalgia for the past, not in its own kind of disgusting reality but as abstracted in literature and art, is anything more than a traditional literary device.

كائعة صدق تقال للمفتونين بإليوت :

إن كتابه وسرقته ودينه للمعالمات وشعر

العرب من طريق مستشرق الهند وفرنسة

وألمانيا وهافارد وجامعتي أكسفورد وكبردج

ومن يكون لاقاه فيهما وفي غيرهما وشافهه ،

ينبغي أن يكون ذلك موضع زراية به ونفور

عنه لا فرط إعجاب به وإقبال عايه .

أسأل الله أن تكون الموضوعية النقدية

لنا رائداً ودليلاً في ما قدمه من حدس مرتب

على مشابه قوية وملابسات دليلها قاطع ، وقد

اكتفيت في أكثر ما قدمت بالصدر الأول

لأكبر من منظومة إليوت The Waste Land



Let's talk of graves and worms and epitaphs  
Make dust our paper and with rainy eyes  
write sorrow on the bosom of the earth

وترجمته التقريرية ( التماسه عزاء ٤٤ ) :

هلموا من الأحداث والدود والثرثا  
حديثكمو ثم اجعلوا التراب قرطاساً  
ومن أعين تهمة بكالغيث سطوروا  
على ثدى هذى الأرض للحزن أنفاساً  
وشبه كلام شكسبير بقفا نباك من ذكرى  
حبيب ومزل في نمط الصياغة غير بعيد :  
وقال درايتون Drayton من معاصري شكسبير  
Since there is no help, let us kiss and part

وأقرب ما يترجم به هذا شطر بيت  
المثقب العبدى :

أقاسم قبل بنيك متعيني

وليس بجد بعيد من : فسلى ثيابي من  
ثيابك تنسل . توارد الخواطر كثير في المعاني  
الإنسانية ، ولكن روح التعبير هنا عربى  
المعدن وكان الأخذ في زمان النهضة الأوربية  
عن معارف العرب وآدابهم أمر شائعاً :

وأخذ إليوت من شعراء الإنجليزية خاصة  
قد كفانا مثونته نقاده ، حتى بيرغسى الموالى  
له لم يغمض فيه وتاريخ كمبردج للأدب  
الإنجائزى الذى سبق أن أحانا عليه من قبل  
قد بكت إليوت كما مرَّ على الأخذ بلا اعتراف  
أو تعليق ونعى عليه استعمال التضمين  
والاقتباس بطريقة آلية صارت من بعد مجرد

خشية الإطالة إذ ليس هذا مجالها وإنما مرادى  
التنبية : ولقد أقيمت على كتابة هذه الكلمة  
الموجزة في بابها ، وحسبك من القلادة  
ما أحاط بالعنق ، بعد مناقشة مادتها الأولى  
وجمالة معناها مع زملاء فضلاء وطلبة أذكىاء  
وأساتذة عارفاء وغيرهم من المعارف والأصدقاء  
فمنهم من لبه على ما لم أكن له منبهاً ومنهم  
من أعان على تيسير المراجع أودل عاينها ومنهم  
من ساهم بالرأى وبالكلمة المفيدة - من ذلك  
مثلا أن عنوان إليوت لعبة الشطرنج  
A GAME of CHESS لا يخاو من نفس امرىء  
القيس إذ كان يلعب الترد لما جاءه خبر مقتل  
أبيه : ومن ذلك مثلاً أن قول إليوت :

Let us go then, you and I

فيه شبه بصياغة الأمر في نحو :

قفا نباك من ذكرى . .

عوجوا فحيوا لنعم دمنه الدار . . :

خليلى عوجاً من صدور الرواجل :

قفى قبل التفرق يا طعمينا . . :

ونحو هذا كثير . ونحو هذا القول محتمل  
[إلا أننى أرجح أن يكون إليوت اقتدى بطريقة]  
شكسبير ومعاصريه ، نحو قول شكسبير في  
مسرحية ريتشارد الثانى الملك ، على لسانه :

Of comfort let no man speak

أى لا يتحدثن امرؤ عن الراحة وفيها  
let us sit upon the ground  
الأرض : ويعجبني منها قوله ( راجع التماسه  
عزاء ص ٤٤ ) :

حياة أساوية عند مقاد الكثيرين وكما قال  
(ص ٨٥٣) :

..... A mere trick of fashion in his  
numerous imitators

هذا ، ومنهم - أى ممن ناقشت - من حث  
حثا على تدوين ما بدا خشية أن يؤخذ من  
المشافهة فأسبق إلى نشره ولا يشار إلى  
المصادر . وهذا قبيح . ولكن ليس السبق إلى  
النشر هو الغرض . ولكن الغرض هو  
التنبيه على كتمان إليوت تقايدته لطريقة العرب  
في صياغة القصيدة - وقد عرف العرب  
التضمين والإشارة وغرائب من البديع مع  
الذى سبق توضيحه من مذهبهم في الوصف  
وتداعى المعانى على النحو الذى بين جانباً منه  
ليال في مقدمته القيمة .

يسمى بعضنا صياغة القصيدة الذى  
لو أقبلنا على درسه لأغنتنا روائعه أساوياً  
تقليدياً .... ويسعدون إبداعاً تقليدياً إليوت  
الذى يقاده ، فتأمل .

الآراء التى بثت بطرف منها ههنا قدمة  
عند كاتب هذه الأسطر ألمع إلى بعضها في  
حديثه عن أبى الطيب الذى ألقاه في المهرجان  
الذى أقيم له ببغداد في تشرين الثانى سنة ١٩٧٧  
وطبعت ثم في سفر بعنوان الطبيعة عند المتنبي  
وقد جاء فيها ذكر أخذ الشاعر أندرد مارفيل  
في منظومته البستان The Garden من :

مغاني الشعب طيباً في المغاني

وأخذ ولیم بلیک في منظومته عن النمر  
من أسد أبى الطيب الذى ما قوبلت عيناه ...  
ما قوبلت عيناه إلا ظننا

تحت الدجى نار الفريق حاولا  
وهذا باب يتسع فيه القول ومجال البحث .  
ولله الحمد في المبدأ والختام .

وعلى رسول الله الصلاة والسلام :  
وعلى آله وصحبه أجمعين ،

عبد الله الطيب  
عضو المجمع من السودان



# الجزائر

## سليمان أحمد قرصين الحلي

الجمهورية

الجزائرية : دولة عربية  
إسلامية ، تتوسط بلاد

المغرب العربي ، وتقع بين جمهورية تونس  
شرقا وبين مملكة المغرب الأقصى  
غربا ، يمتد ساحلها ١٢٥٠ كياو مترا  
على البحر المتوسط ، وتضرب في أعماق  
الصحراء جنوبا ، حيث تتصل بالبلاد  
الليبية ، وجمهوريةات النيجر ومالي ،  
وموريتانيا ، والصحراء الغربية . مساحتها  
٥٢,٣٧٦,٤٠٠ وسكانها سنة ١٩٨١ يبلغون  
٢٠,٠٠٠,٠٠٠

أرضها : في بلاد الجزائر ثلاث مناطق  
أفقية مختلفة من حيث التضاريس هي : منطقة  
الثل شمالا ، تايها منطقة النجود وسطا ثم  
منطقة الصحراء جنوبا ولكل من هذه  
الأقسام ميزات خاصة ، ومناخ خاص  
ولإنتـاج اقتصادي مستقل ، فـمنطقة  
الشمال تمتد على كامل الساحل البحري  
وفيها من شرقها إلى غربها جبال التل ، تتخللها  
السهول الخصبة والمزارع الغنية ، وفيها جميع  
الأنواع من الأشجار المثمرة والحبوب  
المختلفة ، كسهول عنابة وهي بونة القديمة

وسهول متيجة الواسعة حوالى العاصمة وجنوب  
العاصمة الجزائرية ، وسهول وهران غربى البلاد  
وسهول المدية وسيدى باعباس وتستمر جبال  
الأطلس التلى متتابعة على خط أفقى من الشرق  
إلى الغرب وأعلى قمة فيها هي : لالاخديجة التى  
ترتفع ٢٣٠٨ أمتار ، وثلاثة أرباع سكان  
الجزائر يعيشون ممسا تنتجه هذه الناحية  
الزراعية الممتازة التى تجود عليها السماء  
بأمطار موسمية وابلـة يبلغ معدلها ١٠٠٠ ملميمتر  
فى السنة . وفى هذه الناحية أيضا سدود  
عديدة لجمع مياه المطر والإفادة منها زمن  
الحر . أما مناخها فهو معتدل ، شتاء لطيف  
وصيف مقبول . أما منطقة النجود أو الهضاب  
العاليا فمعدل ارتفاعها عن سطح البحر ٨٠٠ متروهى  
تكاد تكون خالية من السكان إلا فى ناحيتها  
الشرقية الغنية . ومزروعاتها ضعيفة ، إلا فى  
ناحية الشرق لكنها تنبت طبيعيا شجيرات  
الحلفاء التى يصنع منها أحسن أنواع الورق  
وبعض الأقمشة . وهى كثيرة التباين من حيث  
المناخ فارتفاعها وودوعا بين سلسلة جبال  
الأطلس التلى شمالا وجبال الأطلس للصحراوى



جنوب يجعل شتاءها قارصا حيث تكتسى بالثلوج ويجعل صيفها قائظا لكنها بين الشتاء والصيف تكتسى بأعشاب مرتفعة ذات جمال وزهور بديعة ، تكون مرتعا خصبا للملايين من الغنم التي تصعد إليها من الجنوب وإذا جفت تلك الأعشاب أصبحت - تدعى « الهيشر » وهي مغذية جدا للأنعام وتتلقى هذه النجود من المطر معدل ٣٠٠ ملليمتر سنويا .

وأما منطقة الصحراء ، وهي نحو مليوني كيلومترا ، فتقع جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي وهي أضخم الجبال الجزائرية وأكثرها ارتفاعا ، ويبلغ أقصى ارتفاعها ٢٣١١ متر في قمة الشلية بناحية الأوراس الغنية البهية ، ذات الجبل التالد والطريف تليها جبال اولاد نايل وعمور ، وتسكنها القبائل الهلالية العربية الشهيرة ، وتتلقى هذه الجبال كمية ضخمة من الأمطار كل سنة. والصحراء قسم صخري لاحياة فيه لحيوان او نبات ، ويدعى « الحمادة » وقسم رملي ناعم ، يدعى « العرق » وهو القسم الأكبر وفيه عدد لا يستهان به من الواحات الخضراء البديعة التي طبقت شهرتها الآفاق كبسكرة ، وطولقة والأغواط وكامل جهات الزبيان ووادي سوف شرقا وبلاد ميزاب جنوبا ، وشلالة واولاد سيدي الشيخ غربا بحيث كلما برزت على سطح الارض منابع طبيعية من المياه الجوفية المنحدرة

من سلاسل الأطاس تكونت الحياة الانسانية والنباتية في أبهى مناظرها والقاسم المشترك الأعظم بين هذه الواحات هو جنات النخيل الباسقة الشهيرة بجمالها وثمارها وفي الجنوب الصحراوي توجد جبال ( الهقار ) الشاخنة المتشعبة التي تسكنها قبائل « الطوارق » الملتمون وكانوا أصحاب حضارة كبيرة بائدة ، والمرأة عندهم هي صاحبة المكانة الأولى في المجتمع . وفي أقصى الجنوب الشرقي على مقربة من الحدود الليبية ، توجد جبال الطاسيلي وبها رسوم وصور ماونة متقنة لأزمنة ما قبل التاريخ : تعاصر الحضارة المصرية القديمة ويهتم بها الباحثون من مختلف بقاع الدنيا كثيرا .

سكانها : إن العشرين مليونا من سكان الجزائر اليوم كلهم مسلمون لم يبق بينهم دخیل منذ نزوح الأوربيين واليهود عامة سنة ١٩٦٢ عند إعلان الاستقلال. كلهم يتبع مذهب الإمام مالك بن أنس إلا نحو عشرة آلاف من بقايا الأتراك العثمانيين يتبعون مذهب أبي حنيفة . النعمان ، وستين ألفا يتبعون المذهب الإباضي وأغليبيتهم العظمى ببلاد ميزاب ، ان أصل السكان هم قبائل « الأمازيغ » أي الرجال الأحرار ، نسبة إلى جدهم الأعلى « مازيغ بن قحطان » - ويدعوهم الرومانيون ( البربر ) أي الأجانب ، وتبعهم ابن خلدون في هذه التسمية غالطا . وبعد الفتح الإسلامي ،

وخاصة بعد استقرار قبائل بني هلال  
وبني سايم بالبلاد اندمجت أغلب  
القبائل الأمازيغية في العرب واعتنق  
جميع الأمازيغ الإسلام ، فخذقوا لغة  
العرب اثر حفظهم للقرآن فام يبق في كامل  
الأرض الجزائرية إلا نحو أربعة آلاف نسمة  
يسكنون أعالي الجبال ، لا يتكلمون — على  
خلاف بينهم — إلا لغة أمازيغية قديمة ويمتاز  
سكان الأرض الجزائرية عموما بأمرين :  
أولهما نسبة الشباب التي تزيد عن ٥٥ %  
من سنهم دون العشرين وثانيها نسبة الزيادة  
السنوية في السكان ، حيث هي تزيد  
قليلا عن ٣,٥٠ بالمائة .

مركزها الاقتصادي : تزداد أهمية  
الجزائر الاقتصادية ، منذ الاستقلال زيادة  
ملحوظة فالجزائر بلد زراعي رعوى أساسا  
ينتج الحبوب المختلفة ، وكل أنواع الأشجار  
المثمرة وخاصة الحمضيات منها ، والزيتون  
المنتشر في بلاد الشمال (نحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ شجرة  
تنتج زيتا كثيرا والنخيل في الجنوب )  
( نحو ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ) ومنه نوع دقلة  
نور ذات الشهرة العالمية ، وكل انواع البقول  
المختلفة ، لكن تزايد عدد السكان بصفة عالية  
جدا جعل تلك الحيرات الدافقة لا تكاد تكفي  
لسد حاجتهم ، كذلك عدد الماشية من الضأن  
التي كانت على نسبة شاة واحدة لكل  
فرد من السكان ، فأصبحت لا تكاد تفي  
بحاجة المستهلكين :

نشأت بالبلاد بعد الاستقلال صناعة مختلفة  
عمت كل الجهات ، زيادة عن الصناعات  
التقليدية القديمة كصناعة النحاس ، والحلي  
من الذهب والفضة ، والزراحي التي تختص  
كل جهة بنوع جميل منها ، وانسجة  
الصوف والحرير الطبيعي ، فالمعامل الكبيرة  
الحديدية تشمل صناعة التعدين وخاصة  
الحديد الموجود بوفرة ، ومعامل الأقمشة  
المختلفة ، ومعامل الورق ، ومعامل الآلات  
الزراعية الثقيلة والخفيفة ومعامل الأدوات  
المنزلية من معدنية وفخارية على الطريقة  
الصينية ، ومعامل للصناعات الكهربائية  
المختلفة ، ومعامل للنشارة والأخشاب ، تستثمر  
الغابات الجزائرية العديدة كالأرز ، والصنوبر  
والفلين ، وغيرها والغابات تنمو في الجزائر  
بشكل غريب ، ناهيك أن الدولة تنشيء  
الآن غابة سميكة تمتد نحو ١٥٠٠ كياو متر  
متواصلة في الجنوب لتمنع تسرب الرمال  
إلى أرض الشمال .

وفي أرض الجنوب معادن غنية جدا ،  
منها ما لم يستثمر بعد ، كالذهب الموجود وافرا ،  
وقد رأت الدولة أن يبقى مكتوما إلى أن  
تحين ساعة الحاجة إليه ، ومنها ما استثمر  
بعضه كالنفط الذي هو عمدة الاقتصاد  
الجزائري اليوم حيث ينتج نحو ٥٠ مايون  
طن سنويا ونشأت بالجزائر صناعة نفط  
كاماة ، لها أنابيب صنعت بالجزائر لإيصاله  
إلى الناحية الشمالية حيث يرسل منه نحو ٥٠



مايون طن إلى مختلف بلاد العالم ، وكالغاز الطبيعي الذي يخرج بكثرة متدفقا وأنشئت له معامل عديدة لتثمينه ، وتزويد مختلف البلاد الأجنبية به ، زيادة عن الاستهلاك المحلي الذي شمل كل مدن القطر ، ولا زالت البلاد تكتشف مناطق جديدة للنفط والغاز . وكل هذه الموارد الضخمة تنفق في سبيل الإنشاء والتعمير ، وجزء منها لأعمال التسيير .

تاريخها = للجزائر تاريخ حافل طويل قبل الإسلام وبعده يمكن تلخيصه كما يلي :

١- جاءها العرب من بنى كنعان (فنيقيا) قبل المسيح بألف سنة وعاشروا أهلها سلما قصد التبادل التجاري ، ثم أسسوا مدينة (قرطاجنة) سنة ٤٨٠ ق . م وأصبحت لها إمبراطورية ضخمة عمت الشمال الإفریقی كافة وتأسست فيه ممالك أمازيغية كبيرة خاصة في جهتها الشرقية والوسطى (نوميديا) :

٢- استعمرها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة سنة ٢٥٠ ق . م ودام استعمارهم لها إلى سنة ٤٢٩ ق . م وقامت ضد الرومانيون ثورات عنيفة جدا اختلوا الكثير منها إلى أن استعان الأمازيغ عليهم بالوندال (سكان الأندلس) فجاءوها فاتحين ، وأعانوا الأمازيغ على تقويض كل أثر للرومان :

٣- لم يكث الوندال بالبلاد إلا مائة عام (٤٢٩-٥٣٠) استرجع خلالها الأمازيغ سلطانهم وحریتهم \*

٤- جاء الروم من بلاد القسطنطينية فاتحين فأخرجوا الوندال (٥٣٠م) إنما كان الأمازيغ قد استرجعوا استقلالهم ، فلم يكن الروم يحتلون إلا مراكز عسكرية محددة النطاق :

٥- فاضت اثوار المدينة الإسلامية بالفتح العربي تحت قيادة عقبة بن نافع ، وحسان بن النعمان وعم الفتح كل جهات المغرب العربي ، وبعد معارك قليلة متفرقة أسلم الأمازيغ وحسن إسلامهم وأصبح المغرب ومنه الجزائر ، جزءا من بلاد العروبة والإسلام وتوالى عاينها الولاة من قبل دمشق .

٦- أقام الأباضيون بوسط الجزائر (تاهرت) أول دولة إسلامية خارجة عن الخلافة ، سنة ١٢٩ هـ هي دولة بنى رستم ، وكان نظامها دينيا إسلاميا صادقا يتولى أمرها الإمام وجماعة « الشراة » ودامت الدولة ١٣٦ سنة .

٧- عمت دعوة الشيعة التي نشأت بشرق الجزائر كل أقطار المغرب العربي وتأسست بالمغرب الأقصى دولة الفاطميين التي وحدت كامل المغرب ، وقضت على دوله المستقلة إلا أنهم فتحوا القاهرة ونقلوا إليها ملكهم ، فتأسست بالقطر الجزائري دولة بنى حماد (٣٩٨ - ٥٢٩ هـ) وكتاب من أحسن دول الإسلام بلغت بجاية في أيامها أوج المدنية علما وعملا وفي أيامها استقر الأعراب الهلاليون بالبلاد :



٨ - نشأت بالمغرب دولة الموحدين ( ٥٢٤-٦٨٧ ) وعمت موجدتها كامل بلاد المغرب العربي فوحده توحيدا كاملا وكانت إدارة صالحة .

٩ - أسس أهل المغرب الجزائري بمدينة تلمسان دولة بني زيان ، أثر انقراض دولة الموحدين سنة ٦٢٧ فكانت دولة من أحسن دول البلاد بلغت أوج الحضارة ، ونبغ فيها العلماء ، و الأدباء والمخترعون ، وتوسعت في البلاد إلى أن أصابها الهرم ، وتنازع أمراؤها على كرسى الملك ، كما تنازع وتقاتل امراء بني حفص الذين أسسوا مملكة بجاية وعلوا كبيرا ، وكانت النتيجة : هي مهاجمة الأسبان لهذه البلاد بعد تفويض دولة المسلمين بالأندلس وأشعواها صليبية رسمية ، فاحتلوا كامل الساحل الجزائري من وهران إلى بجاية ، وذبحوا أهله وخربوا أعمرائة ولم يجدوا مقاومة عنيفة ، لان الشعب فقد قيادته .

١٠ - كان البطلان المسلمان ( عروج ) ( وخير الدين ) وهما من قراصنة الدولة العثمانية يقومان بانقاذ بقايا مساحي الأندلس والقنوم بهم إلى الأرض الجزائرية . فأرسل لهما الجزائريون يطلبون نجدهم العسكرية لإنقاذ بلاد الإسلام من احتلال الأسبان ، ولبي البطلان الطلب فنزلا خلف بجاية ثم استقرا ببعض المدن الساحلية ومنها قلما إلى مدينة الجزائر وكان سرور الشعب بهما عظيما ، فأسسا

بكامل البلاد دولة الجزائر المستقلة ، لأول مرة في التاريخ سنة ١٥١٦ م . وأقبل الشعب عليهم ، فنظموا الحكم وأقاموا الإدارة ووحدوا البلاد ، وأنقذوا الساحل الجزائري من الأسبان وكان عدد الأتراك قايلا جدا إنما التف أهل البلاد حولهم فكانت البلاد تحت الحماية العثمانية دولة قوية قهرت أسبانية بصفة لا مثيل لها وحاربت أغلب الدول الأوروبية واستمرت الحرب مع أسبانيا من أجل إنقاذ وهران ٣٠٠ سنة واستمرت الدولة الجزائرية هكذا إلى سنة ١٨٣٠ حيث احتلت فرنسا العاصمة .

١١ - رغم المقاومة البطولية التي قام بها أهل البلاد تحت قيادة الأمير عبد القادر وأحمد الشريف وإلى المقاطعة الشرقية تمكنت فرنسا بعد خسائر كبيرة ، من احتلال كامل البلاد ، وقهرت أهلها وإذلتهم لأنها كانت محمية إلا أن الأحرار أسسوا سنة ١٩٥٤ ( جبهة التحرير الوطني ) وأعلنوا باسمها الثورة العارمة الشاملة يوم أول نوفمبر ، وسلك الفرنسيون سياسة التدمير وإتلاف كل أنواع الحياة إلا أن ذلك لم يغن عنهم قليلا ، وتكيد الجزائريون أثناء حرب التحرير خسارة فادحة في الأنفس والأموال ، إذ قتل الفرنسيون منهم مليون ونصف مليون من الأنفس واستمرت الحرب إلى مارس ١٩٦٢ حيث اعترفت فرنسا مكرهة للجزائر بحق تقرير المصير ، وأعلن الاستقلال

يوم ٥ يوليو ١٩٦٢ وتأسست أول حكومة وطنية بها :

١٢ - نظامها وإدارتها = يقول الدستور الجزائري والميثاق الوطني الجزائري أن الدولة دينها الإسلام ولغتها العربية، وهي دولة ديمقراطية شعبية يديرها حزب جبهة التحرير الوطني الجزائري بواسطة حكومة رئاسية تعتمد على مجلس أمة شعبي وبها ٣٢ ولاية لكل منها مجلس شعبي ولأئى منتخب ولكل مدينة فيها مجلس شعبي بلدى ( وعددها ٧١٠ ) وهي تسير فى نظام اشتراكى لا يعارض الإسلام دين الدولة . فأنشأت منذ الاستقلال تعالما وطنيا قويا تشمل أقسامه الابتدائية ٤,٥٠٠,٠٠٠ طفل يتعلمون العربية فقط خلال ثلاث سنوات مع حفظ شىء من القرآن ، وعلوم الدين ؛ ثم يتناولون اللغة الفرنسية بعد ذلك إلى جنب العربية لبقية مدة الدراسة وبالجزائر اليوم ٦ جامعات لتدريس العلوم العليا ، وهي سائرة نحو التعريب التام رجالها الخالدون = من أشهر رجال العلم والأدب فى الجزائر منذ إسلامها العلامة إبراهيم ابن عبد الرحمان التنسى ، والشاعر العظيم بكر بن حماد أيام الدولة الرستمية ، والعالم الطبيب اللغوى ابن تيمم والجغرافى الكبير ابن الوراق أيام الفاطميين ومحمد بن على الصنهاجى المؤرخ الكبير واللغوى النحوى ابن العفراء والعلامة المجتهد ابن الرماح فى دولة الفاطميين أما فى أيام الموحدين فقد نبغ فى أرض الجزائر

الشريف ابن عمارة الشاعر الكبير والحسن ابن العكون القسنطينى ، ويوسف بن إبراهيم الوارجلانى : أما فى أيام دولة بنى زيان فقد نبغ نبوغا كبيرا وتفوق أمثال عبدالرحمان الثعالبي ومحمد بن يحيى الونشريسي ومحمد السنوسى والقاصدى الفلكى وابن الفحام المهندس واضع اول ساعة متكلمة ، والمقرى صاحب كتاب نفح الطيب أما أيام الدولة الجزائرية العثمانية فقد نبغ رجال عظماء من محمد بن عمار الجزائري وعيسى بن محمد الثعالبي ، ويحيى بن صالح المليانى وعمر المتقلاتى . أما فى أيام فرنسا فقد سجلت بكل فخر أسماء الأمير المجاهد عبد القادر ابن محى الدين وأحمد الشريف المجاهد بقسنطينة ومحمد ابن أبى الشنب ، وعبد الحميد بن باديس محى العربية والإسلام والبشير الإبراهيمى العالم الأديب عضو مجمع اللغة العربية والشاعر الكبير محمد العيد ومفدى زكريا .

والجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية مدينة جميلة تقع داخل جون واسع على البحر المتوسط . تمتد على الساحل وترتفع شيئا فشيئا إلى قمة ربوة ترتفع نحو ١٢٠ مترا حيث توجد قلعة ( القصبة ) والمدينة ذات قسمين مختلفين بصفة ظاهرة : المدينة العربية العتيقة وهي المرتفعة على سفح الربوة وبين منحدرات طرفها الظيفة نجد الديار العديدة ذات الطابع الأندلسى ؟ والعثمانى وكلها مبنى على نمط واحد بهيج ، يشرف أكثرها على البحر ثم المدينة الأوربية التى بنيت



اتقاض المدينة العربية العثمانية التي كانت على الساحل البحري ، وكانت تشمل أجمل المساجد وأبهى الدور العربية ومقر الإدارات العثمانية المختلفة . فبعد احتلال فرنسا لهذه المدينة ( يوليو ١٨٣٠ ) حطم المستعمرون كامل الشريط الساحلي وأتلفوا ما فيه من مساجد ( ١٠١ ) ومن حدائق وقصور ، وبنوا على أنقاضها مدينة أوربية كاملة ، وللمدينة مرفأ كبير كان في قديم الزمان مجموعة من عشرين جزيرة ، جمع بينها القائد العثماني الشهير خير الدين باشا سنة ١٥٢٠ بواسطة سدود ، فأصبحت مأوى للأسطول بحري من أشهر أساطيل القرصان الذين لعبوا دورا خطيرا في البحر المتوسط فيما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ميلادي ووسع ذلك المرسى الذي لا يبعد عن مرسيليا إلا مسافة ٨٠٠ كيلو مترا ، حتى أصبح من أهم وأعظم مراسي الخوض الغربي بالبحر المتوسط .

تاريخها = أسس العرب الكنعانيون ( الفنيقيون ) هذه البادية حوالي ١٠٠٠ سنة ق .م فأصبحت من أهم مراكزهم التجارية التي أسسوها على ساحل البحر المتوسط وكان اسمها يومئذ ( أقسوم ) ثم استولى عليها الرومانيون بعد تحطيم قرطاجنة ثم تولى أمرها كل الفاتحين من بعدهم ( انظر قسم الجزائر الجمهورية ) إلى أن تولى العرب المسلمون أمرها وتداولت عليها دولهم ، وقد خربتها الأعمال الحربية المتوالية

وأهملت . فأعاد الأمير الحمادي الشهير بولكين ابن زيري بناءها حوالي سنة ٩٨٠ م : وأصبحت ماءهولة بقبيلة « بني مزغنة » الأمازيغية ثم استقر حولها الأعراب من بني هلال وخاصة من الثعالب الذين دخلوها وتاءلفوا مع سكانها وفي سنة ١٥١٦ جاءها القائدان العثمانيان عروج وخير الدين في أسطولهما القرصاني وأبعد عنها الخطر الأسباني الذي ضيق عليها الخناق . واتخذ منها عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة التي تدعى ( دولة الجزائر ) محتمية بالخلافة العثمانية في استامبول .

أخذت المدينة تندو وتستقر بها الأوضاع منذ تلك السنة وتوالت عليها الحملات الأسبانية القوية برا وبحرا فقهرها الجزائريون وحطموها جميعا ، سنوات ١٥١٦ - ١٥١٩ - ١٥٤١ حيث حطموا كامل أسطول وجند الملك شرلكان وتوطدت أركان الحكم الإسلامي العثماني مدة تزيد عن ٣٢٠ سنة ، إلى أن احتلها الحند الفرنسي يوم ٥ يوليو ١٨٣٠ بعد معركة رهيبة واتفاقية أبرمت من أجل تسليم المدينة ، ولكن الفرنسيين أهملوها وعملوا على نقيضها .

أصبحت مدينة الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي مدينة كبيرة ارتكزت فيها الإدارات العامة والولاية العامة ، وكانت محط رجال الاستعمار ومركز المعاملات التجارية والتبادل الاقتصادي وأصبح



سكانها يومه مئديباغون ٦٠٠٠٠٠ منهم ١٥٠٠٠٠ فقط من أهل البلاد :

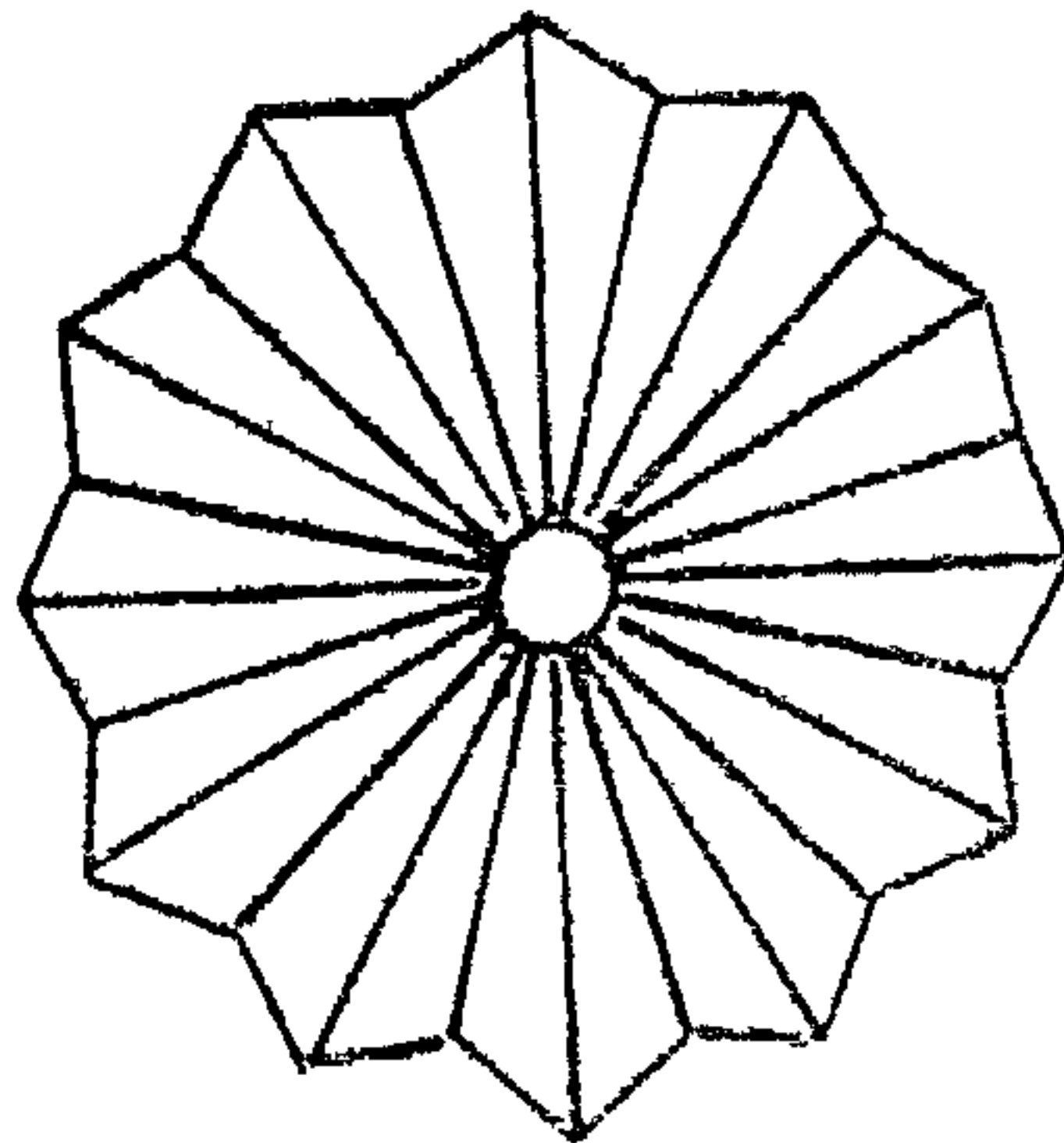
وهكذا إلى أن أعلنت الحرب التحريرية العظمى يوم ١ نوفمبر ١٩٥٤ فاشتريت مدينة الجزائر اشتراكا فعالا في حوادث تلك الثورة العارمة ، إلى أن أيقنت فرنسا بأن انتعنت لا يجسديها نفعا وكثرت خسائرها ، وسقطت حكوماتها ، فاعترفت للقطر الجزائري بحق تقرير المصير ، وأعلن الاستقلال باجماع الأصوات أواخر سنة ١٩٦٢

يومئذ تأسست بمدينة الجزائر حكومة وطنية من رجال جبهة التحرير وجيش التحرير وأخذت الجزائر عامة تسيير في ميدان التقدم العلمي والاجتماعي

والاقتصادي ، واستقرت ، على إنقراض النظام الاستعماري إدارة وطنية صرفة عملت بجد وإخلاص لإصلاح ما أفسده الاستعمار كما استقرت بها الشركات الوطنية الكبرى التي تدير اقتصاد البلاد الذي ينمو ويستقر بصفة مستمرة .

أما السكان فقد أصبحوا اليوم نحو ٢٧٥٠٠٠٠٠ منهم ٢٧٥٠٠٠٠٠ من الجزائريين وقد غصت بهم المدينة القديمة ، وضائق بهم العمارات التي لا يكاد يحصيها عدد ، والتي أنشأتها حكومة الاستقلال .

أحمد توفيق المدني  
عضو المجمع من الجزائر



# أصحاب اللسانين

للدكتور حسين مجيب المصطفى

وحدة فلما أصبحوا من أهل لا إله إلا الله تألفت ثقافتهم وإن تخالفت لغاتهم وتساندت ألسنتهم في التعبير تبعاً لتشاكلهم وتقاربهم في الشعور والتفكير . ولا غرو فإن وحدة القصيدة مترتبة عليها بالجمع وحدة الثقافة وهي التي أدمع عليها كل ما خفق في القلوب وانتقام في العقول والأفهام ومن حيث مست الحاجة في كل شعور وتفكير إلى إبانة عنه وتفسير له ، كان التراث الإسلامي متكامل العناصر متشاكل ، وهي عناصر ما من صلب إلى فصل أحدها عن الآخر — فبينهما ندبة لاضدية — أما اختلاف لغات ذلك التراث فتعاق بالمظهر غير متصل بالجوهر .. وما ذاك إلا لأن المعنى يلبس اللفظ ثوباً ومن اكتسب ثوباً عوضاً من ثوب تبدلت بزته رأى العين وما تبدلت حقيقة في واقع الحال .

ونستخلص من هذا كله أن من بلغاء وعلماء الفرس من اتخذوا لهم لسانين هما والفارسية والعربية ولذلك امتازوا بتلك التسمية من غيرهم الذين لم يقدموا إلى تراث

من غير شك أن الفرس بعد إذ تعربوا بلغوا كل مبلغ في امتلاك ناصية العربية وكل ما هو متصل بسبب منها ، ولقد ترددت على ألسن فصحاءهم كما مجرت على شبة أقلام بلغائهم ولماهم ولا نسيان على طول الزمان لما أورثوا التراث العربي من بدائع وروائع .

وبالذكر جدير أن انعماد الوصلة بين الفرس والعرب متوضح في مظهر لغوي بالتراث هو التقاء بين العربية والفارسية جميعاً لدى بعض الفرس لغتين في كفتي ميزان تراجيحان وبهذا نظموا على الأنخص شعرهم ودبحوا نثرهم وأصدروا التأليف والتصانيف . ويسرنا قولنا إن مثل تلك الظاهرة تقوم كدليل على أن التراث الإسلامي في شتى نواحيه إنما تتوزعه أكثر من لغة فما كان محكراً على لغة الضاد ليس إلا . وفي ذلك ما يرشد إلى ما كان لدين الله ولغة كتابه المبين من جليل القدر وعظيم الخطر وكبير الفضل على أجيال من الناس وأجيال جهمتهم من الدين جامعة وانتظمهم

المسلمين مزيدا وجديدا إلا بلغتهم الفارسية  
وفرق بين صاحب قدرة وصاحب قدرتين  
وليس سواء شيء وضعفه .

وهذا الملحظ يتأيد ويتأكد بخاصة فيما يتعلق  
بشأن صاحب اللسانين وما ذاك إلا لأنه ملحوظ  
جلى لا مجال للريب فيه .

أما إذا كان من الخير أن نسوق الكلام  
على وجه التحديد وتطلق الحكم في شمول  
وعموم ، فلنا أن نشير إلى أن أصحاب اللسانين  
من الفرس لا يشكلون كثرة بل قلة في نطاق  
الإمكان حصرها وهى من قبيل تلك القلة  
التي للجهاذة الأعلام وصفوة أهل التحصيل  
الذين برزوا على غيرهم واوتوا من العلم ما  
لم يؤث سواهم إلا في الندرة . كما أن هؤلاء  
تظهر لهم نصوصيتهم المرموق من قدرتهم  
الأمر طويل زمان على فتح العرب لفارس  
وقامت الفارسية على ساق ولها مكتمل من  
كيانها وأهلها معززون بها ذهابا منهم  
إلى اعتزازهم بقوميتهم الفارسية التي ردت  
عليهم بعد أن محققا العرب أو كادوا . ومن ثم  
يستبين فصل صاحب اللسانين الذي يقتدر  
على التعبير بلغة الضاد التي لم تعد بلغة الفرس  
مالهم لغة سواها . على نحو ما ينطلق تعبيره  
بلسانه الفارسي الذي أصبح قومه كافة . فما  
كان عليه بأس إذا ما عالج من ذلك ما عالج  
وقد امتلأ فخرا ، لأنه إنما شق على نفسه  
بمزاولة مطلب صعب وركوب مركب وعمر .

ولكن بين أصحاب اللسانين تفاضل  
وتفاوت ، فمنهم من كانت إحدى اللغتين  
أوفى نصيباً من اهتمامه من اللغة الأخرى  
فأكثر من تأليفه بالفارسية مثلاً ، وذلك يطرد  
عكسا . كما لا يخفى أن إجادته فيها ليست  
على قدر متساو .

وأول حقيق بالذكر من هؤلاء الأمير  
قابوس بن وشمكير الزيادى المتوفى عام  
٤٠٣ هـ وهو من الملوك الأدباء وصاحب  
هذه الأبيات المأثورة :

قيل لذي بصروف الدهر عيرنا  
هل حارب الدهر إلا من له خطر  
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف  
وتستقر بأقصى قاعه الدرر  
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا  
ونالنا من تمادى بؤسه الضرر  
ففي السماء نجوم مالها عـدد  
وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وكان يقول الشعر بالعربية والفارسية  
ولقد ثقلت عليه العلة وناكرته حروف  
الزمان إلا أنه كان منقطع القرين في علو  
همته وكرمه وأدبه وله في النثر العربي روائع  
ورسائله من البلاغة في رتبة رسائل بلغاء العرب<sup>(١)</sup> .

بيد أننا لا نعرف له في لغة الفرس نثرا  
فنيا ولا شعرا مطرباً معجباً وله أبيات يقول  
فيها .

(١) آشتياني : قابوس وشمكيرزيادى ص ١٣ ( برلين ١٣٤٣ )



(إن أمر الدنيا كله رغبات وحاجات أنا لست أشغل القلب بما يحتاج ويرغب ولقد اخترت عشرين شيئاً من هذه الدنيا كلها ، كما أقضى بها الحياة بطولها — الشعر والغناء والحسنة ، وما طاب لي من صهباء ، والشطرنج والنرد ، والمصايد والبازي والفهد ، والميدان والحضرة والملاحم والكرة والملاحم والولائم والفرس والسلاح والسخاء ، والصلاة والدعاء) (١)

فإذا ضاهينا هذا المثال — من شعره الفارسي بما أوردنا من شعره العربي ، تبين لنا ما بين المثاليين من تخالف . وأدركنا في يقين أن قابوس بن شمسكير صاحب اللسانين قال في العربية شعراً مستقيم المنهج شرق المعاني يرى على اللسان للتمثيل بحكمة وبلاغة ، أما في الفارسية فلا يستدل من شعره على أنه شاعر رفيع الطبقة لطيف التخيل . وما قيل من أن له الروائع في النثر العربي بمخاصة ، يقيم الدليل على ما نذهب إليه من أنه في عداد أعيان البيان ولكن في لغة العرب لالغة الفرس .

وإننا لنذكر بقابوس بديع الزمان الهمداني لما بينهما من وجوه شبه . فبديع الزمان من فاضت له الشهرة في الآفاق بمقاماته التي راقت ديباجتها ونمقت عبارتها : ونثره يفضل

شعره . وكان يرغب إليه أن يترجم الشعر الفارسي غريب المعنى إلى شعر عربي . فيجمع في ترجمته بين الإسراع والإبداع إلى عجائب كثيرة لا تحصر (٢) .

واتفق للمصاحب بن عباد أن أراد امتحانه — معجزاً له — فاقترح عليه ترجمة أبيات من الشعر الفارسي إلى شعر عربي . وبلغ بديع الزمان من اقتناعه بعظم قدرته على أداء ما طلب إليه على الوجه الأكمل أن يختار أصعب القوافي والبحور وأن يترجم على البليغة ، وكأنما امتلاً زهواً وعول على مواجهة المتحدى بأيسر جهد والإشارة ضمناً إلى أنه ما لها إلا هو .

وإن دل ذلك على شيء فدلالة على اتساع باعه في لغة الضاد . ولا غرو فإنه من البلغاء المشاهير ولا ريب ، أما ما فيه بعض الريب فكونه صاحب فصاحة وإبانة في الفارسية لأن ذلك مالا نعرفه عنه ولا نعهده فيه .

ومادام الشيء بالشيء يذكر ، فهذا فارسي آخر من أصحاب اللسانين يسمى ابن أبي كوبة ثوبة ، (قيل إن أحد الندماء في مجلس شرابه أنشد بيتين من شعر أبي نواس ، فتأمل ساعة ثم ترجمه إلى شعر فارسي ترجمة عنيفة في دقتها وجودتها) (٣) .

من بیش دل بیش آزونیا زرا  
تاهم بدان کزارم درازرا

(١) كارجهان سرار ازاست يانیاز  
من بیت جیزرا بجهان برکزیده ام

شعر و سرود ورود وفي خوشکواررا

میدان وکوی وبارکه ورزم و بزمرا شطرنج و نرد و صیدکه و بوزویازرا

اسب و سلاح وجود و دعا و نمازرا

(٢) الثعالبی : یتیمه الدهر . ص ٣٤١ ج ٤ ( القاهرة ١٩٣٤ )

(٣) عوفی ، لباب الالباب ص ٧٦ ج ١ ( لیدن ١٩٠٩ )

وجملة ما يقال في هذا الصدد أن ابن أبي توبة كان راسخ القدم في علمه باللغتين . فهو من أصحابهما . ومن أهل القرن الرابع الهجري أبو الفتح البستي الذي ينسب إليه محمد عوفى صاحب لباب الألباب ديوانا من الشعر العربي وآخر من الشعر الفارسي ، ويخصه الثعالبي في يتيمة بسبع وعشرين صفحة يورد فيها الأمثلة من نظمه ونثره إلا أنه لا ينسب إليه ديوانا من الشعر الفارسي . وفي هذا أخباره أنه ترجم عن الفارسية إلى العربية شعرا . وبما أننا لم نطلع على شعره الفارسي ، لا يتيسر لنا معرفة الراجح من الرجوح المرجوح من شعره في اللغتين ، وإن كنا أميل إلى أرجحية شعره ونثره في العربية وذلك لئلا في أدب العرب لا في أدب الفرس .

كما قيل أن ابن أبي عباس الأسفرايين وزير السلطان محمود الغزنوي كان يترجم الشعر العربي إلى شعر فارسي . مما يستدل منه على أن كثيرا من الفرس ألفوا الترجمة المنظومة إلا أن هذا إنما كان رياءمة ، ورغبة في التباهي بعلومهم في اللغتين جميعا . وهنا نتحفظ في الحكم لنقول أن هؤلاء المترجمين إذا اقتصرنا على الترجمة وحدها وعلى نحو محدود فهم من أصحاب اللسانين ولكن لا يبلغون مبلغ غيرهم ممن نظموا ونثروا وألفوا في اللسانين جميعا .

ويأتى الترتيب بعد ذلك على ذكر عمر الخيام ، من حيث كونه شاعراً ذاعت شهرته برباعياته الفارسية ولما كاد يعرف بأنه معدود في أصحاب اللسانين . لقد اشتهر بشعره الفارسي لا العربي وأصبحت الترجمة الإنجليزية لرباعياته ضمن روائع الأدب الإنجليزي وهي أكثر تداولاً عند قراء الإنجليزية ولا يضاهيها إلا روائع شكسبير (١) .

وقيل إن الخيام يربط بين الشعر الفارسي والعربي في تصوراتنا أبياتاً في لزوميات أبي العلاء تذكرنا بأشعار الخيام (٢) .

وهذا رأى لا نميل إلى الأخذ به لما فيه من تحكم وتجاوفاً عن حقيقة الأمر وليس يكفي أن يتفق الشاعران على أن أديم الأرض من هذه الأجساد للحكم بأن الشعر العربي والفارسي ملتقيان في قولهما .

أما ما نلاحظه على شعر الخيام العربي بالخاصة ، فهو اختلاف غرضه فيه كناية عن غرضه في شعره الفارسي لأنه القائل :

تدين لي الدنيا بل السبعة العلى  
بل الأفق الأعلى إذا جاش نحاطرى  
أصوم عن الفحشاء جهرا وخفية  
عفا وإفطاري بتقديس فاطرى  
وكل عصبة نلت عن الحق واهتدت  
بطرق الهدى من فيض المتقاطر  
فإن صراطي المستقيم بصائر  
نصبني على وادي العمى كالقناطر

(١) د . حسين مجيب المعري : من أدب الفرس والترك ص ١٩ ( القاهرة من ١٩ )

2. weir : Dmarkhoyyam tee poar pll lfahore 1954i.



ولذا تدبرنا هذا الشعر مبنى ومعنى ،  
 ألفيناه مهلهل النظم تعوزه استقامة العبارة  
 وسلامتها ، ويرشد إلى أن قائله نازل عن  
 رتبة المجيدين وهو ذاهب بنفسه إلى أبعد  
 الغايات . وباليته كان سمح القريحة ، فلقد  
 جهد أن يتألق غير أنه لم يوفق . ولكن الخيام  
 قبل هذا من قوله مورد على الخاطر أنه  
 في شعره العربي مناقض "معاند" لنفسه  
 في شعره الفارسي الذي ذهب الدارسون  
 مذاهب شتى في التعرف على حقيقة غرضه .  
 ونحن نتمخذ من شعره العربي هذا على ضعفه  
 وركته ما تؤيد به رأينا في الرجل ورباعياته .  
 فالذي عندنا أنه كان عالما تحريرا وسع علمه  
 الأصول والفروع من تفسير وحديث ولغة  
 وطب ونجوم ، ولذلك عرف بحجة الحق ،  
 وقلة الزلنى والخطوة وعلو المنزلة عند السلطان  
 الذي كان يجلبه ويوقره ويجلسه إلى جانبه ،  
 ولا يستقيم في بدائه العقول أن يحمل قوله  
 في الدعوة إلى معاقرة الصمباء والتهافت  
 على مفاتن دنيا إلى فناء على الظاهر . فلم  
 يبق إلا أن تكون جمهرة رباعية الفارسية  
 منحولة مدسوسة عليه وهو الأقرب إلى  
 الحقيقة ، أو أنه كان لكلام ظاهر غير  
 مقصود وباطن هو المقصود وما زال اللبس  
 ينفش ذلك المقصود .

ويبدو حكما حلب الدهر أشطر ،  
 متمرسا بتجارب زادتته علما ولأعماق السرار  
 فهما ، فهو القائل :

زجيت دهرا طويلا في التماس أخ  
 يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا

فكم ألفت وكم أصبت غير أخ  
 وكم تبدلت بالإخوان إنخوانا

فكان هذه القلة من الأبيات العربية التي  
 دخل في زمرة أصحاب اللسانين أبدت  
 مارواه أصحاب السير من سيرته كمؤمن  
 موقن تقي نقي . وأعانتنا بالتأني على الاجتهاد  
 بالرأى فيه ، فخرجنا به خروجا بعيدا من  
 طائفة أهل المجانة والصبوة والملاحدة المارقين  
 قديمين بالذكر أن قرنا واحدا هو القرن الخامس  
 الهجري أظل الخيام وشاعرا آخر يسمى  
 مسعود سعد سلمان . وكان مداحا إلا أنه  
 أول من ضمن القصيدة الفارسية خلاصا من  
 أحاسيسه وطبعها بطابع من ذاتيته (١) .

ومن أهم ما تميز به سيرته أنه قضى في  
 السجن سنين عددا على غير ذنب مقتضى  
 لسجنه وإنما زجه في غيابه السجن كيد الكائدين  
 وحقد الحاقدين المحتمين ، مما أفرغ على  
 شعره لونا ميزا له مخصوصا به . وهنا  
 يجول في الخاطر ما جال بشأن الخيام وأبي  
 العلاء من رابطة التشابه بين شاعر فارسي  
 وعربي ، وذلك أن مسعود سعد سلمان  
 برز في فن مستطرف هو فن الحبسيات ،  
 وحبسياته تعقد وصلة بينه وبين الشاعر  
 العربي أبي قراس الحمداني صاحب الحبسيات  
 المأثورات .

1. Bousani : Storia della Letteratura dal Faistan IF 65, (6 ( Milano 1958) .



أما إذا كان مناط اهتمامنا في هذا المقام شعره العربى ، فهذا هو ذا يصدقنا القول في شأنه من يقوله في بيت من الشعر الفارسى ما ترجمته ( ولو اخترتني في العربية والفارسية إنسان — لكنت أنا فارس هذا الميدان <sup>(١)</sup> ) وقد أورد رشيد الدين الوطواط الشواهد من شعره العربى والفارسى في كتابه ( حقائق السحر ) وهو كتاب في البلاغة ، ولكن ناشر ديوانه الفارسى يقول إن جمع شعره العربى بين دفتى ديوان موضع نظر <sup>(٢)</sup> .

ولعل مسعود سعد سليمان بما ذكر عن سعة علمه بالعربية والفارسية يطلعنا كما لم يطلعنا غيره على واقعة الحق ، كما أنه قدم العربية على الفارسية وتاه فيها بتضلعه منهما في آن .

أما أن يسوق مؤلف في البلاغة أمثلة من شعره فيها جميعا ، فلن يسقط به الاستدلال على أنه كان ينظم بهما جياذ أشعاره ، مما يلزم منه أن يكون علمه بهما بمقدار واحد ونظمه فيهما بالسوية على الأرجح ومن قوله :

لعل كأن الشمس ضلت ممرها  
وليس لها نحو المشارق مرجع  
نظرت إليه والظلام كأنه  
على العين غربان من الجحوق

فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي  
من الهم منجاة وفي الصبر منزع  
وفي أخباره ما إذا استقرأناه وتدبرناه  
وجدناه يحمل الدليل على أنه أخلى ذرعه  
للنظم بالعربية وبلغ شأو المشهود لهم بالإجادة  
قيل إنه كانت بينه وبين الحريرى صاحب  
المقامات ألفة ومودة مكانا يتراسلان بالشعر ،  
واتفق أن أرسل إلى الحريرى أبياتا أثناء  
مقامه في مصر <sup>(٣)</sup> . فرد عليه الحريرى بشعر  
يقول فيه :

كلام كنور الربى فاح غضبا  
وقد غازلته شآبيب قطر  
وريح الشمال جرت ثم جرت  
على صفحة الأرض أذيال عطر  
ونجم الليالى ونظم الآلى  
ومقبوط عمر ومضبوط أمر

ونحن وإن لم نطلع على ما نظم مسعود من أبيات ، نقطع بأنها عربية فبعيد كل البعد أن يكون قد بعثه إليه الشعر فارسى لاعلم له باللغة ، ولو كان كتب إليه بالفارسية لأجابه بلغته .

فالأدلة تتوافر على أن مسعود سعد سليمان من أصحاب اللسانين الذين شغلوا أنفسهم بالعربية والنظم وعرضوا مافى جعبتهم على

( ١ ) د . حسين مجيب المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك . ص ١٦٤ ( القاهرة ص ١٩ )

( ٢ ) رشيد ياسمى : ديوان مسعود سلمان . ص ١٠٨ ( نهران ١٣١٨ )

( ٣ ) محمد محمدى : الدراسات الأدبية ص ١٥ عدد ٣ عام ٢ ( بيروت ١٩٦٠ )

أبلغ البلغاء في العربية وكأن لهم رغبة في  
المعارضة والمساجلة .

ويذكر بعده سعدى الشيرازى من أهل  
القرن السابع الهجرى ، ويعد أكبر وأشهر  
الأخلاقيين في الشرق وأكثرهم شعبية<sup>(١)</sup> .

وهو ذلك الحصيف سديد الرأى الساخر  
المتهكم فى تسامح إذا تناول بالنقد والتجريح  
نقائص ومعايب الإنسانية ، وتلك مزية  
له نكاد نعدمها عند معاصريه . مما يثير فرط  
الإعجاب به<sup>(٢)</sup> .

وسعدى فى تراثه الأدبى المنشور والمنظوم  
يمثل البليغ الإسلامى الحق الذى جمع أشات  
العلوم الإسلامية من أطرافها . وكان العلم  
بلغة الضاد قواما يقوم به كيان ثقافة .  
وحسبنا أن نشير أنه قضى شطرا من عمره  
يحصل العلم فى المدرسة النظامية ببغداد ،  
ومن هذا شأنه يجدر به أن تكون العلاقة بينه  
وبين العرب ولغتهم أقوى منها لدى سواه  
ممن لم يعيشوا بين ظهرانى العرب .

وفى كلياته قسم عنوانه (قصائد عربية) .  
وهذا العنوان دال على كثير ، لأنه يؤكد  
أن صاحب تلك الكليات أو مجموعة أخرج  
صاحبها من تأليف تتضمن قسما قائما برأسه  
لما توفر الشاعر على نظم من شعر عربى إلى  
جانب ما نظم من شعر فارسى وكتب من

نثر فنى . وذلك ما يتبوأ به سعدى رفيعا من  
منزلة بين أصحاب اللسانين .

وعند بعض العلماء أن سعدى نظم بعض  
أشعاره العربية بالضرورة وهو مقيم فى  
بغداد<sup>(٣)</sup> ونحن نتلقى هذا الرأى على أنه بجائز  
عقلا ، وإن كنا لانستطيع الحكم بأرجحيته  
لخلو اليد من حجة تؤيده . وأياما كان فهو  
مؤكد أن الشاعر عاش فى بيئة عربية ،  
وذلك ما يدنوبه ويدنو من شعر العرب وقد  
يتأتى له به أن يكون أقدر على نظم الشعر  
العربى من فارسى سواه لم يعيش العرب فى  
أرضهم ، وبالتالي تبرز فيه صفات ذى  
اللسانين على نحو ليس لغيره .

وأول ما نلتفت إليه من الشعر العربى  
قصيدة طويلة يتوجع فيها لما حاق ببغداد  
من خراب واندثار . لعالم حضارة الإسلام  
فيها بعد غزو التتار لها فشان الريح الهوجاء  
فى عصفها وقصفها .

وهذه القصيدة من اثنين وتسعين بيتا ،  
ولاتماسك فى وحدة ، وسعدى متنقل فيها  
من غرض إلى غرض لكثرة ما يتوارد عليه  
من معان ، ففى ديباجتها يعبر عن كوامن  
الشجن فى نفسه ويبدى مرير الأسف  
على ما حاق بحاضرة الإسلام التى سواها العتاة  
الطغاة بالأرض هدماء ، وانها لوا على الأسفار

1 - Horn . Geschichte persischen litteratur. 2168 (Leipzig 1901).

2 - B arlior de Meynard . le Booton . P 26 (Paris 1880)

3 - Massu Essai aur le Poète Soodi R 21 (Paris 1919)

تمزيقنا وتحريقنا ووضعوا السيف في أهل العلم والفضل إلى غير ذلك من قائم ومحارم .  
والحق أن سعدى جعل من قصيدته وثيقة تاريخية لها عظيم من الأهمية إلى إنطاقها لساناً لكل مسلم في قاصية الشرق وقاصية الغرب في قلبه مثل حز الجسام من لوعة الأسى :

حببت بحفى المدامع لا تجرى  
فلما طغى الماء استطال على السكون  
نسيم ضبا بغداد بعد خرابها  
تمنيت لو كانت تمر على قبري  
لرمت اضطباري حين كنت منازلها  
وهذا فرات لا يعالج بالصبر  
أديرت كؤوس الموت حتى كأنه  
رؤوس الأسارى قد رجحن من السكر

بنكت جدر المستضربة تدية  
على العلماء الراغبين ذوى الحجز  
نوائب دهر ليتنى مت قبلها  
ولم أر عدوان السفينة على الخير

محابر تبكى بعدهم بسوادها  
وبعض قلوب الناس أحلك من حبر

مررت بهم الراسيات أجوبها  
كخنساء من فرط البكاء على صنخر

ويبسط القول في وصف البكاء وشدة الجزع لوقوع البلاء إلى أن يطرق غرضنا آخر هو الأسف على أن السلطان هلك عن العباسيين ، وقد ذهب ريحهم بعد ما كان من

شؤدهم واتساع ملكهم ، وينفضى ، ذلك إلى التوجع للخليفة المستعصم آخر خلفائهم فتذكره الرقة له ويشبهه بالأئمة في عصمته واستشهاده وتتأذى نفسه بالألا يذكر على المنابر .

إلا أنه يغلب على تصبره وتجلده فبعد أن حدثنا ما شاء الله أن يحدثنا عن سنقوط الخلافة ونكبة الخليفة مشيها في ذلك من يؤرخ الحقائق ويعرف بمصائر أمور الدول سرعان ما يعود إلى التعبير عما يكرب نفسه ويمضها حين يتصدى لوصف السبيل وهن يسقن سافرات ذليلات ذليلات ، ويأبى يرمز لتحقيقهن بعدما كان من توقيههن .  
وبذلك ضمنا إلى ما حاق بالمسلمين من ذل وهوان بعد أن غلبوا ونكبوا : ثم يجرى على ما يجرى عليه شعراء الفرس خصوصاً من قول في الحكمة والموعظة وبذل النصيحة ، كأن يغلب اللائمة على الشامت المعير بالدهر والأيام دول والزمان ذو غير .

ولسعدى قصيدة فارسية في الغراض لنفسه ، تفرق عن القصيدة بوصف نكبة المسلمين بسقوط خلافة أمير المؤمنين في تفصيل بيان وتحديد حقائق ، وبذلك تتكامل القصيدتان فيما تتضمنان من معان وأغراض ، وقلة فسعدى الشيرازى صاحب اللسانين بهاتين القصيدتين يبدو بجانبين متماثلين متوازيين يتسقان في لغتين .



ولكن سعدى مع ما عرفنا من جدية  
توفره على نظم الشعر العربى . لم يعرج  
فى سماء شهرته إلا بحاله فى الفارسية من  
منظوم ومنثور . ومثل تلك الظاهرة تتجلى  
على نحو أوضح لدى الشاعر حافظ الشيرازى  
من أهل القرن الثامن الهجرى الذى تجتمع  
الكلمة فى المشارق والمغرب على أنه شاعر  
الفارسية الرقيق الأنيق ..

وهذا مستشرق روسى لا يعزو شهرته  
بشاعريته إلى الجارق من قدرته على التصوير  
والتبثيل ، بل إلى نزعة الغلبة إلى غنائيته (١).

وإن كنا أميل إلى القول بأن رقة معانيه  
ودقتها وجمال عبارته وأناقتها هى التى رفعت  
بين شعراء الفرس من منزلته ووهبته ماله  
من حيوية .

ولحافظ شعر عربى ، إلا أنه ليس فى  
مجموعة كما هو الشأن فى شعر سعدى  
العربى ، وشعره متفرق فى مواضع من  
شعره الفارسى ، فتارة يورد شطرا  
بالعربية مقابل شطر بالفارسية وهذا مألوف  
عند شعراء الفرس كافة ومعروف بالتلميع  
وأصل التلميع أن تكون فى جسم الفرس  
مواضع من لون يخالف لون جسمه ، فكان  
مصطلح التلميع على التشبيه . كما يورد  
بيتا أو أبياتا فى أول شعره أو نهايته . وقد  
يتتالى البيتان فى موضعين ونورد له أربعة

أبيات متعاقبة لتبين فيها خصائص شعره  
العربى :

ربيع العمر فى مرعى حُمَايَه  
حماك . الله . ياعهد . التلاقى  
مضت فرض الوصال وما شعرنا -  
وإنى الآن فى عين الفراق  
نهانى الشيب عن وصل العذارى  
سوى تقبيل وجه . واعتناق  
دموعى بعدكم .. لا تحقروها  
فكم نحر جمع من السواقى

فهذا شعر عربى لأماء فيه ولا رواء وهو  
بأدى العجمة والركة . وإذا تحصل معنى من  
البيت الرابع فقد عجز اللفظ عن أدائه .  
وفرق أى فرق بين حافظ فى شعره الفارسى  
وشعره العربى .

ولما كان المتوقع منه أن يقول شعرا عربيا  
على هذه الصفة ، وهو الذى قيل عنه فى  
شعره الفارسى إنه مبدع فى تعبيره وجماع  
ألفاظه . وقد تهيأ له بذلك أن يتخذ لنفسه  
على حدة ، تجمع بين الجزالة والسلاسة  
والحزن والطرب ، كما أن تغاير المعانى فى  
كلامه مما يشهد له بزيادة منقطع نظيرها (٢) .  
والتحصل مما سلف نذكره عن شعراء  
أصحاب اللسانين ، أن شعرهم العربى  
كان على تفاوت فى جودته ، ومنهم من نظم

1. Braginski : Khaafiz. Sti. 27 (Moskva 1950)

(٢) على دشتى : نقشى از حافظ . ص ١١٣ (تهران ١٣٣٩)

بالعربية رياضة وتكلفا للصنعة كما أنهم لم يكونوا جميعا على نحو واحد في اهتمامهم بالنظم في لغة الضاد .

وإذا ما عرجنا على شعراء الترك ألفينا مثل تلك الظاهرة الأدبية لديهم مع فوارق تمس الحاجة فيها إلى فصل إيضاح .

وأول ما نحن ذاكرون في هذا الصدد . أن الترك كانوا أضعف من الفرس صلة بلغة العرب ، فما خالطوا العرب وعاشوهم بهم كما كان من شأن الفرس وإنما عرفوا لغتهم لغة القرآن والحديث والشرع والعلم ، وما أولوها جانبا كبيرا من عنايتهم من حيث كونها لغة للأدب . وما ذاك إلا لأنهم ورثوا حضارة الفرس في كل مظاهرها ، وتأثرت لغتهم بلغة الفرس في الأعماق والأبعاد، ونظروا إلى الفارسي مثلا يحتذى . وذلك ما فرضه واقع تاريخهم وحقيقة وضعهم . وكانت الفارسية لدى بلغائهم هي لغة الثقافة والأدب العالي ، وما كان لأديب الترك وعالمهم غنية عن العلم بالعربية والفارسية ، ولكن على أن الأولى لغة دين وعلم والأخرى لغة أب وشعر .

وترتب على ذلك أن ظهرت في تاريخ الأدب التركي ظاهرة أصحاب اللسانين

أو الثلاثة ولكن بكيفية ونوعية تأليف مع ما عرفنا عنه الفرس وتختلف عنها .

ونبدأ بالتعرف إلى شعراء الترك وإقبالهم على النظم بالعربية ، كما أن بلغاء الترك لم يحدوا أن يكون للعرب شعر غاية في روعته . فيها هوذا شاعر تركي يسمى ( نابي ) كانت وفاته عام ١٧١٢ يوجه الخطاب إلى والده ناصحا وهو يقول ( ما أكثر أشعار العرب وهي التي قيلت في الشام وحلب . لا تقل أنها من الأوزان مجردة ، فإن لها أوزانها على حدة وعامرة بالمعاني الراقصة ، وما أشبهها بالمشعل اللامع ، يلتقي الشرر في الأسماع ، ويالهذا المطرب المعجب ، الذي يجلو مرآة القلب (١) .

فيؤخذ من مثل هذا القول اقتناعه الجازم بما للعرب من جياذ الأشعار إلا أن تلك الحقيقة السافرة لم تحرك إلا القليل من همم شعراء الترك إلى النظم بالعربية ، وفي نظرنا أن عمدة السبب في ذلك هو انصرافهم إلى شعر الفرس انصرافا تاما حرفة عن شعر العرب وهو في لغة أصعب عليهم تعلوها من لغة الفرس فما نظم في العربية إلا من اكتملت أدواته وغزرت معرفته وهم قلال .

(١) شعري جوقدر شعراى عربك  
ديمه ابيائه ناور دون ور  
نيجه معنا لري وار رقص آور  
وارا سچنده نيجه اشعار كشار

نرده ما يدسى شام وحلبده  
أنك اوزانلري ديكر كون در  
مشعل أساد وكر اسعاعه شرر  
كه قومز أنينة دلده عبار

وأول ما نعرف من شعراء الترك الذين نظموا شعرا عربيا القاضي برهان الدين المتوفى عام ١٣٩٨ م .

وله كذلك شعري الفارسية ، وذلك ما يرفعه إلى منزلة الشاعر التركي بالمفهوم الحق عند قدماء الترك لأن الشاعر في عرفهم كان من أحاط علما بأصول العلوم وفروعها وعرف لغات الأدب الإسلامي الثلاث وهي العربية والفارسية والتركية . أما أن يقتدر على النظم في لغة القرآن فهذا فضل كبير له وغاية لا يبلغها إلا نواحي الخواص أهل العلم والأدب .

وفي الشطر الأول من القرن الخامس عشر الميلادي نظم شاعر تركي يسمى يازنجي أوغلي محمد منظومة بالعربية عنوانها ( مغارب الزمان ) ، وقد استقى مادتها من تفاسير القرآن والحديث وكتب المتصوفة وأفواه العلماء والحكماء حتى قيل إنها احتوت اثني عشر علما . ولنا أن ندرك من نظمه لها بالعربية أن العربية كانت عند الترك آنئذ لغة العلم بخاصة والشاعر إنما نظم في أفانين العلم . وترجمها إلى التركية نثرا أخ للشاعر اسمه أحمد وسماها أنوار العاشقين كما يتيسر فهمها والانتفاع بها على النطاق الأوسع .

وتنسب إلى السلطان سليم الأول أبيات من الشعر العربي وهي معدودات لا ترقى

به إلى مرتبة الناضجين بالعربية من شعراء الترك . وإن كان له ديوان من الشعر الفارسي ينطوي على الجيد الرائق .

ويذكر بعده فضولي البغادي أمير الشعر التركي القديم الذي يحدثنا من شعره العربي فيقول في مقدمة ديوانه التركي أنه نظم الأراجيز العربية<sup>(١)</sup> كما يذكر في مقدمة ديوانه الفارسي أنه أطرب فصحاء العرب بشعره العربي<sup>(٢)</sup> .

وله ديوان من الشعر العربي ، ويقول بعضهم إن ديوانه العربي يتألف من ثلاثين ألف بيت من الشعر<sup>(٣)</sup> ومنذ خمسة عشر عاما أو ما يقرب ، أتيح لي الاطلاع على كتاب بعنوان الاعتقاد والقصائد العربية لفضولي الذي نشره حميد آراسلي الأستاذ بجامعة باكو الروسية . وبذلك أصبح في الإمكان النظر في شعره العربي في مجموعة إضافة إلى ما تفرق منه في ديوانه التركية بيتا أو بيتين .

من مثل قوله فيما يعرف في الشعر التركي بالمنعت وهو مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته :

أثنى على خير الأنام محمد  
كشف الدجى بضياء بدرجماله

بشائه رفعت مدارح قدرنا  
نخصت تحييتنا عليه وآله

( ١ ) فضولي : كلييات فضولي . ص ٩ ( استانبول ١٣١٥ )

( ٢ ) فضولي ديوان فضولي . ( مخطوطة بمكتبة جامعة استانبول رقم ٨٣٣ فارسي )

( ٣ ) برسومه لي ظاهرة عثمانلي مؤلفا ص ١٣٦٠ يكتنحي جلد ( استانبول ١٣٣٨ )



وهذا الشعر ذكرنا بشعر تلك المنظومات  
التي تعرف بالواحدة منها بالمولد وهي لشعراء  
مغمورين ومنها التعبير عن شعور المؤمنين  
نحو خير الأنبياء والمرسلين .

ويقول فضولي في فن من فنون الشعر  
للفرس والترك الف به ، فما يكاد ديوان  
من دواوينهم يخلو منه ، وهم يطرقون هذا  
الفن في الصفحات الأولى على أنه تمهيد وديباجة :

يا من بسط الأرض وأجرى الأفلاك  
إدراك كماله كمال الإدراك

في الأرض والسماء لأرب سواك  
ما نعيد يا واحد إلا إياك

وهذا النمط من الشعر هو المعروف في  
الفارسية بالدوبيت بمعنى البيتين وللفرس  
ولوع به وإيثار له على جميع أنماط  
الشعر ، وذلك لأنهم يعدونهم النمط الفارسي  
الخاص بهم ، وما عداه إنما هو مستعار من  
العرب ، وأخذوه الترك عنهم ونظموا فيه  
للتعبير عن أغراض بغيها وهي التي يراد  
فيها الإثبات عن دقات المعاني ، وعرض فكرة  
بعضها في إطار يحدها ، فالشاعر في بيتين  
اثنتين يجد نفسه ضرورة تحديد المعنى وتوضيحه  
بحيث لا يخرج من أشرطة أربعة .

ومن قول فضولي :

شربت رحيقان إناء محبة

ولاعدت أدري ما الإناء ومن أنا

هويت حبيباً قد سما الغصن قامة

ووجهها يفوق البدر في أفق السما

مفصل إجمال الكمال جماله .

منزه حشش عن سوية ماسوى

هوى حيه المحراب شبه حظيرة

لجمع المصلى والإجابة للدعا

سعت بطول العمر حول حريمه

فما زاد من سعى سوى ثمر الحفار

فثل هذا الشعر لا يثبت على النقد ما فيه

من ضعف وركة ، والعجمة تتجلى في

ألفاظ تنبؤ عن مواضعها ، وغيب الثقافية

لا يشهد للشاعر إلا بقلّة البضاعة ، ويتدل

على أنه لا يصدر في قول الشعر العربي عما

ينبغي لشاعر العرب أن يصدر عنه .

أما إن كان الحكم على شعر فضولي -  
العرب يقتضينا الهوينى لأن التزر اليسير منه  
بين يدينا فإن القليل دليل على الكثير - كما أن  
الشاعر عاش في عصر تردى فيه الشعر العربي  
خصوصاً في الحضيض والشعر في الدرك  
الأسفل مما تعرف شاعراً عربياً في زمانه وبيئته  
قال خير بما قال . وليشفع له أنه نظم في  
الفارسية شعراً يفضل شعر الفرس من  
المجيدين ، إلى جانب ما نظم في لغته من  
بدائع كان له بها إماراة الشعر التركي  
القديم .

وللكلام أن يدور بعد فضولي على الشاعر

التركي تنبأ زاده وهبي المتوفى ١٨٠٠ -

كفضولى وإن كان فى نظرنا مبرزاً عليه لأنه  
كان أطول نفساً وأكثر تصرفاً فى فنون الشعر  
وأحسن عبارة .

ومن مستطرف ما يروى أنه لما ثقلت  
عليه الصلاة عاده بعض الشعراء ومنهم  
الشاعر سرورى الذى استفاضت له الشهرة  
بنظم التواريخ ، ورغب إليه وهى أن ينظم  
شعراً يؤرخ فيه وفاته بحساب الحروف ،  
فقال سرورى ماترجمته ( اللهم احشر وهبى  
مع امرئ القيس ) (١)

ونذكر من مثل هذا القول أن سرورى  
يلمح إلى أن وهبى له الشعر الحسن المعجب  
فى لغة العرب . وهبى ظاهر التأثير بالشعر  
العربى وصوره البيانية بقدر تأثيره بشعراء  
العرب ، وذلك ما يفرق بينه وبين شعراء  
الترك الذين لم يزدوا على إيراد ما يودى  
فى الشعر التركى من معان ويعرض من  
صور فى لغة عربية تسوغ فى الذوق تارة  
ولا تسوغ تارات ، وهذا مثال من شعر  
وهبى :

سلمى على لاحتها والرحل محمول  
والركب مرتحل ، والقلب متبول  
ترانو، إلى بطرف مدنف غنج  
وردنها من سجوم الدمع مبلول

دخلت منزلها ليلاً على وجل  
من أهلها وقناع الليل مسدول  
مالت إلى وقايت وهى ضاحكة :

يا طارق الليل جن أبت أم غول  
فقلت : إني صب هائم حوجل  
قد اجتزأت ومنك العذر مقبول  
فنهتني وقالت وهى باكية  
قم واهربن فسيف الصبح مسلول  
وليس بخاف أن وهبى متأثر ولا بد فى  
مثل هذا المثال المحمل من شعره بأكثر من  
شاعر عربى جاهلى وإسلامى .

ولانبغ بكلامنا منتهاه دون أن نقول إن  
شعراء الترك الذين نظموا بالعربية كان  
لهم فارسى تحتويه دواوين أو ديوان أو قسم  
من ديوان ، مما يجعلهم أصحاب ألسن  
ثلاثة ، كما نحكم فى عموم وشمول بأن  
ظاهرة تعدد الألسنة فى أدب الفرس والترك  
من قواطع الأدلة على أن التراث الأدبى  
الإسلامى فى عدة لغات متكاملات هى  
لشعوب تساندت وتعاضدت بفضل من دين  
الله الذى جمعتها على وحدة فى عقيدتها التى  
تشكلت منها وحدتها فى روحانياتها .

**حسين مجيب المصرى**  
الخبير بالجميع



(١) د . حسين مجيب المصرى : فى الأدب العربى والتركى - ص ٢٢ ( القاهرة ١٩٦٢ ) .

# دراسة وتحقيق لديوان أسرار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي للكتور محمد بدیع شریف

ولد

ابن المعتز في عهد  
جده المتوكل ، في

عهد زاهر من أجلّ عهود الخلافة  
العباسية وترعرع في ظلال العيش الرغيد  
والعزة ، وظلت هذه النبتة الهاشمية النضرة  
تنمو في رعاية الأبوين والجد حتى وقعت  
الكارثة التي كانت الأولى من نوعها حين  
تصالح خدام القصر فأتمروا بالمتوكل واغتالوه  
فتخضخت قوة الدولة ، وبدأ الضباب  
يلف تلك النضارة البهيجة في قصور الخلافة  
وأسرعت الحوادث تتلاحق حتى اغتيل  
أبوه وهو طفل لم تؤهله سنه أن يشعر  
بالكوارث ، ونفيت جدته إلى مكة وهو  
في حضنها . وبقيت حتى أعادها المعتمد  
الذي بدأت العزة في عهده تخطو سراعاً  
إلى قصور الخلافة وفي هذه العودة كان  
ابن المعتز في سن تؤهله لاستقبال التعليم  
والتهذيب ، فاحتضنته بغداد وهي تموج  
بالعلوم والآداب ، وتزدهر في ربوعها  
بلاغة القرآن والحديث وأدب الصحابة

ونثر عبد الحميد وابن المقفع ، وترسل  
الجاحظ والرواة يرددون شعر فحول  
الجاهلية ، والنابتين في صدر الإسلام ،  
وعصر بني أمية ، واللغة في المحل الأرفع  
وسعة الأفق فتحت صدرها تستقبل نتاج  
حضارات الأمم في الترجمة والاقتباس ،  
وبيوت الحكمة وخزانات الأدب تزخر بالكتب  
والرسائل ، وأنديّة الجدل والمراء مفتحة  
أبوابها للمفكرين في معالجة الآراء الوافدة  
النابتة ، والمؤدبون يحوسون خلال القصور  
وأروقة المساجد يؤدبون أبناء الخلفاء والأمراء  
والوزراء والوجهاء وقواد الجناد فانغمرت  
هذه النبتة الهاشمية في غمرة هذه الحضارة  
بالمؤدبين والمعلمين والمترجمين وأساطين  
اللغة ، فكان من أشهر مؤدبيه أبو جعفر  
محمد بن عمران بن زياد الضبيّ صاحب  
القراءات والنحو ، وأبو العباس المنبر  
الذي انتهت إليه مدرسة البصرة ، ثم عاش  
بقية عمره في بغداد ، وأبو العباس أحمد بن



يحيى ثعلب ، وقد انتهت إليه مدرسة الكوفة ومنهم أحمد بن سعيد الدمشقي راوية شعره الذي كان لا يفارقه ، وهيأت له جلدته مكتبة عامرة بالعلوم والآداب ، صارت مشواه ومرجعه وأحب المجالس إليه فانكب على الكتب يأخذ في التراث الأجنبي ما ترجم عنه في علم وأدب وفلسفة ، وفي علوم العرب وآدابها وفي القرآن الكريم والحديث ، ومثلما تهيأ له هذا الجو العلمي كان ينعم بعيش رغيد في ظلال المعتمد والمعتضد والمكتفي حيث بلغت الدولة الذروة في القوة والعزة ومباهج الطبيعة التي تنبض برواء الحياة ، تنبسط في جنباتها المروج والبساتين ، وتمخر السفن السابحات غدواً ورواحاً في دجلة والفرات ، وتتنادح القصور الشاحنة في بغداد وسرّ من رأى مفروشة بالطنافس والأرائك المصفوفة والزراعي المبتوثة ، والموائد عليها أواني الذهب والفضة مترعة بالخيرات بها تشتهي الأنفس وتلد الأعين ، وعيون المحصنات من بنات حواء الساحرة تبعث في النفس بهجة الحياة وغناء الجوارى يرنّ في أبهاء الأمراء والوجهاء ، والأسنة مشرعة والخيول مسرجة تعلق اللجم عليها الكماة للدفاع عن الثغور ، وبعد هذا العيش الرغيد والطبيعة التي تنبض بالرواء ، أخذت البيئة السياسية والحربية ، تموجان بالاضطراب ، وطفقت المؤامرات المريبة تتوارى في مكانس الريب تعد للخروج على السلطان واغتيالات الخلفاء ؛

والوسط الاجتماعي شرع يتمايل بين القوة والضعف ، فتظهر القوة أحياناً في الذروة التي ترفع الدولة بالنصر المؤيد ، وتنزل بها حيناً آخر بالهزيمة المنكرة . في كل هذه البيئات التي مر ذكرها وأثبتها في المقدمة توضيحاً وتفصيلاً ازدهر هذا الغصن في الدوحة العباسية بين جفاف ورواء وتربع في مكانة رفيعة في شعر نبيل ونثر هادئ مترسل مترع بالحكمة والمثل ، والافتنان في فنون التعبير والتصرف الساحر في البيان بخيال مجنح واسع وجميل ذلكم هو الشاعر الناصر الفقيه العالم الأمير والخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ، الذي صار مثار الإعجاب والفخر وتطلعت إليه عيون المحبين وثقافته عيون الحاقدين ، تحافه ، وتتمنى أن لا يجلس على كرسي الخلافة ، وينظر ابن المعتز إلى أولئك وهؤلاء فيفضل دفتره وقلمه ، ويترك لشعره أن يسجل الحق والفخر والجد لخلفاء الدولة العباسية وقادة الجند ، ويصب الويل على الخارجين ، ويسفه الآراء الوافدة ، ويبسط للشباب أرضاً واسعة لمسارح اللهو يجد اللاهون والمنشدون فيها متعة الحياة في فنون عشرة تختلف قوة وضعفاً . وبعد الكارثة الغامضة التي ذهبت بحياته يترك ديوانه وشعره في مهبط رياح القدر ، وكان الصولي احتجن لنفسه رواية شعره كاملاً في نسخته تعاورتها أيدي النساخ صيحة وخطاً ومسحاً وتحريفاً :

وشاءت الظروف أن أحط الرحال في  
بون، Bonn عاصمة ألمانيا الغربية اليوم في  
أوائل الثلاثينات مبعوثاً من وزارة التربية  
لنيل الدكتوراه في فرع من فروع التربية  
وأن أخص قسماً من الزمن في تعلم اللغة  
الألمانية ، وهيأت هذه الظروف لقاء مع  
الإستاذ «باول كاله» رئيس القسم الشرقي  
في جامعة بون ورئيس جماعة المستشرقين في  
ذلك العهد ، وفي هذا اللقاء اقترح عليّ أن  
ألتحق بهذه الجامعة وأن أخص ديوان ابن  
المعتز بالتحقيق ، وأن أكتب في أدبه بعد أن  
تبين له أنني متخرج في دار العلوم بمصر .  
وأكد لي أن تحقيق هذا الديوان يعود على  
الثقافة العربية بثروة ثمينة وسيكون في  
المراجع المهمة للعصر الذي عاش فيه  
ابن المعتز ولن يؤخرني هذا عن الوضول  
إلى الهدف الذي أبغيه في دراستي .

وكان الأستاذ باول كاله ، معترآ بالديوان ،  
فالما وافقته أسرع دون تردد ، فأحضر نسخة  
مصورة من المخطوطة النادرة المحفوظة في  
المكتبة السلمانية في قسم (لالهلي) في استنبول .  
ظهر أنها تحوي النصف الثاني من أشعار  
ديوان ابن المعتز ، وأنها صنيعة أبي بكر  
محمد بن يحيى الصولي . مكتوبة بخط  
جميل الرسم مضبوط بالشكل ، يرجع إلى  
سنة مائتين وخمس وسبعين من الهجرة في  
مائتين وثلاث ورقات ، وفي نهاية الورقة  
الثانية بعد المائتين كتيب . وكمل شعر أبي

العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله . وفيه  
زيادات من إملائه وهو الفخر والطلب  
والغزل والمديح والهجاء والشراب والمعاتبات  
والطرد والأوصاف والدم والملح ، والمراثي  
والتعازي ، والزهد ، والشيب والأدب  
والحكمة .

ولا يوجد في هذه المخطوطة في فنون  
الشعر غير الشراب ، والمعاتبات والطرد  
والأوصاف والمراثي والزهد مع زيادات في  
حواشيها في روايات ابن المرزيان التي  
رمز إليها بحرف (ن) ، وروايات ابن عيون  
ورمز إليها بحرف (ع) ، وبما كان علامته  
(ص) فهو في زيادات الصولي نفسه ، ورمز  
بحرف (ح) إلى رواية حمزة ، وختمت  
الورقة الأخيرة بالبيتين التاليين :

ألا يا نفس إن ترَضِي بقوت  
فأنت عزيزة أبداً غنية

دعني عنك المطامع والأمانى  
فكم أمنية غلبت منية<sup>٥</sup> !  
وفي هذه الورقة ، عرض واسع لتعدد  
النسخ التي أخذت عن النسخة الأولى في  
عهود متفاوتة كلها تستند إلى رواية الصولي  
والزيادات التي وجدت عليها ، وقد انتشرت  
هذه النسخ بين أيدي قراء وكتاب مختلفون  
في عد التنازل العلمي والأدبي درجات ،  
فكثر التحريف والنسخ الذي استمر إلى  
يومنا هذا بالاتفاق غير المتعمد مع الناشرين  
والباحثين والنقلة الذين لم يكلفوا أنفسهم



أقبل ما يطلبه المدرس والتحقيق ، أولئكهم  
تدفعهم لقمة العيش ويحلوهم المشهرة على  
حساب ابن المعتز وغيره من فجول الشعراء  
والعلماء الذين تركوا لنا تراثاً ثميناً .

وعلى اسم الله شرعت في دراسة نسخة  
( لاله لي ) ، ومقابلتها بنسختين فقيرتين  
مطبوعتين في نهاية القرن التاسع عشر في  
القاهرة وبيروت ، ومعها نسخة لأشعار  
أولاد الخلفاء وأخبارهم في كتاب الأوراق  
للصولي أيضاً نشرها المستشرق هيوارث دن  
في القاهرة مفتوحة بمقدمة للمرحوم  
الدكتور طه حسين ، وهي نسخة مميّزة  
مغمورة بالأخطاء التي وقع فيها المؤلفون  
والناشرون ، صرفت معاني الشعر عن  
مقاصدها وشوّهت محاسن مضامينه وعصففت  
بذلك الخيال الشعري الجميل ، ومسخت  
ألفاظ اللغة العربية ، ذات الجرس والنغم  
وطهّست معالم ذلكم النبل التعبيري الذي يمتاز  
به أبو العباس . وعن أولئكهم الإنساخ أخذت  
المطابع تنشر ما يقع تحت يديها دون تمحيص ،  
وبلا فهم ، وقد تبين لي كما ذكرت أنني  
لم أقع على أجزاء الديوان كلها ، وأن هناك  
جهداً مضنياً ينتظرني ، وبعد أن أفنيت  
زمناً ثميناً وكليت أستمر في التحقيق . وقع  
مالم يكن في الحسبان إذ عزل الأستاذ ( كاله )  
من منصبه وترك جامعة بون إلى جامعة  
أكسفورد ، فوضعت ابن المعتز على الرف  
وبقي مسكوتاً عنه واتجهت في دراستي إلى  
مواضيع آخر ، ولما وضعت الحرب

أوتزارها . وعملت إلى العراق شغلتني عنه  
الوظائف الإدارية وكراسي التدريس ، وفي  
أواخر الأربعينات فجأتني رسائل الأستاذ  
كاله . . يخشني ويكتب فيها يقول : أرجو  
أنك قد حققت رغبة ظلت تراودني منذ  
زمن بعيد ، وألك أكبات ما أوصيك بك به في  
شأن ديوان ابن المعتز وشرعت في طبعه ،  
وإن لم ، فإني أرجو أن تسرع في إنجازه  
فإن جماعة من علماء الاستشراق شرعت في  
إخراجه ، وأنت أولى أن تتولاه بنفسك ،  
وفي أوائل الستينات زرته بجامعة أكسفورد  
بعيد عشرين عاماً من فراقنا ، فرأيت قد  
أخذت منه السنون والهموم ومتاعب البحث  
والتحقيق مأخذها وتسلسل شعره الأبيض  
على غارضيه حتى مس شخني أذنيه . ومع  
ذلك لم يبدع الفرصة تفوت ، فاشتغلتني على  
قراءة كلمات في محاولة شوه محاسنها  
اختلاف النقط ، وسر سروراً عظيماً حين  
أكدت له أنني سوف أحقق رغبته في إخراجه ،  
وفي سنة ألف وتسعين وسبعين ، تحررت  
من قيود الوظيفة بجميع أنواعها وعملت إلى  
محرارة مكتبتي ، فوقعت عيني على متعودات  
كانت تنتظرني ، ومنها نسخة ( لاله لي ) التي كنت  
أتمت تحقيقها في « بون » ورجعت إلى  
الفهارس . وكتب الأدب وما كتب عن ابن  
المعتز إلى أيامنا هذه ، فوجدت لديوانه  
مخطوطات منتشرة في مكتبات الشرق  
والغرب ، أكثرها موجود في دار الكتب  
في القاهرة ، ووقعت بدى على مخطوطات



متعددة النسخ ، مختلفه التواريخ ، كلها ترجع إلى رواية الصولى ، رديئة النسخ ، كثيرة المنحول والتحريف ، واستعنت بمعهد المخطوطات فى جامعة الدول العربية فتكونت لدى مجموعة محترمة فى مقدمتها ( لاله لى ) ، ومخطوطة كوبنهاجن ومخطوطة مكتبة الملك الحسن فى المغرب ومخطوطة لندن والمجموعة التى وردت فى المجلد الرابع من سفينة ابن مبارك شاه ومخطوطة المدينة المنورة اختيار الصاحب ابن عباد ، وجميع ما وجدته من هذه المخطوطات منها ما يرجع فى التاريخ إلى الربع الأخير فى القرن الثالث الهجرى ومنها ما يعود إلى القرن الرابع والسادس والتاسع والعاشر ، وأحدثها ما يعود إلى أواخر القرن الثالث عشر وتعتبر هذه النسخة الأخيرة أم الخطايا ، وقد يكون المطبوع الأول أخذ عنها ، فقد اعتاد الناشرون أن لا يذكروا المصدر الذى أخذوا عنه .

كانت هذه المخطوطات فى صحتها وخطها عوناً لى ، وكان فى مقدمتها نسخة ( لاله لى ) ونسخة كوبنهاجن ونسخة المدينة المنورة ، ونسخة السفينة . أما بقية النسخ ، فقد كانت رديئة ، أعانتنى فى ناحية واحدة هى القاعدة المشهورة « وبضدها تتميز الأشياء »

فى هذه المخطوطات عثرت على إحدى وعشرين قطعة فى الشراب لم تنشر ولم ترد فى مخطوط آخر ، وعلى سبع قصائد من المطولات خاصة منها ، القصيدة الرائعة بمدح المكتنى بثلاثة وستين بيتاً ، والأخرى

بمدح الموفق بخمسة وأربعين بيتاً ، وفى مدح المعتضد أخرى باثنين وعشرين بيتاً ، وفى فن الغزل انفردت نسخة بتسع وستين قطعة وتنفرد نسخة السفينة التى ترجع إلى القرن التاسع الهجرى بسقطع فى القصائد الممتعة منسوبة إلى ابن المعتز من أجملها إمتاعاً القصيدة الرائية التى لم تنشر فى مطبوع ، ولم يأخذها مخطوط جاءت بثلاثة وثلاثين بيتاً .

وتختلف هذه النسخ أيضاً فى الوضوح والغموض ، وينفرد بعضها بصحة الكامة الشعرية المناسبة للبيت على حين يقع مخطوط آخر فى خطأ فظيع يبعد البيت عن معناه الأصيل ، وقد ظهر فى هذا التحقيق والمقابلة بين المخطوطات ، والديوان المطبوع المتداول ، ( وهو أحدثها أنه ممسوخ وفيه من الأخطاء ما تجاوز ألفاً وستمائة وخمسة وعشرين تعبيراً محرفاً أو منتحلاً ، أو مزيفاً ، نتيجة ضعف النساخ الذين مسخوا معانى الديوان ، وأثرا لعقده الناشرين الذين مشوا وراء المستشرقين والحققين الذين لم يبدلوا فيه ما يستحقه من الجهد ، وقد عرضت جملة من النماذج فى مقدمة الديوان ، إظهاراً للجهد مضمّن بذل فيه ما يزيد على سبع سنوات من أجمل أيام الحياة فى ألمانيا والقاهرة ، فى كل هذه السنين كنت أجادل مع نساخ ديوانه ورواة أشعاره وأخباره فى مخطوطات قضيت رديئة الأرض فيها بعض كلمات الأبيات

وحروف الكلمات أو عفت من تقدم العهد وحوادث الأيام ، فأصحح ما وقع فيه النساخ من الخطأ وما تورط به النقلة والأدباء من جراء السهو والغفلة ، فقد كانت النقطة في اختلاف وضعها تغير الكلمة والحماة ، وكان تبديل شطر بآخر من بيت يليه ، أو حذفه يعصف بالبيت كاه ، ناهيك عن انتحال مرتجل ، أو إقحام كلمات نابية ، فقد نخطر للناسخ المستهتر أن يضع اللفظة تندرأً واستهزاء ، فيفوت ذلك على المحقق ، والناقد والأديب ، مثلاً نجده عند الذين أخرجوا ديوانه ، الهزيل ، الأنسى والبستاني ، وشفيق جبرى ، في تبديل الكلمات الأصبية بأخرى هزيلة كلفظة العثير ، بالشعير ، والأثداء جمع ثدى النابض بالحياة بالأشلاء جمع شاو المقطوع من الجثة ، والنور للزهر بالثور ، أو كما جاء عند المستشرقين بوضع كلمة الديخ مكان كلمة الزنج والرخال مكان الرجال والغاديات ، مكان العاديات وشير حبيبة ابن المعتز الذى يرمز بها في مفتتح قصائد المدح والفخر والغزل وضع في مكانها « شيمر » مع أن هذه اللفظة المحببة مثبتة في جميع المخطوطات ، وعدة مئات من طراز هذا التحريف ، فصرت أتصيد الكلمة ذات المعنى الموأم للقصيدة والوزن في صحف المخطوطات ، وأمها كتب الأدب ، ومراجع الشواهد ، حتى أعر على الصواب فى الكلمة ، وبلاستقراء والمقابلة يجد الباحث أن أكرم البستاني فى

تحقيقه ، ونعمان ميشيل فى شرحه ترسما خطوات الأنسى فى نشره ، ومضى الدين فى شرحه وجبرى فى تصديره ، زد على ذلك الخط الذى وقع فيه البستاني ترسما خطى هيوارث دن المستشرق. ومن بعض الأخطاء التى وقع فيها البستاني وهى كثيرة هذه اللوحة الحميلة التى شوه بها أدب الشاعر وتصويره.

قال ابن المعتز فى طردياته ، وأوردها البستاني فى الديوان مشوهة : خمسة أبيات فقط كما يلى :

تخالهم إسوار جيش أبلخا  
أو معهم جود يزين وسخا  
تمت ( بهم ، حال لهم مثل الرخا )  
أخاف طير أرضه ودوخا  
يعجلها فى مأها أن ترسخا  
حكم فيها منسراً مضمخا  
ومخلباً بدمها ملطخاً  
عوائد من خطفه وصرخا  
كأنه لما قطعنا فرسخا  
مصحف وراق أدق نسخا

ولم يكلف نفسه بتوضيح هذه القطعة إلا بشرح كلمتين فى الحاشية وهما ، قال :  
( الأبلخ العظيم والرخا طائر كبير ) .

وجاء تحريف القطعة بأكملها فوضعت كلمة تحالهم مكان تخاله « وكلمتى « أو معهم » مكان كلمة أوسعهم ، وكلمة « يزين » مكان كلمة « يدين » ( مثنى يد ) وفهمت



بتلك كلمة « وسخا » من الوسخ بدلا من  
 السخاء « وفي البيت الثاني وضعت كلمة  
 بهم » مكان كلمة « به » وشرحت كلمة  
 « الرخاء » التي يراد بها وفرة الخير  
 وبالحسن الغنى بظائر عظيم. وفي البيت  
 الثالث وضع ميشيل نعمان « عوايذا من  
 خلفه » بدلا من « عوايذا من خطفه »  
 وحذف من المطبوعات كلها الشطر  
 الثاني من البيت الخامس والشطر الأول  
 من البيت السادس وجمع بين الشطرين  
 الأول والثاني على التتالي في بيت واحد ،  
 وهذا التحريف والحذف والتلفيق اختل  
 خطوط الصورة التي رسمها ابن المعتز  
 للباري في رحاة من رحلات الصيد .  
 فهو في نظره وتصويره : كمثل قائد عظيم  
 من الأساورة واسع الجود سخى اليدين ،  
 يبذل لحيشه من الغنائم ما تقع يده عليه ،  
 ذاك يبطش بالأعداء ويقدم لأبطاله  
 الغنائم بكرم وعطاء ، وهذا يبطش بالطير ،  
 يذهلها أن تقع على مياهاها ، ويتركها  
 لو اجتمع صائر خات من الخوف ويهدد منها  
 منتصرا مضمخ المنسر منضخ الخلب ،  
 ويقدم للجماعة صيدا شهما بكرم وسخاء ،  
 ويكمل ابن المعتز هذه الملحمة الطردية  
 بوصف للباري بعد ما يلهم الليل أذياه  
 ويكشف الضبح عن جبينه الوضاح ،  
 فإذا البازي مرقش كمثل مصحف أدق  
 الخطاط الماهر نسجه وتنميطة . وتحرير  
 القطعة الشعرية كما يلي

تحاله إنوار جيش أبلخا  
 أوسعهم جود يدين وسخا  
 تمت به حال لهم في الرخا  
 أخاف طر أرضه ودوخا  
 يعجبها من مأها أن ترسخا  
 حكم فيها منسرا مضمخا  
 ونحبا يدها منضخا  
 عوايذا من خطفه وصرخا  
 كأنه لما قطعنا فرسخا  
 والضحى في مشرقه قدام شمشا  
 والليل في مغربها قدام رسخا  
 مصحف وراق أدق نسخا  
 ومن هذه النماذج ما أخرجه الناشر  
 بمشاكل بعضهم برقاب بعض في الأخطاء  
 فمن الملح والأوصاف الأبيات الثلاثة التي  
 وردت بهذه الصيغة المضللة للقارئ والمشوهة  
 لشعر الشاعر قولهم :  
 رعي شهرين بالدير  
 قبابا كالطوامير  
 يقلبن إلى الذعر  
 عيوننا كالقوارير  
 وآذان سميعات  
 كأصناف الكوارير  
 وشرحها البستاني مما يلي :

القوارير الأواني الزجاجية ، الكوارير  
 خلأيا النحل ورواها بهذا التحريف مع  
 تحبب بيتين وردا في نسخة الصاحب بن عباد



ووضع كلمة قباباً مكان قباباً ، وآذان بالرفع بدلاً من آذاناً بالنصب وأصناف مكان أنصاف والكوارير مكان الكوافير جمع كافور وهو بيت المطاع إذا انشق نصفين أشبه كل نصف منه أذن الحمار في انتصابها ، وتحرير القطعة بأبياتها الخمسة كما أوردتها نسخة لاله لي ونسخة المدينة المنورة هي :

زعمى شهابين بالديرين قباباً كالطوامير

يقابن من الدعر عيوننا كالكوارير

وآذاناً سميعات كأنصاف الكوافير

وقد الأرض منها أسوق صم الحوافير كأن الأرض تألقها

بآذان الزناير

وابن المعتر في هذه القطعة يرسم صورة رائعة لجماعة من الأتقين والخمير الوحشية يغمرها النشاط في ضحوة الربيع ، فهن ضامرات البطون كبئل الكتب المطوية هن أعين تلتصع التماع قوارير الزجاج صفاء وهن آذان مرهفات السمع منتصبات انتصاب كوافير الطاع عندما تنشق عنه ، جهزتهن الطبيعية بأرجل لها حوافر ضماء قوية يضربن بها الأرض رفعا وخفضا ، كأنها تتلقاها ، أذنلب الزناير . وابن المعتر مولع بتصوير المشاهد الطبيعية ، وله في وصف حمار

الوحش مطولة رويت بستة وخمسين بيتاً دونت في المخطوطات ولم تنشر منها غير ثلاثة أبيات جاءت في ديوان المعاني .

ولم يكن التحريف مقصوداً على اختلاف النقطة والحرف في الكلمة ، بل تعدى ذلك إلى انتحال اللفظة نفسها في البيت ، ومن ذلك ما جاء في هذا البيت ضمن قصيدة عصماء يمدح بها الخليفة المعتضد . وهو :

بَرَح الحشا بَرَحاً ظلاماً سرمداً ما فيه مَسْرَى للخيال الطارق

هكذا عرّض البيت في نسخة لندن والمغرب . ودار الكتب ، وطاعت ، عرضا غامضاً لم يفهم المراد منه وقد نقلته أول مرة مشيراً إلى غموضه ، وتركته حيث هو حتى وقعت بيدي نسخة المدينة المنورة فإذا به ثاني بيت في مسهل القصيدة التي مطلعها :

قَرِيبَ الحب من الحبيب الوامق من بعدما فتك الفراق بعاشق

يزعمى الكواكب في ظلام سرمد ما فيه مسرى للخيال الطارق

هذه الأنواع من التحريف أوقعت نقدة الأدب والمؤلفين في ورطات تركت آثاراً سيئة في أدب ابن المعتر ، وقد عرضت الكثير منها في مقدمة الديوان وسجلتها كلها في أماكنها من الحواشي وبعد هذا

التحقيق المصنئ والدراسة الطويالة وجدتني أمام  
ثمرة صالحة من جملة أشعار صافية صحيحة ،  
وأمام شاعر من أولئك الشعراء الذي طبعت  
مواهب الفن على جباههم قبيل الرضا .  
إنه شاعر خرج من البيضة تحف به  
المواهب ، فتعلم وتدرّب ، وجالس  
العلماء والأدباء وأهل الفصاحة ، وحظي  
بالعزة والجاه ، ونعيم العيش وبؤسه بين  
يدى الخلفاء والأمراء ونشئ على دراسة  
القرآن والحديث . ولغة العرب وآدابها ،  
فصارت اللغة أدواته ، ومع أن التمهّر فيها  
صعب فقد جاءته طيّعة ، تركض الألفاظ  
إلى المعاني الموهوبة ركضاً فتظهر صور  
شعرية لها نغم جميل ، إنه كان يختار  
الألفاظ لا لأجل أن يعبر عن إحساس ،  
بل ليخلق الإحساس .

لقد وصف الشاعر الفرنسي ( درتزار )  
الربيع في عصور نخلت ، ومع أن الناس  
لم يسمعه ولم يعلموا عن نشيد الربيع  
شيئاً ، فقد كانوا يسيرون في أرض  
الشعر التي أنشأها حين كان جالساً يغمره  
اليأس يتصيد الكلمات في لغته الصعبة  
ليخلق الإحساس للناس ، وهكذا كان  
ابن المعتز ، ولم يكن في أولئك الشعراء  
الجزليين الحمقى الذين يتنادمون على  
موائد الوجهاء ، ، يقدمون بين أيديهم  
تاريخاً مفصوحاً ؛ ولا من أولئك الما جنين  
المقيمين الذين ينشدون قوافيهم بين يدي  
المتبرجات ، إنه شاعر مبدع خصيب

الخيال والشاعر يضع في خياله ما يقع  
لبنى آدم في أفعالهم ، حتى المحرمين لهم  
مكان في هذا الخيال . أنشد بن المعتز شعره  
في عشرة فنون جرياً على عادة شعراء  
عهد ، واستجابة لرغبات الناس الذين  
يريدون أن يتنقلوا في دولة الشعر ، من  
أرض إلى أرض .

قال في الفخر ، وكان فخره ببني العباس  
وحدهم ، سجل لهم حق الخلافة بقصائد  
رائعة يستلها أحياناً بوصف مشاهد الطبيعة  
في محاسنها وهدوئها وعنفها ، في سهولها  
ومفازاتها في حزونها ومتونها ؛ منح  
الحمد نبضات الحياة ، وجرد الكائن  
الحى من شعوره فإذا هو جماد لا تنبض  
في جوانحه نابضة فالسحب تسومها  
العواصف مكتحلة العيون تفرغ دموعها ،  
وتعود مرهء مسيح الكحل في جفونها ،  
والبرق يتقلب في طيات السحب مثلما  
يتقلب الأفعوان فوق كثبان الرمال :

كأنها ورعدها مسترجع  
لجّ به على بكاه ذو صخب

جاءت بجفن أكحل وانصرفت  
مرهء من إسبال دمع منسكب  
إذا تعرّى البرق فيها خيائته

بطن شجاع في كتيب يضطرب  
وفي فن الغزل كان لابن المعتز معين  
يتدفق ، فقد كان سوق الحوارى مشروعا  
ومحافل الغناء لها الحل الأرفع في قصور  
الخلفاء والأمراء والأثرياء ، والطبيعة  
ريا بسواد العراق برافديه دجلة والفرات

والغناء يستعذب من أفواه الحسناوات أكثر مما يسمع من حناجر الرجال ، ومكانة القيمة المغنية ترتفع بمقدار مالها من الثقافة والجمال وعدوبة الصوت ، والمغنون والمغنيات يترنمون بشعر فحول الشعراء ولم يشأ ابن المعتز الذي ملك ناصية البيان ، وأذن العود الموسيقي أن يتخلف عن أقرانه من المبدعين ، فسلك في غزله أسلوب القصائد القصار ، ونهج فيه منهجين : أحدهما ما اتبعه الأقدمون في ديباجتي الفخر والمدح يقول الشاعر ليتخذ منه مدخلا إلى غرضه ، وفي هذا النوع تلمح الإحساس بالجمال يكاد يكون عذرياً ، وثاني المنهجين ، ما يقوله الشاعر لنفسه ، وقد سار شعر ابن المعتز الغزلي في مفازات القرون تنأهبه أيدي الناسخين حذفاً ومسحاً وسرقة وانتحالا ، وأصاب جمعه تعدد الروايات وفاتت منه كثرة ، خاصة في المقطوعات القصيرة ، فأصبح للمرء عذر أن يخامر الشك في صحة كثير منها ، واحتفظت مخطوطة كوينهاجن التي أحيل في روايتها إلى رواية حمزة لكثرة التشابه بينها وما ورد في حاشيته لا له لي مرسوماً بحرف ( ح ) بثمان وخمسين قطعة ، بما يربو على مائتين وأربعة وثلاثين بيتاً واحتفظت السفينة لغزله بقصيدة مطولة في ثلاثة

وثلاثين بيتاً ومطلعها :  
حييت من ربيع وسقيت المطر  
يا طالما أصبحت محمود الأثر  
وفي مغانيك الغواني وتعالى  
ريابب ما بين دل وخفر  
قال ابن المعتز شعر الغزل جرياً على شيوخ هذه الصنعة ورواجها واتصالها بالحياة شأن كل نفس ترفعها غريزة تحس بالبقاء والجمال ، وهو كغيره من الشعراء يريد أن يجد لشعره مكانة ينتشر عليها الجمال ويتمتع بها بنو آدم ويتسابقون إلى البقاء تسابق هابيل وقابيل فقال شعره للفتيات يتغنين بالفتيان وقاله للفتيان يتغنون بالفتيات وفي غزله الصحيح ظرف ونبل وحسن تعليل ومن المقطوعات الجميلة التي وردت في مخطوطه كوينهاجن قوله :  
قل للمليحة في الخمار الأبيض  
وليمن لوت ديسن الغريم المقتضى  
أعرضت ظالمة وأمرضت امرأ  
لو صح منك له الهوى لم يمرض  
يامن بها حسرات نفسي جمّة  
حتى الممات أظنها لا تنقضي  
لا تقبلي فيمن أقادك رقة  
فلكته قول العذول المبغض  
ومدوح ابن المعتز ، هو ذلك الرجل الذي يسند أركان الدولة العباسية ويدفع عن كيانه ، خليفة كان المدوح ، أو أميراً أو وزيراً ، أو قائد جيش ، أو عالماً يضيف إلى صرح الحضارة الإسلامية العربية لبنة تقويه وتسنده ، وفي



مدحه بسلك السبيل في سبر أغوار النفس  
 فيبرز محاسنها في الشجاعة والكرم والحلم  
 والغضب والحزم وتدبير الرأي وإذا  
 رغب في صورة تتجلى فيها المروءة أو  
 النصر المؤثل في موقعة من المواقع الحربية ،  
 مهد لها بديباجة رائعة تبدأ أحيانا بغزل  
 ينسكب فيه الدمع ، وتذوب الكبد  
 عند الهجران وتتفتح الأسارير وتبهج  
 النفس حال الوصال ، أو يفتتحها في  
 وصف مشاهد الطبيعة في أجوائها بسحبها  
 وبروقها ، ورعودها ، والبرد بمقاويزها  
 ووعورتها وتعسف السير بها على ظهور  
 الذوق العراب والخيول المطهمة ، ويتلطف  
 في مدخله هذا حتى يصل إلى مدوحيه .

وتتسم قصائد ابن المعتز في مدح الخليفة  
 المعتضد بالتكاثر والتفاخر ، وقوة الخيال ،  
 وجزالة الأسلوب الذي يأسر الأنفس  
 لإبرازها خصائص اكتمال الرجولة ومنها  
 ( العينية ) عندما أخذ المعتضد صالح  
 ابن مدرك الخارج على سلطان الدولة ،  
 وقد بدأها بغزل رقيق ثم دخل إلى المدح  
 في مدخل بهيج جاء فيه :

ألا ترى بهجة الأيام قد رجعت  
 واليأس في ملك والعدل قد جمعا

واعترضه الدين والدنيا بمعتضد  
 بالله ، في الله ما أعطى وما منعا

يا خاضبت السيف منذ شددت مآزره  
 وابن الحروب التي من ثديها رصعا

كم من عدو أبحت السيف مهيجه  
 والسيف أحسم للداء الذي امتنعا

وعرض ابن المعتز الشراب عرضاً جميلاً ،  
 من يقرؤه يظن أن هذا العلامة الممتكف على  
 دفتره وقلمه ، يؤلف ويكتب ، ويقول  
 الشعر بأسلوب رقيق ، ولفظ بليغ وجزل ،  
 ووصف دقيق وخیال مجنح لاهم له إلا هذه  
 الحياة الرخوة ، وهذا وهم ، فإن ابن المعتز  
 العالم ، وصف الشراب لأهل الشراب ،  
 ليبسط لهم أرضاً يمشى عليها أولئك المدمنون  
 الذين يترددون في حياتهم على الخانات  
 والخمارات ويجتمعون في الشتاء حول  
 الكانون ، وفي الربيع بين الزهور في الرياض  
 تجرى خلالها الجداول ، ويطوف عليهم  
 السقاة بكثوس دافقات ، يصب فيها الشراب  
 من الزقاق ، كأنه في انحداره منها سيوف  
 مقبودة من ذهب تدار بأقداح رعوسها  
 فضة وأجسامها من العسجد ، والحمرة في  
 شعره راح وراحة للقلوب ، تجلب السرور  
 وتنفي الهموم والكروب لطيفة كخلق الأماجد  
 الكرام ، والكثوس في خياله حين تدار  
 بأيدي السقاة كالثرى ، تبدو وتغرب ،  
 فكأن الشرق ساق وكأن الغرب يشرب وهي  
 إذا امتزجت بالماء نبت الدر في أرض من  
 الذهب ، وإذا لحظتها العيون رأت عجباً  
 كيف يضيء نور الماء نار العنب ، وبعد  
 هذا الوصف الذي كان يعارض فيه  
 أبانواس ، يعطف ابن المعتز في أرجوزته  
 المشهورة « في ذم الصبوح » في رسم صورة

مزوية للسكاري ، فهم عنده من البؤساء الذين إذا أصبح عليهم الصباح ولاحت الشمس في الأفق وقعت على رؤوسهم الدامغة بنارها وحرها ، فيسخن الشراب ، ويختلف المزاج ، ويكثر الضجاج فتغيم أقداحهم ، ويأخذون بالحك والتفرك ، وتفوح رائحة الآباط ، ويكره بعضهم بعضا ، وتتراخي أعصابهم ، فيمشي بعضهم بلا رجلين ، ويأخذ الآخر الكأس بلا يدين ويطوف الصداق بهم فتتدلى على الصدور الرؤوس ويشتد الضجج بالنفوس ويرسم لهذا المظهر صورة بشعة في بيت لطيف وخيال مرتجل ويقول :

وقد شربوا حتى كأن رقابهم  
من اللين لم تخلق لمن عظام

ويحتم أرجوزته التي أشرنا إليها بقوله :  
هذا كاذب وما تركت أكثر .  
فجربوا ما قلته وفكروا

وفي الوصف يمتاز ابن المعتز بالوضوح والجمال ، ويرجع ذلك إلى سعة خياله وإطلاعه وثقافته ، وتمهره في اللغة ، ودقة ملاحظته ، وحدة ذكائه ، إنه يختلف عن أولئك الشعراء الذين إذا عرضوا شيئا ، عرضوه عفواً ، أما هو فإنه يصف ليصور ، مثله كمثل الرسام ، هذا بخياله وذكائه يبرز صوره بالأسارير والخطوط والألوان ، وهذا بمواهبه وخياله وتمهره باللغة يبرزها بحروفه ونقطه وأسلوبه ، وقد لفتت هذه

الظاهرة أفكار الأدباء فدونوا عنه تلك الأسطورة المقارنة بين وصفه ووصف ابن الرومي . وصف البهيد والمهامه ، وصف الظبي والظليم وحمار الوحش والبازي ، وكلاب الصيد والخيول والجمال ووصف الأنهار والأودية والمفاوز والمروج والحنائن والقصور ووصف الأطلال والمنازل الخالية ببيان رائع . ولجمال شعره في هذا الفن أخذ عنه علماء البيان والبديع شواهدهم للدلالة على نبل التعبير وإجادة التمثيل . وحلق أبو العباس في الوصف في فن الطرديات بجناحين قوين وخيال رفيع ، فقد كان العرب قديماً يعانون في عامة عصورهم ، لأنه ضرب من ضروب الرزق ، ومتعة من متع النفس ولون من ألوان الحرب والسلام .

ولما استبحرت حضارتهم في العراق والشام ومصر أصبح من الطبيعي أن يدونوا أصول الصيد وكان علماء اللغة سبقوا ودونوا أسماء الطيور والجوارح ، وأصائل الخيل والنوق العراب ، ووصفوها وصفاً دقيقاً ، تناول أصولها ، وأعضاءها وحركاتها . وهو فن البَيِّزَرَة الذي يقابل علم البَيْطَرَة ، وسموه أيضاً علم أصول الجوارح من حيث صحتها ومرضاها ومعرفة العلامة الدالة على قوتها وضعفها ، والبَيِّزَرَة كلمة فارسية مشتقة من ( بيزار ) وعربت بازيار ، أي صاحب الباز وتربيته . وفي أوائل المائة الثانية من الهجرة كان البازيار في الدولة يدعى صاحب الصيد وكان غطريف بن قدامة ،



صاحب صيد هشام بن عبد الملك ، ولم يستعمل العرب كلمة البيّاز مثلما استعملوا : الصقّار والكلّاب . والفهاد والفيّال والعقّاب لصاحب الصقّر والكاتب والنهّند والفيل والعقّاب ، وابن المعتز عالم شاعر وأمير صاحب سيف وقلم لم يفته هذا الضرب من المعرفة والمتعة الرياضية ، ولم يرضى لشعره أن يتخلف عن فن من أمتع الفنون تجتمع في ممارسته المروءة بضروبها من الشجاعة والكرم والحلم والحزم والسيادة والسياسة ، فشغف به ، وقال شعره فيه عن عالم ورويه فنح هذا الفن جمال اللغة وسُمُو الخيال ، ورسم للصيد والطبيعة صوراً حياً في غدوه ورواحه وللكلاب والخيول والبزاة والصقور والفهود ، ونفذ إلى أسرار حياتها فكشف غرائزها المتوحشة المهدبة ، فهو في غدوة من غدواته ، يخرج والصباح يردع الليل المدثر بقبائه الأسود المفرج ، والنجم لا يزال يتلأل بهذا اللهب ، والجوزاء تخفق حزناً على الليل ، كأنها في خفقاتها لواء تهزه الرياح . يخرج ابن المعتز في هذه الطبيعة الساحرة على جواده الأشقر السريع الممتلئ المازور المحجل القوى الذي تشبك أظفاله بصلب متين الفقرات كما تشبك أشجار الهورج بعموده يزينه حجل كما يزينا الدملج معصم الحسناء التي تخطر بجلبابها الأحمر ، أما بازه فهو أحمر كأنه ملك متوج ، له مقاة صافية ثابتة ، يتحرك لحظها بمنة ويسرة لتفقد مواقع الصيد ، وله مخلب معقوف كمثل

حاجب الحسناء المزجج أبرش الخناجين مثل طيسان الملك الموشى ، همه لإدخال السرور على الأيادي ينقل إليهم الصيد فيتركهم بين ، ذابح وقادح زناد يؤجج ناره ، ومنضج ينضج اللحم ، وممجل يستقبل الشواء ، ناهيك بوصفه كلاب الصيد ، فالسلوقية تندفع لاختطاف صيدها إذا شق الصباح جيب الليل ، وشمطت ذوائب الظلماء ، وهم النجم ليخفي وراء الأفق ، وابتسم الصبح ابتسام الشفة اللامياء ، وشرعت تصطاد بقر الوحش ، وظباء البيداء ، هذه السلوقية الداهية مطوية الأحشاء بحكمة الأعضاء إذا بدأت الشدة بانث كأنها مدّة من قلم سوداء ، أو هدبة من طرف الرداء تحماها أجنحة الهواء ، وهكذا يمعن شاعرنا بالوصف في فن البزرة أو فن الطرد إمعاناً يمنحه المكانة الرفيعة في هذا الفن :

ولا يقل ابن المعتز إبداعاً في الفنون الأخرى بلاغة وسلاسة أسلوب ، ولغة عذبة ، ولذة في المعاني ، وابتكاراً في التصوير ، ففي رثائه تبيكى الألفاظ مع أسف الفؤاد وانسكاب الدمع ، وهو في عتابه مؤدب موجع العتاب ، وفي هجائه عف اللسان ، إذا جرّد الهجاء المروي من المنحول المفترى ، . وهو حكيم يقول الحكمة والمثل كغيره من شعراء زمانه وهو القائل :

ولما أنا دين للفناء على الده

نيا تنجزه الأصيل والبيكر



ويقول :

الموت أولى بالفتى من أن يُترى

طابعٌ دهرٌ كما شاء انقلباً

لائى غاياتى أجرى بعدما

رأيتُ آتِرابى وقد صاروا تُرب

ويقول :

ما ها بنى إلا الحسـو

دُ وثلثك من تحسیر المناقب

وإذا ملكتَ المجدَ لم

تملك موداتِ الأقارب

والجسدُ والحسادُ مقدـ

رونان قد ذهبوا فذهب

وبعد فهذا قلُّ من كُثر ، ولست نادماً

على زمن طويل قضيته فى تحقيق هذا الديوان

ودراسته ، فقد بذلت فى هذه الدراسة

ما أمكننى من الجهد فأُنصفت ابن المعتر

الذى ظلمته الأيام ، وأرجعت له هذه

الحماة النظيفة من شعره صافية يامع فيها

فكر عربى عبقرى منح الحضارة العربية

الإسلامية هذه الثروة الهائلة واضحة باغة

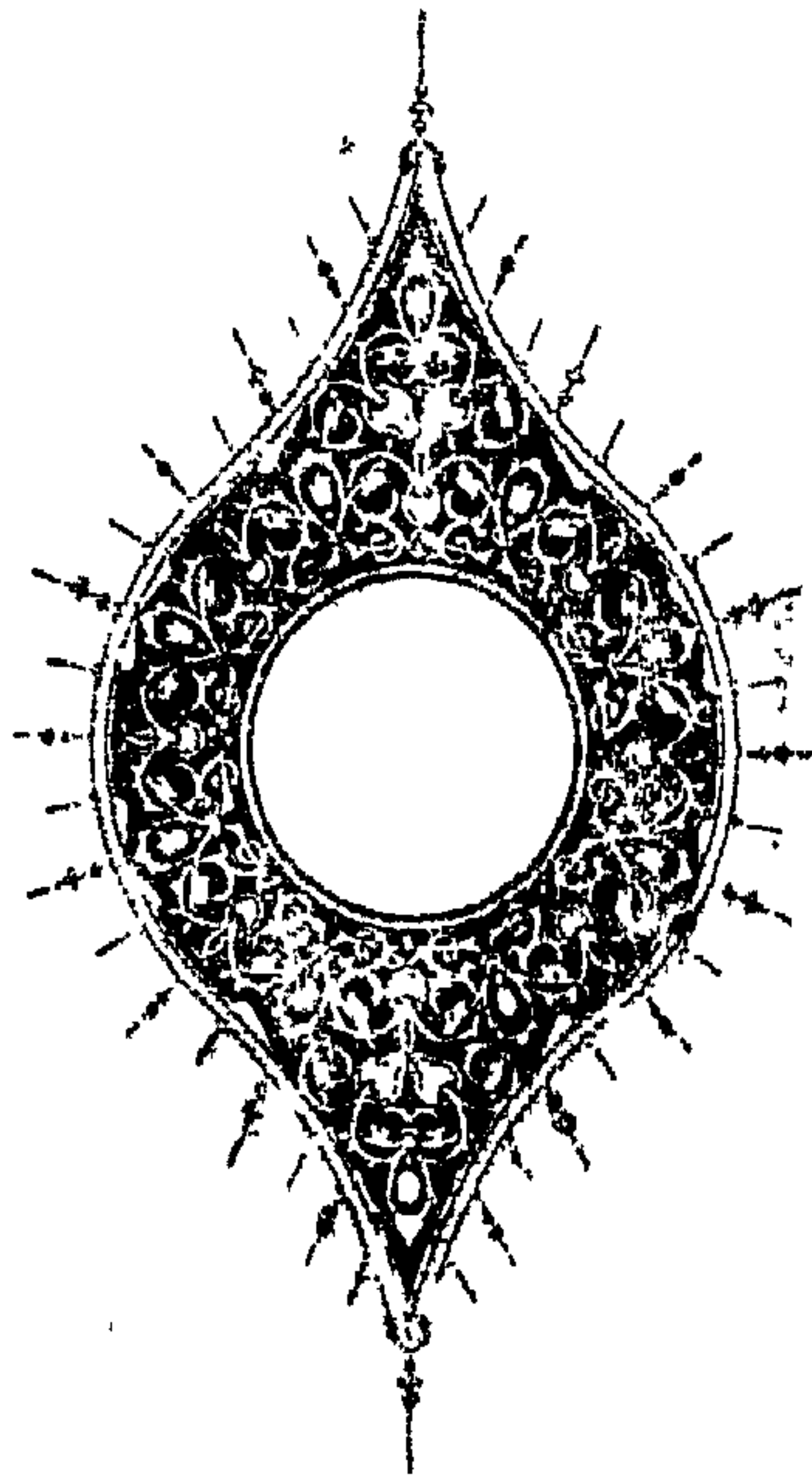
قريش لغة القرآن ، وأسلوبه المعجز وتعبيره

الموجز الذى يحز المفصل ، ويبسط آفاق الفكر

ويعتج النفس .

محمد بدیع شریف

الخبير بالمجمع



# رَأَيْنَا اللُّغَوِيَّ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّهْذِيبِ

للدكتور رمضان عبد التواب

عن

اللغويون والنحاة العرب

— منذ أواخر القرن

الأول الهجري ، بدراسة الفصحى ،

وهي تلك اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف

القبائل العربية ، تلك اللغة التي جعل بها

الشعراء خواطيرهم ، ومظاهر الحياة

من حولهم ، كما استخدمها الخطباء في

محافلهم وأسواقهم الأدبية ، ثم توجهوا القرآن

الكريم ، فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو

إليه هذه اللغة من مستوى . ومنذ ذلك الحين ،

ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم ، واجتهد

النحاة واللغويون في دراستها ، وتحديد

معالمها من نواحي الأصوات ، والصيغ

والأبنية ، والدلالة ، وتركيب الجملة ،

ووظيفة الكلمة في داخل هذا التركيب .

وقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب

بين كثير من الدراسات ، التي قامت

لخدمة الدين الإسلامي ، ولغرض فهم

القرآن الكريم ، المصادر الأولى للتشريع

الإسلامي ، ودستور المسلمين ، فقد أدت

الحاجة إلى معرفة معاني الألفاظ الغريبة

في القرآن الكريم ، إلى دراسة الشعر العربي ،

للاستشهاد به على تلك المعاني ، فالسبب في

الاشتغال بدراسة هذا الشعر في العصور

الإسلامية الأولى ، كان — فيما أعتقد — هو

الحاجة إلى شرح الكلمات الصعبة من القرآن

الكريم ، وتفسيرها بالشواهد الشعرية .

ومن المعروف أن القرآن الكريم ، أنزل

بلغة فصحي ، تعلو عن مستوى العامة

من العرب ، ولذلك أخذ الناس في الصدر

الأول من الإسلام ، يسألون كبار الصحابة

عن تفسير آياته وغريب ألفاظه . وتحديثنا

الروايات الإسلامية بأن الناس كانوا يسألون

الصحابي المشهور « عبد الله بن عباس » رضى

الله تعالى عنهما ، عن معنى ألفاظ معينة من

القرآن الكريم ، فيفسرها للناس ، ويستشهد

على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي ، وقد

جمعت هذه الأسئلة وإجاباتها في كتاب

مستقل ، باسم : «سؤالات نافع بن الأزرق»

ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائي ، ببغداد

سنة ١٩٦٨ م ، كما ذكرها جلال الدين

السيوطي ، في النوع السادس والثلاثين من  
كتابه : « الإتيقان في علوم القرآن » (١) .

ويمكننا لذلك أن نعد تفسير ابن عباس  
للقرآن الكريم ، على هذا النحو ، نواة  
للمعاجم العربية ، فقد بدأت الدراسة في هذا  
الميدان من ميادين اللغة ، بالبحث عن معاني  
الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم ، ولذلك نجد  
التأليف الأولى في المعاجم ، كانت تحمل  
اسم : « غريب القرآن » ، وأقدم مؤلف  
يحمل هذا الاسم ، هو لأبي سعيد أبان بن  
تغلب بن رباح البكري ، المتوفى سنة ١٤١ هـ (٢)

وخلص اللغويون العرب من ذلك ، شيئاً  
فشيئاً ، إلى دراسة ألفاظ الشعر ، واستخراج  
معانيها ، على غرار ما في كتاب : « المعاني  
الكبير » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ  
كما ساهى الرعيل الأول من اللغويين ، في  
الجزيرة العربية ، بجمعون اللغة من أفواه  
العرب ، فقد روى عن الكسائي المتوفى  
سنة ١٨٩ هـ ، أنه أنفذ خمس عشرة قنينة حبر ،  
في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ (٣) .

وتردد في مؤلفات هؤلاء اللغويين العرب  
القدامى أسماء كثير من البدو الفصحاء ،  
الذين تلقوا اللغة عنهم ، مثل : أبي تمام  
الأعرابي ، وأبي ثروان العكلي ، وأبي الجراح  
العقيلي ، وأبي جميل الكلابي ، وأبي حزام

العكلي ، وأبي شبل الأعرابي ، وأبي صاعد  
الكلابي ، وأبي الغمر العقيلي ، وأبي مرة  
الكلابي ، وأبي مهدي الباهلي ، وأبي مهدي  
الكلابي ، وغيرهم ، بل لقد تلقوا اللغة  
أحياناً عن الأعرابيات ، مثل : أم الحمار من  
البكرية ، وغنية الكلابية ، وقريبة الأسدية ،  
وغيرهن ، ،

وانتشرت في تلك الفترة المبكرة ، طريقة  
تأليف الرسائل اللغوية الصغيرة ، ذات  
الموضوع الواحد ، ومن بقي لنا شيء من  
تأليفهم على هذه الطريقة ، في تلك الفترة :  
الأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، فقد نشر له  
« أوجست هفتر » كتابي : « خلق الإنسان »  
و « الإبل » ، في ليزج سنة ١٩٠٥ م ،  
وكتاب : « الخيل » ، في فينا سنة ١٨٩٥ م  
وكتاب « الشاء » في فينا سنة ١٨٩٦ م ،  
كما نشر له « رودلف جاير » كتاب :  
« الوحوش » في فينا سنة ١٨٨٧ م ، ونشر  
له « مولر » كتاب : « الفرق » في فينا سنة  
١٨٧٦ م ، و « لويس شيمخو » كتاب :  
« النبات والشجر » في بيروت سنة ١٩١٤ م .

ومثل الأصمعي ، معاصره : أبو زيد  
الأنصاري المتوفى سنة ٢١٤ هـ ، الذي بقي  
لنا من مؤلفاته اللغوية ، ذات الموضوع  
الواحد : كتاب « المطر » نشره « جوتهايل »

(١) وانظر بعضها في الكامل للبهرد ٢٢٨/٢٢٢/٣ وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٩٨/٧٦

(٢) انظر : معجم الأدباء ١٠٨/١

(٣) انظر : أنباه الرواة ٢٥٨/٢



في نيويورك سنة ١٨٩٥ م ، ثم نشرة « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « الهجر » نشره « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٠ م ، وكتاب « اللبأ واللبن » نشره « لويس شيخو » في بيروت سنة ١٩١٤ م ، وكتاب « النوادر في اللغة » نشره سعيد الخوري الشرتوني ، في بيروت سنة ١٨٩٤ م ويطول بنا القول ، لو تتبعنا ما وصل إلينا ، من مؤلفات لغوية ، ذات موضوع واحد ، لعلماء عاشوا في هذه الفترة ، كابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ ، وأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ هـ :

: وقد عاش إلى جانب هؤلاء كذلك علماء آخرون ، ألفوا معاجم شاملة للغة العربية ، غير متخصصة في موضوع واحد ، كالخليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، الذي ألف معجم « العين » ، وقد طبع جزء صغير منه ، بتحقيق الدكتور عبد الله درويش في بغداد سنة ١٩٦٧ م ، ثم صدر هذا الجزء مرة أخرى في بغداد سنة ١٩٨٠ م بتحقيق الدكتور مهدي الخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي : وبعد الخليل بزمن يسير جاء أبو عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، وألف معجم « الجيم » . وقد نشر معجم الجيم بعناية مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٧٥ م :

وبعد هذه الفترة الأولى توقفت حركة جمع اللغة ، واقتصر جهد اللاحقين من اللغويين ، على تنظيم تلك المادة التي جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ، فنشأت عندنا ثلاثة أنواع من المعاجم العربية ، أحدها : ينظم المادة على حسب المعاني والموضوعات بجمع تلك الرسائل اللغوية المفردة - التي تحدثنا عنها من قبل - في مؤلف واحد ، يضم أبواباً تشبه عناوينها عناوين الرسائل القديمة ، ومن هذا النوع من المعاجم : « الألفاظ الكتابية » لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، وقد طبع عادة طبعات آخرها بتحقيق الدكتور البدر اوى زهران سنة ١٩٨٠ م ، ومعجم « متخير الألفاظ » لآ بن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ نشره هلال ناجي في بغداد سنة ١٩٧٠ م ، وكتاب « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » لأبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ ، نشره الدكتور عزرة حسن بدمشق سنة ١٩٦٩ م ، و « مبادئ اللغة » للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، نشر بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، و « فقه اللغة » لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، طبع أكثر من مرة بالقاهرة وغيرها . وأهم كتب هذا النوع من المعاجم هو كتاب « التلخيص في اللغة » لآ بن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وقد طبع في ١٧ سفراً بالقاهرة سنة ١٣١٦ هـ :

والنوع الثاني من المعاجم العربية ، يرتب المادة اللغوية ، على حسب مخارج الأصوات ، وطريقة التقاليد ، مثل تقليب مادة الضاد والراء والباء مثلاً ، على : ضرب - ضير - ربض - رضب - بضر - برض ، وغير ذلك : وقد سار على هذه الطريقة كتاب « العين » للمخيل بن أحمد الفراهيدي ، الذي كان من الرعيل الأول من اللغويين العرب ، وثابعه على ذلك كثيرون منهم : أبو منصور الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ في كتابه : « تهذيب اللغة » الذي نشرته دار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، بتحقيق عبد السلام هارون وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م ، وكذلك ابن سيده الأندلسي ، صاحب كتاب « المخصص » السابق ، الذي ألف كتاباً آخر على طريقة كتاب « العين » وهو المحكم والمحيط الأعظم » وقد نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة سبعة أجزاء منه حتى الآن .

أما النوع الثالث من المعاجم ، فإنه يرتب المادة اللغوية ، على الترتيب المجائي المعروف لنا ، إما بحسب الأصل الأول للكلمة ، كما فعل الزنجشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ في كتابه « أساس البلاغة » ، والفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، في كتابه : « المصباح المنير » ، وإما بحسب الأصل الأخير للكلمة ، مع مراعاة الأصل الأول أيضاً ، وقد كان المشهور عند الدارسين ، أن مبتدع هذا

الترتيب هو الجوهري المتوفى حوالي سنة ٤٠٠ هـ بناء على ما ذكره هو في مقدمة معجمه : « تاج اللغة وصحاح العربية » ، من قوله : « على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه » ، غير أننا اكتشفنا حديثاً ، معجماً أقدم منه ، هو : « التنقيح » لأبي بشر اليمان ابن أبي اليمان البندنجي المتوفى ٢٨٤ هـ ، وقد حققه تلميذي الدكتور خليل العطية ، ونشره في بغداد سنة ١٩٧٦ م ، وهو يسير على نظام القافية ، أو الأصل الأخير من الكلمة . وأغاب الظن أن اللغويين اختاروا هذا النوع من الترتيب ، حتى يساعدوا الشاعر على اختيار قافيته في شعره .

ومن سار على هذا الترتيب كذلك : ابن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١ هـ ، في معجمه المشهور : « لسان العرب » الذي طبع في بولاق سنة ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ في عشرين جزءاً ، كما طبع في بيروت سنة ١٩٥٥ م في خمسة عشر مجلداً . وكذلك مجاهد الدين الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ ، في معجمه الذي طبقت شهرته الآفاق ، وهو : « القاموس المحيط » . وقد شرحه « الزبيدي » المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ ، في كتابه : « تاج العروس » .

هذا أحد جوانب تراثنا اللغوي في العربية ، وهو جانب متن اللغة ، أو « المعجم » ولا يتكرر أبداً ما بذله أسلافنا فيه ، من الجهد الكبير ، في البحث والتنقيب ، والجمع



والترتيب ، غير أنه لم يخل من بعض العيوب  
التي نلخص أهمها فيما يلي :

١ - مادة هذه المعاجم اللغوية ، قد جمعها  
الرعييل الأول من اللغويين ، ثم توقفت حركة  
الجمع هذه بعد فترة ، واقتصر جهاد العلماء  
بعد ذلك ، على تبويب هذه المادة وعرضها  
بطرق مختلفة ، وبذلك أغفلوا ناحية مهمة ،  
من نواحي الدراسات اللغوية ، تلك هي  
ناحية التطور اللغوي ، في نواحي : الأصوات  
والبنية ، والدلالة ، والأسلوب ، فلم يحاول  
مثلاً أحد المؤلفين في المعاجم في القرن الرابع  
أو الخامس الهجري مثلاً ، أن يبين لنا تطور  
معنى الكلمة ، التي جمعها من قبله أحد علماء  
القرن الثاني الهجري ، وبعبارة أخرى :  
لم يبين لنا المعنى ، الذي كان يفهم من الكلمة  
في عصره ، كما أنه لم يبين لنا كيف كانت  
تنطق الكلمة ، في لغة التخاطب في عصره ،  
وليس لدينا في هذا المجال سوى إشارات  
سريعة ، فيما يسمى بكتب « لحن العامة » .

٢ - قصور هذه المعاجم في الاستدلال  
على المعنى بالشواهد أحياناً ، فهي رغم غناها  
بالشواهد ، من القرآن الكريم ، والحديث  
الشريف ، والأمثال ، والشعر ، فيها  
الكثير من المواد ، التي تخلو من هذا الشعر  
خلاً تاماً ، مما قد يشكك في صحة ورودها  
عن العرب ، مثل المواد : كمثل ، وكمثل ،  
وكندش ، وكندس ، وغيرها .

وهذه الناحية تستدرك الآن ، بعمل معجم  
للغة العربية ، يستمد ألفاظه من الشعر والنثر ،  
وهذا المعجم ، بدأه المستشرق الألماني

« أوجست فيشر » A. Fischer في المجمع  
اللغوي بالقاهرة ، ويخرجه الآن نخبة من  
المستشرقين الألمان ، وعلى رأسهم أستاذنا  
بروفسور « شبيتالر » A. spitaler  
رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ .

٣ - رغم أن شيئاً من اللغات السامية ، كان  
معروفاً لدى بعض اللغويين العرب ، فإنهم  
لم يفيدوا من هذه المعرفة ، في مقارنة العربية  
بأخواتها الساميات ، كالعبرية والآرامية  
والحبشية ، ومن الممكن أن تفيد هذه المقارنات  
في إلقاء الضوء على الدلالات المركزية  
والدلالات الهامشية ، لهذه اللفظة أو تلك ،  
والفصل في قضية التعريب والمولد والدخيل  
وغیرها من المصطلحات التي تمتلئ بها معاجمنا  
العربية ، دون تحديد واضح لتلك المصطلحات .

٤ - التضعيف الذي نلاحظه في المؤلفات  
المتأخرة ، مثل : « لسان العرب » لابن منظور  
و « تاج العروس » للزبيدي . والسر في  
ذلك يرجع - في نظري - إلى نقل المادة  
اللغوية الواحدة ، من أكثر من مصدر ،  
فمثلاً ينقل صاحب اللسان عن « تهذيب  
اللغة » للأزهري ، و « المحكم »  
لابن سيده ، و « الصحاح » للجوهري ،  
وكل واحد من هذه المعاجم الثلاثة ، استخدم  
بعض المصادر التي استخدمها الآخر ،  
كالغريب المصنف لأبي عبيد ، ولذلك تقابلنا  
مثلاً عبارات هذا الكتاب الأخير في « لسان  
العرب » منقولة ثلاث مرات ، عن المصادر  
الثلاثة المتقدمة .



٥ - تخلط هذه المعاجم كثيراً ، بين مستوى العربية الفصحى ، واللهجات القديمة ، في اللفظ والدلالة ، بلا إشارة إلى ذلك في كثير من الأحيان ، مثل : السراط والصراط والزراط ، بمعنى : الطريق مثلاً ، وكذلك كلمة « العجوز » مثلاً ، أكثر من سبعين معنى ، من بينهما : الإبرة ، ، والجوع ، والسمن ، والقبلة ، واليد اليمنى . فن المحال أن تكون هذه المعاني جميعها ، مستعملة في الفصحى وحدها .

٦ - انتاب المادة اللغوية الكثيرة من التصحيف والتحريف ، بسبب كثرة تعاور النساخ لها على مر العصور . وقد وقع اللغويون العرب ، في وهم هذا التصحيف والتحريف في معاجمهم ، كالتحريف الذي وقع فيه الجوهري صاحب « الصحاح » حين استشهد على أن « اللجز » مقلوب : « اللزج » ببيت ابن مقبل :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية  
على سعايب ماء الضالة اللجز

ونسى أن هذا البيت من قصيدة نونية في ديوان ابن مقبل<sup>(١)</sup> ، وصحة الروي فيه : « اللجن » !

وهذا هو محمد بن المستنير المعروف بقطرب والمتوفى سنة ٢٠٦ هـ ، يجعل في كتابه عن « الأضداد » كلمة : « برد » بمعنى :

التبريد والتسخين ، ويسوق على المعنى الثاني شاهداً ، هو قول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا  
برّديه تصاد فيه سخينا<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن هذا تحريف لعبارة : « بل رديه » من الورود لشرب الماء ، قال أبو الطيب اللغوي في التعليق على هذا البيت : « قال قطرب : معنى برديه في هذا البيت : سخنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ ، إنما هو : بل رديه ، من الورود ، ولكنه أدغم اللام في الراء ، كما يقرأ : « كلا بل ران على قلوبهم » قال أبو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت<sup>(٣)</sup> . »

ومثل ذلك أيضاً ، ما وقع فيه « الفيروز آبادي صاحب : « القاموس المحيط » حين نقل في معجمه<sup>(٤)</sup> ، أن : السواف - كسحاب - القشاء ، وداء يأخذ الإبل فتهلك . ومادري الفيروز آبادي أن هذا القشاء « لبس إلا تصحيفاً لكلمة : « القشاء » وهو : الهلاك ، الموجود في المعنى الثاني ، الذي ذكره .

٧ - عدم المنهجية في ترتيب مفردات المادة الواحدة ، فيفتح على المرء في كثير من الأحيان ، أن يقرأ المادة كلها ، للعثور على بغية ، إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات في مادة ( عرف ) ، إذا كنت تبحث مثلاً معنى كلمة : « معرفة الفرس » وماشابه ذلك .

(١) ديوان ابن عقيل ٣٠٧

(٢) أضداد أبي الطيب ٨٦/١

(٣) أضداد قطرب ٢٥٨

(٤) القاموس المحيط ( سوف ) ١٥٥/٣

هذه هي أبرز العيوب في هذا القطاع اللغوي في العربية : وفي مقدورنا بالطبع التغلب على هذه العيوب ، إذا أعادنا النظر مرة أخرى في معاجمنا اللغوية ، فصفيناها من الحشو والتكرار ، وقه لنا بين مستوى الفصحى واللهجات القديمة ، في ألفاظها ومدلولاتها ، ورتبنا كلمات المادة الواحدة ، ترتيباً منهجياً صارماً ، وأعدنا استقرار النصوص القديمة من جديد ، لنخلص هذه المعاجم مما فيها من تحريف أو تصحيف ، أو مواد هي من صنع اللغويين ، ولم تجربها ألسنة العرب القدماء .

هذا ، ويعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إخراج معجم كبير للغة العربية ، مستخدماً المعاجم العربية ، التي وصلت إلينا ، إلى جانب كتب الأدب واللغة ، ودواوين الشعراء . وقد اتبع في تأليفه منهجاً صارماً ، تغلب فيه على شيء من العيوب السابقة . وقد خرج الجزء الأول من هذا « المعجم الكبير » خاصاً بحرف الهمزة ، وطبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م ، وهو جهد يتطلب الكثير من الوقت ، وتعاون المتخصصين في هذا الميدان ؛

...

هذا هو جانب المعجم في تراثنا اللغوي : .. فإذا جئنا إلى الدراسة الخاصة بنظام الجملة ، ووظائف الكلمات في داخل الجملة ، وجدنا تراثاً ضخماً ، تباهى به الأمة العربية سائر

الأمم في هذا المضمار ، وقد وصل إلينا أول كتاب في هذا المجال كاملاً ، يهر النفوس ، ويستحوذ على القلوب ويبعث على الإعجاب بعقلية مبدعه ، وتفكير منشئه ، وهو كتاب سيبويه النحوي البصري المشهور ( المتوفى سنة ١٨٠ هـ ) : وتوالت المؤلفات العربية في هذا الميدان بعد سيبويه ، ومن أهم هذه المؤلفات : كتاب « المقتضب » لأبي العباس المبرد ( المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ) ، و « أصول النحو » لابن السراج ( المتوفى سنة ٣١٦ هـ ) ، و « الجمل » للزجاجي ( المتوفى سنة ٣٤٠ هـ ) ، و « المفصل » للزمخشري ( المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ) و « الإنصاف » لأبي البركات بن الأنباري ( المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ) ، و « شرح المفصل » لابن يعيش ( المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ) ، و « الألفية » المشهورة ، لابن مالك ( المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ) ، وكتب العلامة المصرية « ابن هشام » ( المتوفى سنة ٧٦١ هـ ) كشاور الذهب ، وقطر الندى ، وأوضح المسالك ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، وشرح الأشموني ( المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ) على ألفية ابن مالك ، و « جمع الحوامع » لجلال الدين السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) ، وغير ذلك كثير كثير .

وإن من يتصفح هذه المؤلفات الكثيرة يعجب من الجهد المبذول فيها حقاً ، غير أنه بفضل وسط الآراء الجدلية النظرية ، التي



لا تفيد كثير آ في الدرس النحوي ، والاعتداد  
عن الواقع اللغوي إلى الافتراض ، وانظر  
معنى إلى قول الزجاج مثلاً : « والمازني يجير  
في : يأياها الرجل ، النصب في الرجل ، ولم  
يقبل بهذا القول أحد من البصريين غيره ،  
وهو قياس ، لأن موضع المفرد المنادى نصب  
فحملت صمته على موضعه : وهذا في غير  
يأياها الرجل جائز عند جميع النحويين ،  
نحو قولك : يازيد الظريف والظريف :  
والنحويون لا يقولون إلا : يأياها الرجل ،  
ويأياها الناس : والعرب لغتها في هذا الرفع ،  
ولم يرد عنها غيره (١) .

ففي هذا النص نجد المازني يبتدع لغة لم  
تجر على لسان العرب ، ويترك الواقع اللغوي ،  
إلى افتراضات قياسية ما أنزل الله بها من  
سلطان ، فإذا كان العرب قد قالوا : يازيد  
الظريف ، فلا مانع عند المازني أن تقول :  
يأياها الرجل ، وإن لم تقل بذلك العرب .

وما صنيع المازني في هذا الزمن القديم ،  
إلا كصنيع من يبتدع قياساً باطلاً في لهجات  
الخطاب المعاصرة ، ويدعيه على أصحاب  
هذه اللهجات ، فيجيز أن تجمع كلمة :  
« تاج » على : « أتواج » ، قياساً على جمع  
مال على أموال ، أو يعكس فيجيز أن تجمع  
كلمة : « مال » على : « ميلان » ، قياساً  
على جمع تاج على تيجان ، وما أشبه ذلك

، لا يصح أن يدخل إلا في دائرة الأوهام  
والخيالات .

وأنت واقع هنا وهناك ، في التراث  
النحوي ، على كثير من التعليقات الواهية  
التي لا يستند لها قانون لغوي ، أو قاعدة كلية  
تسرى على مجموعة من اللغات البشرية ،  
وتأمل معنى قول الزجاج في تعليل إعراب  
المثنى من اسم الإشارة واسم الموصول :  
« فإن قال قائل : فما بالك تقول : أثنى اللذان  
في الدار ، ورأيت اللذين في الدار ، فتعرب  
كل مالا يعرب في ثنيته نحو : هذان ،  
وهذين : وأنت لا تعرب : هذا ، ولا هؤلاء ؟  
فالجواب في ذلك أن جميع مالا يعرب في  
الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى ،  
فإذا ثنيته ، فقد بطل شبه الحرف الذي جاء  
لمعنى ، لأن حروف المعاني لاثنى (٢) .

وقد فات الزجاج أن الجمع يمكن أن يقال  
فيه ما قاله هو في التثنية ، من بطلان شبه  
الحرف الذي جاء لمعنى ، فلماذا لم يعرب إذن  
اسم الموصول المجموع مثل : « الذين » ، واسم  
الإشارة للمجمع ، مثل : هؤلاء ؟

وليست كل التفسيرات التي قدمها النحاة  
القديمون للظواهر اللغوية في العربية  
خطأً نحذر الناس منه ، أو خطأً نستغفر الله  
للنحاة العرب من الوقوع في أدرانها ، وإنما  
نحذر بعض شبابنا الباحثين ، من الوقوع أسرى

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٦٤ / ١

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤ / ١



لبعض هذه التفسيرات الواهية ، وندعوهم إلى إعمال العقل في المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية .

ولسنا في دعوتنا هذه نخرج كثيراً عن منهج كبار علمائنا القدامى ، ورحم الله عبقرى العربية ، الخليل بن أحمد ، حين سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقبله : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نعمك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سبيلها وطاعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس ، وإن تكن هناك علة أخرى له ، فشئى في ذلك مثل رجل حكيم ، دخل داراً محكمة البناء ، عظيمة النظم والأقسام . فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شئ منها ، قال : إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ، ولسبب كذا وكذا ، سنحت له وخطرت بباله ، محتملة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم الباقي للدار ، فعل ذلك للعله ، التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ... فإن سنح لغيرى علة لما علته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول ، فليأت بها (١) .

ومن الأمور التي تلفت النظر ، في تراثنا النحوى الضخم ، خلوه في بعض الأحيان من الاستقراء الكامل ، لبعض

صور الظاهرة الواحدة ، من الظواهر النحوية ، ويكفى أن نذكر هنا بما يقوله النحاة ، منذ أيام سيبويه ، من أن الاستثناء في الكلام التام غير الموجب المنقطع ، كما في مثاهم لمشهور : « ما قام القوم إلا حماراً » يجب فيه نصب المستثنى على لغة أهل الحجاز وبها نزل قول الله تعالى : « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » . أما بنو تميم فلأنهم يجيزون فيه الإتياع .

كقول زياد بن حمى التميمي :

ليست عليهم إذا يغدون أردية

إلا جياذ قسى النبع والالجم (٢)

وليس النحاة على حق في هذا ، فليس

بنو تميم وحدهم في تجويز الإتياع هنا ،

فهذا جبران العود النيرى يقول :

وبلادة ليس بها أنيس

إلا اليعافير وإلا العيس (٣)

كما يقول ضرار بن الأزور في يوم اليمامة :

عشية لا تغنى الرماح مكانها

ولا النبل إلا المشرفى المصمم (٤)

وضرار شاعر من بني أسد (٥) ومثله قول

الأخطل التغلبي :

فرايبة السكران قفر فما لهم

بها شبح إلا سلام وحرمل

والسلام : الحجارة ، والحرمل : شجر (٦) .

ومثله قول سعد بن مالك بن ضبيعة ،

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ٦٥

(٢) انظر : الحماسة بشرح المرزوقي ق ٣٩/٥٧٧ ص ١٤/٢ (٣) ديوانه ص ٥٢

(٤) انظر : تاريخ الطبرى ٢٩٧/٣ (٥) انظر : جمهرة الأنساب لابن حزم ١٩٣

(٦) ديوان الأخطل ص ٢

جد طرفة بن العبد البكري :

والحرب لا يبقى بلحاحها

التخييل والمراح

إلا الفتى الصبار في الـ

مجدات والفرس الوقاح<sup>(١)</sup>

فهذه الأبيات — كما ترى —

لشعراء من نمير ، وأسد ، وتغلب ،

وبكر ، وغيرها كثير ، يثبت أن استقراء

النحاة العرب لهذه الظاهرة ، كان استقراء

ناقصا .

ومن العجب قول المرزوقي في شرح

هذين البيتين الأخيرين ؛ إلا الفتى ، ارتفع

على أنه بدل من التخييل ، وهذه لغة تميم ،

بل إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي ،

أن فيه متابعة ، تكاد تكون كاملة ، لكثير مما

جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص

أو تدقيق ، على ما في بعض مسائله أحيانا

من الخطأ المبني على تحريف في الرواية

أو تغيير في الشواهد العربية ؛ وهذا مثال

واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق

ما نذهب إليه :

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ،

أن ( كان ) الناسخة تحذف وحدها أحيانا

وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك ،

«أما أنت منطلقاً انطلقت» ، وأصله — كما

يقول النحاة — انطلقت لأن كنت منطلقا ،

ثم قلبت اللام وما بعدها على : «انطلقت»

للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ،

وحذفت «كان» لذلك فانفصل الضمير ،

ثم زيدت ( ما ) للتعويض ، ثم أدغمت

النون في الميم للتقارب .

هكذا يقول النحاة العرب ، ويستشهدون

على ذلك ، بقول العباس بن مرداس

السلمي :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر

فإن قومي لم تأكلهم الضبع<sup>(٢)</sup>

وقول الشاعر :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا

فإن الله يكلاً ما تأتي وما تذر<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن هذه المسألة ، مبنيّة على تحريف

وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ،

وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ،

بين شاهدي هذه المسألة ، لأن البيت

الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على

عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه

مسموع بعد وضع القاعدة ، وعلى ضوءها .

وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في

اللغة العربية أصلا ، وأن النحاة وعلى رأسهم

سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف

في بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه

أمثلتهم الأخرى ، وأن صواب رواية

البيت :

أبا خراشة إما كنت ذا نفر

فإن قومي لم تأكلهم الضبع

هكذا : «إما كنت» بدلا من : «أما أنت»

التي يزعم النحاة ، منذ أيام سيبويه ، أن

(١) شرح المرزوقي للحباسة ٥٠١/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٤٨/١ (٣) خزائن الأدب ٨٢/٢

البيت يروى بها و «إما» هذه هي : «إن»  
الشرطية المؤكدة بما الزائدة ، وهي كثيرة  
في الكلام العربي ، ويأتي بعدها المضارع  
كقوله تعالى : «إما تخافن من قوم خيانة»  
فانبه إليهم على سواء» والماضي كقول  
الأبهرد الرياحي :

فلا يبعد نك الله إما تركتنا

حميدا وأودى بعدك الحمد والفخر (١)  
ولعل الدليل على صحة ما نقول ،  
أن بيت العباس بن مرداس ، يروى  
كثيرا في غير كتب النحو ( التي ينقل  
بعضها عن بعض ) ، بالرواية الصحيحة ،  
وهي : «إما كنت» ويكنى أن تراجع ذلك  
في كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١  
وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري  
١١٠/٢ وتهذيب الألفاظ لابن السكيت  
٢٦ وحماسة الخالدين ٨٩/١ وجمهرة  
اللغة لابن دريد ٣٠٢/١ وشرح نهج  
البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ولسان  
العرب ( خرش ) ١٤٣/٨ والاشتقاق  
لابن دريد ٣١٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة  
٣٤١/١ وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب  
٣٤٩/١ والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ، ٤٤٦/٦  
وغير ذلك

وهذا مثال ثان يؤكد ما قلناه ، من  
ابتداع بعض النحاة العرب لشيء من  
القواعد ، بناء على رواية مغيرة لهذا الشاهد  
أو ذاك من شواهد الشعر ، يقول ابن قتيبة :  
وقد رأيت سيبويه يذكر بيتا يحتاج به ،

في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على  
المعنى ، لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر :

معاوي إننا بشر فأسجح

فلسنا بالجبال ولا الحديد

قال : كأنه أراد : لسنا الجبال ولا

الحديد ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول

الباء . وقد غلط على الشاعر ، لأن هذا

الشعر كله مخفوض ، قال الشاعر :

فهبها أمة ذهبت ضياعا

يزيد أميرها وأبو يزيد

أكلتم أرضنا وجردتموها

فهل من قائم أو من حصيد

ويحتاج أيضا بقول الهذلي في كتابه ،

وهو قوله :

بيت على معاري فانخرات

بهن ملوب كدم العباط

وليست هاهنا ضرورة ، فيحتاج

الشاعر إلى أن يترك صرف « معار » .

ولو قال : يبيت على معار فانخرات ، كان

الشعر موزونا ، والإعراب صحيحا .

قال أبو محمد : وهكذا قرأته على أصحاب

الأصمعي : وكقوله في بيت آخر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة

ومختبط مما تطيح الطوائح

وكان الأصمعي ينكر هذا ، ويقول :

ما اضطره إليه ؟ الرواية : ليبك يزيد

ضارع لخصومه (٢)

ولقد أسهم النساخ والطابعون ، في

شروع التصحيف والتحريف في كثير

من شواهد النحو ، ومسائله وقضاياها ،

(٢) الشعر والشعراء ٩٨/١

(١) الكامل للبهرد ٢١٥/١



وأصبح من الواجب علينا التدقيق في إخراج هذه الكتب محققة ، على وجه تخلص فيه من مثل التحريفات الشنيعة ،

التي تتناول بين المدارس بين مشاهير الكتب النحوية ، فقد استشهد ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك ، على جواز نصب المفعول لأجله ، إذا كان محلي بالألف واللام ، بقول قريط ابن أنيف :

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا

شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

والبيت على هذه الرواية ، التي جاءت في كتاب ابن عقيل ، ليس فيه شاهد على هذه المسألة ، لأن « الإغارة » مفعول به ، وليس مفعولا له . والذي في شعر قريط بن أنيف « شدوا الإغارة » . ويقول التبريزي في تفسيره : « ويروى شنوا الإغارة » ، أي فرقوها ، ومن روى : شدوا الإغارة ، فليس الإغارة مفعولا به ، ولا انتصابها على ذلك ، لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أي شدوا للإغارة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن ما في كتاب ابن عقيل تحريف للرواية الأخرى ، « شدوا » وأن المراد : شدوا التحليل للإغارة ، وإن كان شراح شواهد ، كالشيخ عبد المنعم الجرجاوي والشيخ قطرة العدوي ، يريان حذف المفعول به هنا أيضا ، فيقولان : « إن المعنى شنوا أنفسهم لأجل الإغارة على العدو » مع أن الذي في المعجم : « شن الغارة » أي

فرقها . ولم يقل : « شنوا أنفسهم » فيما وقفت عليه من نصوص العربية .

\* \* \*

أما كتب فقه اللغة العربية ، من تراثنا اللغوي فإنها حقا تبث على الإعجاب والإكبار ، إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها . سبق علمائنا القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث ، بألف عام أو يزيد . وعلى رأس هذه الكتب : « الخصائص » و « سر صناعة الإعراب » للإمام ابن جني ( المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ) و « الصاحبي في فقه اللغة » لابن فارس اللغوي ( المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ) ، و « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » للإمام السيوطي ( المتوفى سنة ٩١١ هـ ) . ففي هذه الكتب وغيرها ، علم كثير . ونظريات لغوية ، تقف شاهدة أمام ما وصل إليه العلماء ، في عصر التكنولوجيا الحديثة ، والعقول الإلكترونية .

ولكنك تعجب حين ترى في بعضها اشتغال هؤلاء العلماء ، بشيء من التعليقات الواهية ، والجدل العقيم ، واسمع معي إلى قول ابن جني ، متسائلا : لماذا رفع الفاعل ونصب المفعول ؟ ثم يجيب بقوله : « لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد وقد يكون له مفعولات كثيرة . فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرتة وذلك ليقول في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون » .

كما يقول ابن جني في موضع آخر :  
«لماذا يكثر الأصل الثلاثي في اللغة العربية ،  
دون الرباعي والحماسي ؟ الجواب هو :  
لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى  
به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال  
الثلاثي لقلة حروفه فحسب ، لو كان  
كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل  
حروفا ، وليس الأمر كذلك ، وأقل  
منه ما جاء على حرف واحد : . . . فتمكن  
الثلاثي إنما هو لقلة حروفه — لعمري —  
ولشيء آخر ، وهو حجز الحشو الذي هو  
عينه بين فائه ولامه . وذلك لتباينهما  
ولتعادي حالتهما ، ألا ترى أن المبتدأ  
لا يكون إلا متحركا . وأن الموقوف  
عليه لا يكون إلا ساكنا ؟ فلما تنافرت  
حالا هما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ،  
لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه<sup>(١)</sup> ،  
ويدلك على ما نقول كذلك هذا ،  
الجدل العنيف ، الذي يشيره ابن جني  
حول الحركة القصيرة . أهى قبل الحرف ،  
أو معه ، أو بعده ؟ وبدلا من أن يلجأ  
إلى التجربة . أخذ يستخدم منطق أرسطو ،  
في الدليل على أن الحركة القصيرة تقع  
بعد الحرف ، مثلها في ذلك مثل حروف  
المد وهي الألف والواو والياء ، فيقول :  
«واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف ،  
لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه  
أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة في

المرتبة قبل الحرف ، إذ لو كانت كذلك  
لما جاز الإدغام في الكلام أصلا ، ألا  
ترى أنك تقول : قطع ، فتدغم الطاء  
الأولى في الثانية ، ولو كانت حركة الطاء  
الثانية في المرتبة قبلها ، لكانت حاجزة  
بين الطاء الأولى والطاء الثانية ، ولو كان  
الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في  
الثانية ، فجواز الإدغام في الكلام دلالة  
على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك  
بها . . . . . وبقي أن تكون معه أو بعده ،  
وفي الفرق بينهما بعض الإشكال ، فالذي  
يدل على أن حركة الحرف في المرتبة  
بعده ، أنك تجدها فاصلة بين المثليين ،  
نحو قولك : قصص ، ومضض ، فإن  
ظهر هذان المثلان ، ولم يدغم الأول منهما  
في الآخر منهما ، فظهورهما دلالة على فصل  
واقع بينهما ، وليس ها هنا فصل البتة ،  
غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول<sup>(٢)</sup> .

أما أبو علي الفارسي ، فإنه لم يتصور  
إمكان استقلال الحركة بالنطق ، ولم  
يستطع أن يفرق بين الصوت الصامت  
والحركة ، هذه التفرقة ، فكان يرى  
أن الحركة تحدث مع الحرف يقول ابن  
جني : «واستدل أبو علي على أن الحركة  
تحدث مع الحرف ، بأن النون الساكنة  
إذا تحركت ، زالت عن الحياشيم إلى الفم ،  
وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة

(١) الخصائص ١ / ٥٥

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٢

فدل ذلك عنده ، على أن الحركة تحدث مع الحرف ، وهو لعمري استدلال قوى<sup>(١)</sup>.

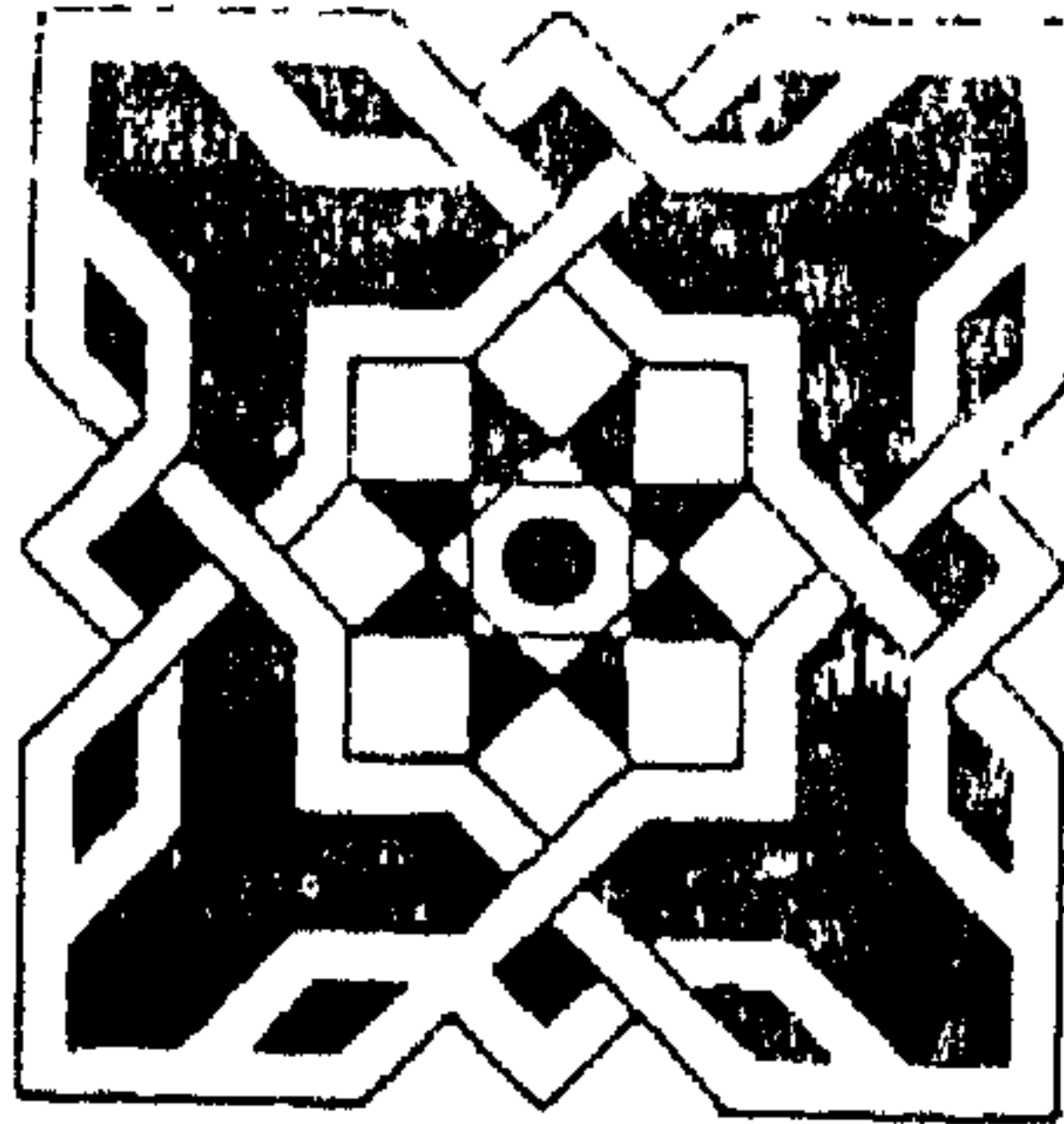
وقد فات أبا على الفارسي ، أن الذي يزول عن الخياشيم إلى الفم ، هو الحركة وليست النون ، وأن الذي يتحرك هو الهمزة ، وليست ألف المد ، لأن ألف المد حركة طويلة ، والحركة لا تحرك !

ولم تخل هذه الكتب كذلك من داء التصحيف والتحريف ، الذي ابتليت به الكتابة العربية ، منذ انقلم ، فقد وقع في كتاب «المزهر» للسيوطي النص التالي : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : قول العامة نحوى لغوى على وزن : جهل يجهل ، خطأ أو لغة رديئة » . وفي هامشه تعليقا على عبارة : « نحوى

لغوى » قال محققو المزهر : « لم نقف على ضبط هذه العبارة ! »

وهذا الذي لم يقف على ضبطه محققو الكتاب ، موجود على الصواب في تصحيح الفصيح لابن درستويه ، وهو قوله : « فتقول : غوى يغوى على نحو جهل يجهل » : هذه هي بعض الملاحظات ، التي لم يقصد كاتبها إلى الحصر والاستقصاء ، وإنما هو تنبيه للأذهان ، إلى أنه قد آن الأوان لتنقية تراثنا اللغوي من كل هذه الشوائب ، التي تركت آثارها الجذرية ، في وجه اللغة الحسنة ، لغتنا الجميلة . وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

رمضان عبد التواب  
الخبر بالمجمع



(١) سر صناعة الإعراب ٣٧/١ ومع تحس ابن جني لرأى أستاذه أبي على الفارسي هنا ، ووصفه دليله بأنه « استدلال قوى » فإنه لم يرتض هذا الرأي في كتابه الخصائص ٢-٣٣٤ ورد استدلاله هناك .



# الحركة الأخيرة في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا للدكتور مصطفى حجازي السيد

## الفرض

من هذا البحث : هو  
دراسة ظاهرة لغوية

هامة في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . وهي الحركة الأخيرة في الكلمة المقترضة . وتقوم المادة العلمية لهذه الدراسة على ما جمعت من مفردات لغوية أثناء قراءتي لكتب الأدب الهوسوي المذكورة في نهاية هذا البحث . وبدراسة هذه المادة المقترضة امكن تقسيمها إلى قسمين القسم الأول ويشمل أسماء الأعلام العربية والمعربة المستعملة في اللغة العربية . والقسم الثاني ويشمل الكلمات الأخرى . وقد أمكن بعد استقراء المادة العامة بكل قسم توزيعها على النحو التالي :

أولاً : اسم العلم : وينتهي بالحركات التالية :

١ - حركة الضمة وهي الحركة السائدة .

٢ - حركة الفتحة : في الحالات التالية :

( أ ) الأعلام المنتهية بتاء التأنيث .

( ب ) الأعلام المنتهية بالألف المقصورة :

( ج ) الأعلام المنتهية بالألف الممدودة .

( د ) الأعلام التي ترد كثيراً في حالة النصب في القرآن الكريم .

٣ - حركة الكسرة : وتأتي في نهاية الأعلام التالية :

( أ ) الأعلام المركبة من المضاف والمضاف إليه

( ب ) الأعلام المنتهية بحركة الكسرة الطويلة .

( ج ) في حالة حذف المقطع الأخير من الاسم ، وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

( د ) أعلام قابلة لم يمكن تحليلها .

ثانياً : الكلمات الأخرى : وتنتهي بالحركات التالية :

١ - حركة الفتحة وتأتي مشروطة وغير مشروطة .

في بداية هذا البحث أقدم بالشكر إلى د. محمد وفهمي حجازي لملاحظاته القيمة التي أفادتني كثيراً في إخراج هذا العمل .

(أ) حركة الفتحة المشروطة وتأتي في الحالات التالية :

١- في نهاية الكلمات التي أصلها فعل ماضى مبنى على الفتحة .  
٢- في حالة حذف المقطع الأخير من الكلمة وانتهاء المقطع السابق على المحذوف بالكسرة .

٣- الكلمات المنتهية بالألف المقصورة .  
٤- الكلمات المنتهية بالألف الممدودة .  
٥- الكلمات المنتهية بتاء التانيث .  
٦- كلمات مقترضة كما هي .

(ب) حركة الفتحة غير المشروطة وتأتي في نهاية عدد محدود من الكلمات منها :

١- كلمات أصلها مصدر .  
٢- كلمات أصلها مصدر ميمي .  
٣- كلمات أصلها اسم فاعل .  
٤- كلمات أصلها اسم زمان .  
٥- كلمات أصلها اسم جامد .  
٢- حركة الكسرة وهي الحركة السائدة باستثناء الحالات السابقة وتأتي في نهاية الكلمات التالية :

(أ) كلمات أصلها اسم فاعل .  
(ب) كلمات أصلها اسم مفعول .  
(ج) كلمات أصلها مصدر .  
(د) كلمات أصلها اسم جامد .  
(هـ) كلمات أصلها صفة .

٣- حركة الضمة تأتي في نهاية عدد محدود جداً من الكلمات التالية :

(أ) كلمات أصلها مصدر .

(ب) كلمات أصلها اسم جامد .

٤- السكون : ويأتي في نهاية الكلمات التالية :

(أ) في نهاية الكلمات المقترضة مذونة .  
(ب) في نهاية العقود من عشرين إلى تسعين .

(ج) بعض الكلمات المنتهية بصوت النون .  
(د) بعض الكلمات المنتهية بصوت الراء وغيرها من الأصوات .

هذا عرض سريع للبحث وفي الصفحات التالية التفاصيل المدعمة بالأمثلة والأنماط المختلفة لكل حالة .

#### أولاً : أسماء الأعلام :

إذا نظرنا إلى اسم العلم في اللغة العربية من حيث الرفع والنصب والجر ، يبدو أن حالة الرفع هي أكثر الحالات شيوعاً ، إذ أنها ترتبط بالتركيب اللغوي . حيث تتركب اللغة من مجموعة من الجمل الفعلية والإسمية ، وفي كلتا الحالتين ، يأتي الأسم مرفوعاً ، حيث يكون مبتدأ في الجملة الإسمية ، أو فاعلاً أو نائباً للفاعل في الجملة الفعلية ، وبدراسة أسماء الأعلام التي قمت بجمعها استطعت تحديد الحالات التي يأتي فيها الاسم مضموماً أو مفتوحاً أو مجروراً . على النحو التالي :

#### حركة الضمة :

للأسباب التي سبق ذكرها كانت الحركة الشائعة في نهاية أسماء الأعلام الهوسوية .

المقترضة من اللغة العربية هي حالة الرفع ،  
حيث يضعون حركة الضمة القصيرة في نهاية  
كل اسم كما نلاحظ في الأمثلة التالية :

الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| haliima | < | حايمة |
| hurayra | < | هريرة |
| raqiyya | < | رقية  |
| safiiya | < | صفية  |
| sakiina | < | سكينة |
| maka    | < | مكة   |

|          |   |      |
|----------|---|------|
| ?aadamu  | < | آدم  |
| ?amiinu  | < | أمين |
| ?umaru   | < | عمر  |
| Siraaju  | < | سراج |
| Shu?aybu | < | شعيب |
| mu?aazu  | < | معاذ |
| nuuhu    | < | نوح  |
| zaynabu  | < | زينب |
| zubayru  | < | زبير |

وقد شد عن هذه القاعدة الأعلام التالية  
حيث لم تحذف من نهايتها تاء التانيث وانتهت  
بحركة الضمة القصيرة .

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| hafsatu   | < | حفصة  |
| salaamatu | < | سلامة |
| saaratu   | < | سارة  |

٢ - إذا كان اسم العلم ينتهي بألف التانيث  
الممدودة ، حذفت الهمزة وبقيت حركة  
الفتحة الطويلة :

مثال :

|       |   |      |
|-------|---|------|
| hawaa | < | حواء |
|-------|---|------|

٣ - إذا كان اسم العلم ينتهي بالألف  
المقصورة .

الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| ?iisa   | < | عيسى  |
| muusa   | < | موسى  |
| musdafa | < | مصطفى |

**حركة الفتحة :**

ينتهي اسم العلم المقترض بالفتحة في إحدى  
الحالات الآتية :

١ - إذا كان الاسم منتهياً بتاء التانيث ،  
حذفت التاء ، وبقيت حركة الفتحة السابقة  
عليها . على النحو التالي :

الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| ?amiina | < | أمينة |
| habiiba | < | حبيبة |
| hadiiza | < | خديجة |
| haliifa | < | خليفة |

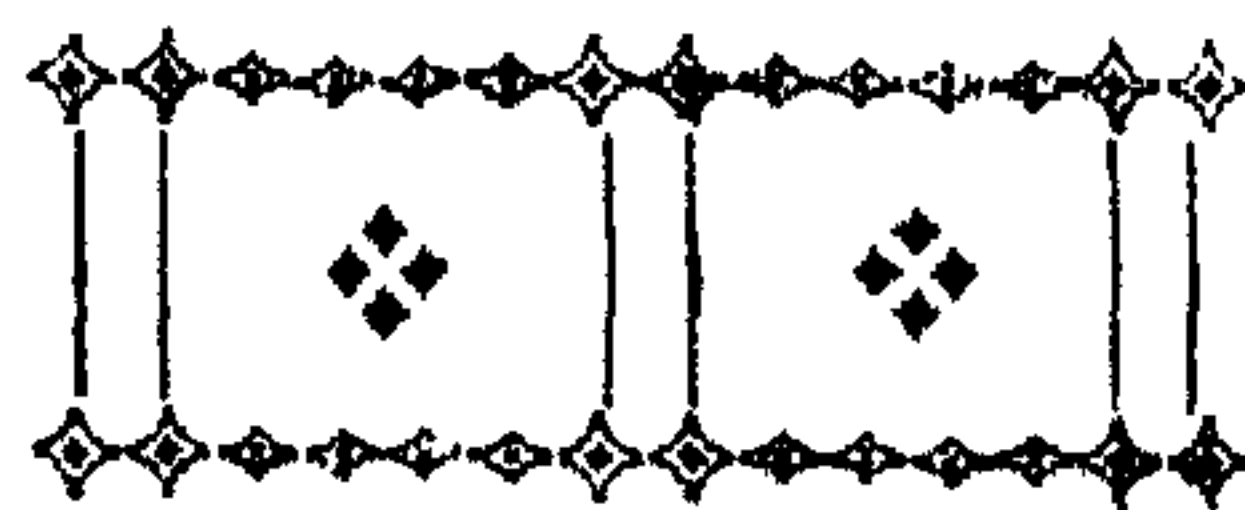
ملحوظة : أ < ؟ ، ح < ه ، ع < ج ، ش < sh ، ط < d



٤ - أسماء الأعلام التي وردت كثيراً في القرآن الكريم منصوبة أو مجرورة بالفتحة وهي موضحة في الجدول التالي (١) :

| اسم العلم في اللغة العربية | اسم العلم المقترض في لغة الهوسا | عدد مرات وروده في القرآن الكريم |            |              |
|----------------------------|---------------------------------|---------------------------------|------------|--------------|
|                            |                                 | حالات النصب                     | حالات الضم | جملة الحالات |
| أيوب <                     | ?ayyuuba                        | ٤                               | —          | ٤            |
| داود <                     | dawda                           | ١٣                              | ٣          | ١٦           |
| فرعون <                    | fir ?awna                       | ٥٤                              | ١٦         | ٧٠           |
| هارون <                    | haaruuna                        | ١٧                              | ٣          | ٢٠           |
| عمران <                    | ?imraana                        | ٣                               | —          | ٣            |
| جبريل <                    | jibriila                        | ٢                               | ١          | ٣            |
| جهنم <                     | jahannama                       | ٥٨                              | ١٧         | ٧٥           |
| قارون <                    | qaaruuna                        | ٣                               | ١          | ٤            |
| إسماعيل <                  | samaa ?iila                     | ١١                              | ١          | ١٢           |
| يونس <                     | yuunusa                         | ٤                               | —          | ٤            |

ومن هذا يتضح أن الأسماء المنتهية بالفتحة أكثر ورودها بالقرآن منتهية بالفتحة :



(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٤٥

## حركة الكسرة :

ينتهي اسم العلم العربي المقترض في لغة الهوسا بالكسرة في الحالات الآتية :

١ - إذا كان الاسم مركباً من المضاف والمضاف إليه فيكون المضاف مرفوعاً بالضمّة والمضاف إليه مجروراً بالكسرة على النحو التالي :

الأمثلة :

|                |   |            |
|----------------|---|------------|
| ?abdu?aziizi   | < | عبد العزيز |
| ?abdu?baasiḍi  | < | عبد الباسط |
| ?izzuḍḍiini    | < | عز الدين   |
| ?abdu?gaffaari | < | عبد الغفار |
| ?ablu?jabbaari | < | عبد الجبار |
| ?abdu?rahiimi  | < | عبد الرحيم |
| ?abdu?raaziki  | < | عبد الرازق |

٢ - إذا كان الاسم العربي المقترض ينتهي بحركة الكسرة الطويلة .

الأمثلة :

|            |   |       |
|------------|---|-------|
| ?alii      | < | على   |
| ?ashmaawii | < | عشاوى |
| saanii     | < | ثانى  |
| suyuḍḍii   | < | سيوطى |
| maadii     | < | مهدى  |

٣ - إذا حذف المقطع الأخير من الاسم وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف كسرة بقيت كما هي على النحو التالي :

الأمثلة :

|        |   |       |
|--------|---|-------|
| bilkii | < | باقيس |
| raabii | < | رابعة |

٤ - وإلى جانب الحالات السابقة وردت الأعلام الآتية منتهية بحركة الكسرة .

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| habiiḥii  | < | حبيب  |
| husayni   | < | حسين  |
| ?iidi     | < | إدريس |
| maalikii  | < | مالك  |
| walkiirii | < | نكير  |

## السكون :

والمقصود بالسكون هنا هو عدم وجود إحدى الحركات المذكورة آنفاً ، أى أن الاسم ينتهى بصوت صامت لا يليه أية حركة ، وقد جاءت الأعلام الآتية منتهية بصوت صامت .

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?allah   | < | الله  |
| hasan    | < | حسن   |
| rajab    | < | رجب   |
| ramalaan | < | رمضان |
| safar    | < | صفر   |
| shabaan  | < | شعبان |
| shawwaal | < | شوال  |
| shayḍaan | < | شيطان |
| muharram | < | محرم  |

## ثانيا : الكلمات الاخرى :

والمقصود بالكلمات الأخرى تلك الكلمات التي ليست بأسماء أعلام ، وهي قلما تقتصر كما هي في اللغة العربية ، ولكن الغالب هو حدوث كثير من التغيرات في بنية الكلمة المقترضة حتى تتلاءم مع النظام البنيوي للغة الهوسا ، ومن التغيرات التي تحدث في هذه الكلمات ، ظاهرة الحذف الصوتي ، وإبدال أصوات الحلق والأطباق ، والأصوات التي تخرج مما بين الأسنان الأمامية . فيبدلون صوت الهمزة بالعين فيقولون — saa?a — بدلا من « ساعة » ويبدلون الهاء بالحاء فيقولون — haali — بدلا من « حال » وصوت الجيم القاهرية بالغين فيقولون — gargara — بدلا من « غرغرة » وصوت الهاء بالحاء فيقولون — husuuma — بدلا من « خصومة » .

وفي مجال الأطباق يبدلون صوت السين بالصاد فيقولون — sanaa?a — بدلا من « صناعة » واللام بالضاد فيقولون — ?alkaali — بدلا من « القاضى » ، وصوت الزاي بالطاء فيقولون — ?azzaalumi — بدلا من « الظالم » .

ويبدلون صوت التاء بالثاء فيقولون — tabbata — بدلا من « ثبتت » الزاي باللام فيقولون — zimma — بدلا من « ذمة » (١) .

ومن ظواهر التغير الأخرى إضافة إحدى الحركات بين الصوتين الصامتين ، منعاً لالتقائهما ، حيث يسود نظام المقطع المفتوح ، ولذلك كانت أكثر الصيغ العربية اقترضا صيغة فَعَعَلْ وفَعَعَلْ حيث تستعمل الصيغة الأخيرة في لغة الهوسا للدلالة على تكرار الحدث من شخص واحد ، أو عدة أشخاص في وقت واحد ، فيقولون — yaa taara — بمعنى جمع ، ويقولون — yaa tattaara — بمعنى جمع .

ولما كانت اللغة العربية لغة إعراب عكس الحال في لغة الهوسا ، كانت قضية الحركة الأخيرة من الكلمة العربية المقترضة من القضايا الهامة التي تحتاج إلى دراسة ، وقد قمت بدراسة ٧٨٤ كلمة عربية مقترضة ، وتبعت الحركة الأخيرة في كل كلمة أصلية ، فكانت الكلمات التي تنتهى بحركة الفتح ٣١٥ كلمة والتي تنتهى بحركة الكسرة ٣٢٠ كلمة والتي تنتهى بحركة الضمة ٣٦ كلمة ، بينما بلغ عدد الكلمات التي تنتهى بصوت صامت لا ياية حركة ٧٣ كلمة .

ومن هذا يتضح أن الحركة السائدة في نهاية الكلمات التي ليست بأسماء أعلام هي حركة الفتح المشروطة — كما سنرى فيما بعد — وحركة الكسرة غير المشروطة بينما

(١) المزيد من التفاصيل أنظر الإبدال الصوتي في الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا . للباحث ، والمنشور



تسود حركة الضمة في نهاية أسماء الأعلام  
كما رأينا آنفاً . في بداية هذا البحث .

وفيما يلي دراسة للحركات النهائية في الكلمة  
العربية المقترضة والأنماط المختلفة التي جاءت  
فيها .

#### ١. - حركة الفتحة :

تأتي حركة الفتحة في نهاية الكلمة العربية  
المقترضة في لغة الهوسا مشروطة وغير مشروطة  
على النحو التالي .

#### أولاً : حركة الفتحة المشروطة :

تأتي حركة الفتحة المشروطة في نهاية  
الكلمات العربية التي أصلها فعل ماضى مبنى  
على الفتحة كما هو موضح فيما يلي :

( أ ) الأفعال الماضية على وزن فَعَلَّ :  
الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| balaga  | < | باغ  |
| hasada  | < | حساد |
| la?ana  | < | لعن  |
| raka?a  | < | ركع  |
| sajada  | < | سجد  |
| sharaha | < | شرح  |
| sharada | < | شرط  |
| wajaba  | < | وجب  |

( ب ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
الأمثلة :

|        |   |     |
|--------|---|-----|
| ?azina | < | أذن |
|--------|---|-----|

shaayda < شهد

wahima < وهم

( ج ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
مثال :

rahusa < رَحُصَّ

( د ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّلَّ :  
الأمثلة :

?azzama < عَظَّم

fallala < فَضَّل

fassara < فَسَّر

fawwala < فَوَّض

jarraba < جَرَّب

kaddara < كَدَّر

sarrafa < صَرَّف

wallafa < أَلَفَّ

( هـ ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن تَفَعَّلَّ :  
الأمثلة :

ta?allaqa < تَأَلَّقَ

ta?azzara < تَعَزَّرَ

taḍawwa?a < تَطَوَّعَ

tagayyara < تَغَيَّرَ

( و ) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعَّالَ :  
مثال :

sawaana < تَوَانَى

(ز) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فاعِلٌ :

مثال :

شاوَر < shaawara

(ح) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فعَّ :  
الأمثلة :

الأمثلة :

بَتَّ < batta

دَقَّ < daqqa

شَكَّ < shakka

(ط) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن إفْتَتَحَ :  
مثال :

إنْتَهَى < ?intaha

(ك) الكلمات التي أصلها فعل ماضى  
على وزن فَعْلَلَّ :  
مثال :

تَرْجَمَ < tarjama

٢- الكلمات التي يحذف منها المقطع  
الأخير : وتبقى حركة الفتحة السابقة عليها .

الأمثلة :

البَصَلَ < ?albasa

الْتَمَحَ < ?alkama

أَرْنَحَصَ < ?araha

الصَبَحَ < ?asuba

أَوْقَعَ < ?awka

نَكَرَانَ < nukura

تَكَرَّرَ < takara

٣- الكلمات المنتهية بالألف المقصورة

الأمثلة :

دُنْيَا < duuniya

فَتَوَى < fatawa

هَدَايَا < hadaaya

مَعْنَى < ma?ana

٤- الكلمات العربية التي أصلها أسماء  
منتهية بألف التأنيث المحدودة حيث تحذف  
الهمزة وتبقى حركة الفتحة الطويلة السابقة  
عليها :

الأمثلة :

الدَّعَاءُ < ?addu?aa

العِشَاءُ < ?al?isha

عَاشُورَاءُ < ?aashuuraa

العِشَاءُ < lishaa

رَجَاءُ < rajaa

رِيَاءُ < riya

صَحْرَاءُ < sahaara

شَعْرَاءُ < shu?ara

٥- الكلمات العربية التي أصلها أسماء  
منتهية بتاء التأنيث . حيث تحذف التاء وتبقى  
حركة الفتحة السابقة عليها وهي إما أسماء  
جامدة أو مصادر أو اسم فاعل .

|       |   |      |                                                |
|-------|---|------|------------------------------------------------|
| kiswa | < | كسوة | (أ) الأسماء الحامدة والتي تنتهى بتاء التانيث . |
| niyya | < | نية  |                                                |

الأمثلة : ٤ - النمط cvcv cv

|         |   |           |   |          |        |
|---------|---|-----------|---|----------|--------|
|         |   | الأمثلة : |   |          |        |
|         |   |           | < | ?al?umma | الامة  |
|         |   |           | < | ?algaaya | الغاية |
| da?awa  | < | دعوة      | < | daabba   | دابة   |
| hidima  | < | خدمة      | < | jariida  | جريدة  |
| kisima  | < | قسمة      | < | naafila  | نافلة  |
| kiti?a  | < | قطعة      | < | taagiiya | طاقية  |
| ni?ima  | < | نعمة      | < | wasiiqa  | وثيقه  |
| rashawa | < | رشوة      | < | zuriya   | ذرية   |

٥ - النمط cvcv cv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?ibaada  | < | عبادة |
| ?ishaara | < | إشاره |
| hikaaya  | < | حكاية |
| hasaara  | < | خسارة |
| najaasa  | < | نجاسة |
| sanaa?a  | < | صناعة |
| waliima  | < | وليمة |

٦ - النمط cvccv cv

مثال :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| gargara | < | غرغرة |
|---------|---|-------|

٧ - النمط cvccvccv

الأمثلة :

|           |   |        |
|-----------|---|--------|
| ?anniiyya | < | الذمية |
| tarbiyya  | < | تربية  |

(ب) الكلمات التي أصلها مصادر وتنتهى بتاء التانيث وتأتى على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcv

مثال :

|      |   |     |
|------|---|-----|
| huja | < | حجة |
|------|---|-----|

٢ - النمط cvv cv

الأمثلة :

|       |   |      |
|-------|---|------|
| daa?a | < | طاعة |
|-------|---|------|

|       |   |      |
|-------|---|------|
| ziina | < | زينة |
|-------|---|------|

٣ - النمط cvccv

الأمثلة :

|       |   |     |
|-------|---|-----|
| ?izza | < | عزة |
|-------|---|-----|

|       |   |      |
|-------|---|------|
| dawla | < | دولة |
|-------|---|------|

|       |   |      |
|-------|---|------|
| harka | < | حركة |
|-------|---|------|

|       |   |      |
|-------|---|------|
| hayba | < | هيبة |
|-------|---|------|

|       |   |     |
|-------|---|-----|
| kissa | < | قصة |
|-------|---|-----|



٦- كلمات عربية مبنيّة على الفتحّة  
واقترضت في لغة الهوسا كما هي ، وهي :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?abada   | < | أبدًا |
| ?ammaa   | < | أما   |
| ?imma    | < | إما   |
| ?illa    | < | إلا   |
| ?ila     | < | إلى   |
| ?inda    | < | عند   |
| gayra    | < | غير   |
| la       | < | لا    |
| hatta    | < | حتى   |
| hayhaata | < | هيات  |
| haka     | < | هكذا  |

ثانيا : حركة الفتحّة غير المشروطة :

وهي تأتي في نهاية عدد محدود من الكلمات  
باغ عددها فيما جمعت من مادة علمية ثلاثين  
كلمة على النحو التالي :

(أ) في نهاية كلمات أصلها مصدر  
وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvvcv

مثال :

|       |   |           |
|-------|---|-----------|
| riiba | < | ربح أوريا |
|-------|---|-----------|

٢ - النمط cvccv

الأمثلة :

|        |   |     |
|--------|---|-----|
| ?afuwa | < | عفو |
| sababa | < | سبب |
| shkura | < | شكر |

٨ - النمط cvccvccvccv

الأمثلة :

|             |   |        |
|-------------|---|--------|
| ?annafaga   | < | النفقة |
| ?annashawa? | < | النشوة |

٩ - النمط cvccvccvccv

مثال :

|            |   |         |
|------------|---|---------|
| ?istihaara | < | استخارة |
|------------|---|---------|

(ج) كلمات أصلها مصدر ميمي وتنتهي  
بتاء التانيث وتأتي على .

١ - النمط التالي cvccvcc

الأمثلة :

|           |   |        |
|-----------|---|--------|
| ma?aamala | < | معاملة |
| mabaaya?a | < | مبايعة |
| mahaawara | < | محاورة |
| makaalama | < | مكالمة |
| makiida   | < | مكيدة  |
| musaafaha | < | مصافحة |
| mawaafaka | < | موافقة |

(د) كلمات أصلها اسم فاعل وتنتهي

بتاء التانيث .

مثال :

|        |   |       |
|--------|---|-------|
| mujiza | < | معجزة |
|--------|---|-------|

(هـ) كلمات أصلها اسم مكان وتنتهي

بتاء التانيث .

مثال :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| maɖaba?a | < | مطبعة |
|----------|---|-------|

٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| ?azaaba | < | عذاب |
| jidaala | < | جدال |
| hilaafa | < | خلاف |
| hanaana | < | حنان |
| kitaala | < | قتال |

(ب) كلمات أصلها مصدر ميمي :

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| mugaama | < | مقام |
|---------|---|------|

(ج) كلمات أصلها اسم فاعل :

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| daahila | < | داخل |
| haarija | < | خارج |
| waaqi?a | < | واقع |
| zaa?ida | < | زائد |

(د) كلمات أصلها اسم زمان :

مثال :

|          |   |      |
|----------|---|------|
| magariba | < | مغرب |
|----------|---|------|

(هـ) كلمات أصلها اسم جامد وتأني

على الأنماط التالية :

١ - النمط cvccv

مثال :

|       |   |            |
|-------|---|------------|
| girma | < | جُرم ، حجم |
|-------|---|------------|

٢ - النمط cvccvcv

مثال :

|        |   |      |
|--------|---|------|
| dara?a | < | ذراع |
|--------|---|------|

٣ - النمط cvcvvcv

مثال :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| faraaga | < | فراغ |
| kasaala | < | كسل  |

٤ - النمط cvvcvvcv

مثال :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| taariiha | < | تاريخ |
|----------|---|-------|

٥ - النمط cvccvcvcv

مثال :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| fhirisa | < | فهرس |
|---------|---|------|

٦ - النمط cvccvcvcv

مثال :

|         |   |     |
|---------|---|-----|
| marmara | < | ممر |
|---------|---|-----|

٧ - النمط cvcvvcvcv

مثال :

|           |   |               |
|-----------|---|---------------|
| janaa?iza | < | جنائز < جنازه |
|-----------|---|---------------|

٢ - حركة الكسرة :

تأتي حركة الكسرة غير مشروطة في نهاية الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا ، سواء كان أصلها اسم فاعل أو اسم مفعول ، أو مصدر أو اسم جامد أو صفة في جميع أنماط الكلمة على النحو الموضح فيما بعد :

(أ) كلمات أصلها اسم فاعل وتأني

على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcv

مثال :

|      |   |     |
|------|---|-----|
| haji | < | حاج |
|------|---|-----|

٢ - النمط cvcvv

مثال :

ولي <

٣ - النمط cvvcvv

مثال :

والى <

٤ - النمط cvccv

مثال :

شاذ <

٥ - النمط cvccvv

مثال :

مفتى <

٦ - النمط cvvcvcvv وهو الغالب :

الأمثلة :

دائم < daa'imii

فاجر < faajirii

فاسق < faasiqii

غالب < gaalibii

حاكم < haakimii

جاهل < jaahilii

كامل < kaamilii

كاذب < kaazibii

٧ - النمط cvccvcvcvv

مثال :

مثير الفتنة < maftinii

مشارك < mushirikii

٨ - النمط cvccvcvv

مثال :

مشكل <

٩ - النمط cvccvvcvv

الأمثلة :

القاضى <

الوالى <

١٠ - النمط cvccvvcvcvv

الأمثلة :

الخائن

الحاصل

المهاجر < التلميذ <

التاجر < الثرى <

الظالم

١١ - النمط cvccvcvcvcvv

مثال :

المبذر <

(ب) كلمات أصلها إسم مفعول وتأتى  
على الأنماط التالية

١ - النمط cvccvvcv

مثال :

مراد <

٢ - النمط cvccvvcv

مثال :

مستور <

muraadi

mastuuri



٣ - النمط cvcvvcvvcv وهو الغالب :

|         |   |     |
|---------|---|-----|
| ?izinii | < | إذن |
| darasii | < | دوس |
| faralii | < | فرض |
| lafazii | < | لفظ |
| sihrii  | < | سحر |

٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| bayaani | < | بيان |
| fasaadi | < | فساد |
| jidaali | < | جدال |
| jihaadi | < | جهاد |
| salaati | < | صلاة |
| sukuuni | < | سكون |

٤ - النمط cvvcvvcv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| taakiidi | < | تأكيد |
| taasiiri | < | تأثير |
| taahiiri | < | تأخير |
| taariihi | < | تأريخ |
| taawiili | < | تأويل |

٥ - النمط cvcvvcvvcv

الأمثلة :

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| tadabiiri | < | تدبير |
| tadaliisi | < | تدليس |
| tajawaali | < | تجوال |
| takadiiri | < | تقدير |
| takaliifi | < | تكليف |
| takaraari | < | تكرار |

مخلوق < mahaluuki

مقبول < makabuuli

مقصود < makasuudi

مكتوب < makatuubi

مصروف < masaruufi

مشغول < mashaguuli

مشهور < mashahuuri

٤ - النمط cvcvccvvcv

الأمثلة :

ملود < madawwarii

مكسر < makassarii

محرم < muharramii

مربع < murabba?ii

(ج) كلمات عربية مقترضة أصلها مصدر وتأتي على الأنماط التالية ، وهي الأكثر استعمالاً في اللغة :

١ - النمط cvccv

الأمثلة :

عيب < ?aybi

حد < haddi

نص < nassi

صوت < sawti

سر < sirri

٢ - النمط cvcvvcvv

الأمثلة :

أمر < ?amarrii

|         |   |      |
|---------|---|------|
| ?abalii | < | أهل  |
| ?ajamii | < | عجمي |
| kabarii | < | قبر  |
| subu?ii | < | سبع  |
| sulusii | < | ثلاث |
| tumunii | < | ثمن  |

### ٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|         |   |      |
|---------|---|------|
| ?asaasi | < | أساس |
| daliili | < | دليل |
| haraaji | < | خراج |
| zabiibi | < | زبيب |

### ٤ - النمط cvccvcvv

الأمثلة :

|          |   |      |
|----------|---|------|
| ?awwalii | < | أول  |
| daftarii | < | دفتر |
| darhamii | < | درهم |
| hinsarii | < | خنصر |
| haykalii | < | هيكل |
| hawdajii | < | هودج |

### ٥ - النمط cvccvvcv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?ikliimi | < | إقليم |
| bandiiri | < | بندير |
| barraadi | < | براد  |
| kaftaani | < | قفطان |
| sunduui  | < | صندوق |

### ٦ - النمط cvccvvcv

الأمثلة :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?inkaari | < | إنكار |
| ?inzaali | < | انزال |
| tafsiiri | < | تفسير |
| talqiini | < | تلقين |
| tartiibi | < | ترتيب |
| tawhiidi | < | توحيد |

### ٧ - النمط cvccvcvcvv

الأمثلة :

|            |   |       |
|------------|---|-------|
| ta?ammalii | < | تعامل |
| ta?annutii | < | تعنت  |
| taḍawwu?ii | < | تطوع  |
| talawwamii | < | تلاوم |
| tasarrufii | < | تصرف  |
| tawakkalii | < | توكل  |

(د) كلمات أصلها اسم جامد وتأتي على الأنماط التالية وهي أكثر الأنماط شيوعاً في اللغة :

### ١ - النمط cvccv

الأمثلة :

|        |   |     |
|--------|---|-----|
| ?irlii | < | عرض |
| harfi  | < | حرف |
| jinsi  | < | جنس |
| miski  | < | مسك |

### ٢ - النمط cvccvcvv

الأمثلة :

|         |   |     |
|---------|---|-----|
| ?inabii | < | عنب |
|---------|---|-----|

(هـ) كلمات أصلها صيغة وتأتي على  
الأنماط التالية وهي أكثر الأنماط شيوعاً :

١ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| ?amiini | < | أمين  |
| ?aniidi | < | عنيد  |
| bahiili | < | بخيل  |
| baliidi | < | بليد  |
| jamiili | < | جميل  |
| kariimi | < | كريم  |
| laruuri | < | ضروري |

٢ - النمط cvcvccv

الأمثلة :

|         |   |     |
|---------|---|-----|
| ?aduwwi | < | علو |
| muhimmi | < | مهم |

ويلاحظ مما سبق أن حركة الكسرة تطول  
وتقصر في التتابعات التالية :

١ - التتابع cvcc - في نهاية الكلمة  
تسود في نهايته حركة الكسرة القصيرة على  
النحو التالي :

|           |   |       |
|-----------|---|-------|
| ?aduwwi   | < | علو   |
| ?al?arshi | < | العرش |
| ?almiski  | < | المسك |
| haddi     | < | حد    |
| haḍḍi     | < | خط    |
| muhimmi   | < | مهم   |
| mulki     | < | ملك   |
| sirri     | < | سر    |

٢ - التتابع cvvc - في نهاية الكلمة  
تسود في نهايته حركة الكسرة القصيرة على  
النحو التالي :

|          |   |       |
|----------|---|-------|
| ?annuuri | < | النور |
| haali    | < | حال   |
| jawaabi  | < | جواب  |
| mataa?i  | < | متاع  |
| sadaaki  | < | صداق  |

٣ - التتابع cvc - في نهاية الكلمة تسود  
في نهايته حركة الكسرة الطويلة على النحو  
التالي :

|            |   |             |
|------------|---|-------------|
| ?asalii    | < | أصل         |
| ?al?ajabii | < | العجب       |
| badalii    | < | بادل        |
| baharii    | < | بحر         |
| madadii    | < | مدد         |
| samanii    | < | ثمن         |
| shakalii   | < | شكاه < حركة |
| tumunii    | < | ثمن         |
| zaamanii   | < | زمن         |

٤ - يأتي التتابع ccii - أو cvvcii في نهاية  
الكلمة المقترضة إذا كانت تنتهي بياء  
النسب على النحو التالي :

|           |   |        |
|-----------|---|--------|
| hindii    | < | هندي   |
| sunnii    | < | سني    |
| bunkaarii | < | بخاري  |
| hawaa?ii  | < | هوائي  |
| rawhaanii | < | روحاني |



وقد شذ عما سبق الكلمات التالية :

|       |   |          |
|-------|---|----------|
| العار | < | la?aarii |
| مشاهد | < | masaydii |

### ٣ - حركة الضمة :

تأتي حركة الضمة في نهاية عدد محدود من الكلمات على النحو التالي :

( أ ) كلمات أصلها مصدر وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcv

الأمثلة :

|     |   |        |
|-----|---|--------|
| حقق | < | hiqidu |
| جمع | < | jama?u |
| نقص | < | naqasu |
| يأس | < | ya?asu |

٢ - النمط cvccv

الأمثلة :

|     |   |        |
|-----|---|--------|
| بيت | < | baytu  |
| فرق | < | farqu  |
| صلح | < | sulhu  |
| سم  | < | sammu  |
| شرك | < | shirku |
| ظلم | < | zulmu  |

٣ - النمط cvcvvcv

الأمثلة :

|       |   |         |
|-------|---|---------|
| أمان  | < | ?amaanu |
| فداء  | < | fidaa?u |
| قراءة | < | karaatu |

٤ - النمط cvccvvcv

مثال

< التعب ?attaabu

٥ - النمط cvccvvcvvcv

مثال :

< السلام ?assalaamu

( ب ) كلمات أصلها اسم جامد وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcvcv

مثال :

< نحو nahawu

٢ - النمط cvc/vcv

مثال :

< سماء samaa?u

٣ - النمط cvvcvvcv

مثال :

< آلات ?aalaatu

٤ - النمط cvccvvcvvcv

مثال :

< الحبيب ?ljiifuu

٥ - النمط cvccvcv

مثال :

< الحزر ?algazaru

٦ - النمط cvcvccvvcv

الأمثلة :

< زبرجد zabargadu

< زمرد zumurrudu

#### ٤ - السكون :

تنتهى بعض الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا ، بصوت صامت . وأكثر هذه الكلمات مقترضة من اللهجة العامية ، وأكثرها ينتهى بصوت النون أو الراء حيث يشيع استعمال هذين الصوتين كأداة لربط بعض الكلمات ببعضها في حالات معينة : وقد أمكن تصنيف الأصوات الصامتة في نهاية الكلمات المقترضة على النحو التالي :

#### ١ - صوت النون :

( أ ) يأتي في حالة اقتراض الكلمة منتهية بنون التنوين كما هو واضح في الأنماط الآتية .

#### ١ - النمط cvccvn

#### الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| battan  | < | باتاً |
| hakkan  | < | حقاً  |
| hayyan  | < | حياً  |
| hayran  | < | خيراً |
| shay?an | < | شيئاً |

#### ٢ - النمط cvcvcvn

#### الأمثلة :

|         |   |       |
|---------|---|-------|
| ?abadan | < | أبداً |
| ajaban  | < | عجباً |
| dafa?an | < | دفعاً |
| masalan | < | مثلاً |

#### ٣ - النمط cvcvcvcvn

#### الأمثلة :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| hanii?au | < | هنيئاً |
| misaalin | < | مثال   |
| muraaran | < | مراراً |

#### ٤ - النمط cvvcvcvn

#### مثال :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| waalihan | < | واضحاً |
|----------|---|--------|

#### ٥ - النمط cvvcvcvcvn

#### مثال :

|           |   |      |
|-----------|---|------|
| ?aabaadin | < | آباً |
|-----------|---|------|

#### ٦ - النمط cvccvcvcvn

#### مثال :

|          |   |        |
|----------|---|--------|
| sarmadan | < | شرمداً |
|----------|---|--------|

#### ٧ - النمط cvvccvcvcvn

#### الأمثلة :

|           |   |      |
|-----------|---|------|
| kaaffatan | < | كافة |
|-----------|---|------|

#### ٨ - النمط cvvcvcvcvcvn

#### مثال :

|            |   |        |
|------------|---|--------|
| saata?izin | < | ساعتئذ |
|------------|---|--------|

(ب) تأتي في نهاية العقود من عشرين إلى تسعين على النحو التالي :

|           |   |    |
|-----------|---|----|
| ?ishiriin | < | ٢٠ |
| talatiin  | < | ٣٠ |
| ?arba?iin | < | ٤٠ |
| hamsiin   | < | ٥٠ |

١ - النمط cvr  
مثال :

mur < مر

zur < زور

٢ - النمط cvcvr  
الأمثلة :

bafur < بنفور

kamar < مثل

sukar < سكر

٣ - النمط cvvcvr  
مثال :

saahuur < سحور

٤ - النمط cvccvr  
الأمثلة :

?akbar < أكبر

?askar < عسكر

٥ - النمط cvcvcvr  
مثال :

?azahar < الظهر

٦ - النمط cvcvcvcvr  
مثال :

muhutalar < مختصر

٣ - كلمات تنتهي بصوت الباء :

الأمثلة :

?alkazib < الكذب

?anab < عنب

sittiin < ٦٠

saba?iin < ٧٠

tamaniin < ٨٠

tas?iin < ٩٠

(ج) كلمات تنتهي بصوت النون وتأتي على الأنماط التالية :

١ - النمط cvcvn

مثال :

kaman < مثالا

٢ - النمط cvvcvn

الأمثلة :

baayan < بين < خلف  
laakin لكن

٣ - النمط cvccvvn

الأمثلة :

rumnaan < رمان

sulḍaan < سلطان

shayḍaan < شيطان

zaytuun < زيتون

٤ - النمط cvccvcvvn

مثال :

turjumaan < ترجمان

٥ - النمط cvcvcvcvvn

مثال :

za?afaraan < زعفران

٢ - صوت الراء :

وتأتي الكلمات على الأنماط التالية



٧ - كلمات تنتهى بصوت الميم :

|         |   |        |
|---------|---|--------|
| haram   | < | حرم    |
| liimaam | < | الامام |

### الخلاصة :

خلاصة البحث أن الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا ، تنقسم من حيث الحركة النهائية إلى قسمين :

القسم الأول : وهو أسماء الأعلام وتسود حركة الضمة القصيرة في نهايتها ، فيما عدا الأسماء التي تنتهى بتاء التانيث أو ألف التانيث الممدودة حيث تبقى حركة الفتحة بعد حذف التاء ، وحركة الفتحة الطويلة بعد حذف الهضرة ، أو أسماء الأعلام التي وردت في القرآن الكريم كثيراً في حالة النصب بالفتحة ، بينما تأتي الأعلام التي تقع في موقع المضاف إليه منتهية بحركة الكسرة وكذلك الأعلام التي تنتهى بحركة الكسرة الطويلة .

أما القسم الثاني وهو الكلمات التي ليست بأسماء أعلام فتسود فيها حركة الكسرة الطويلة أو القصيرة حسب حركة المقطع قبل الأخير من الكلمة . ففي حالة وجود التتابع cvcc - أو cvvc - تأتي حركة الكسرة القصيرة في نهاية الكلمة ، أما في حالة وجود التتابع cvc - فتسود حركة الكسرة الطويلة في نهاية الكلمة . أما التتابعان ccii - و cvvci - فيأتيان إذا كانت الكلمة تنتهى بياء النسب .

الأدب < ladab

صدف < sadab

٤ - كلمات تنتهى بصوت التاء :

|       |   |     |
|-------|---|-----|
| fakat | < | فقط |
| tamat | < | تحت |

٥ - كلمات تنتهى بصوت السين :

|             |   |          |
|-------------|---|----------|
| ?albaras    | < | البرص    |
| ?algaragiis | < | الغراقيش |
| ?alhamiis   | < | الحميس   |
| ?alkubus    | < | الحبز    |
| bas         | < | بس       |
| makadas     | < | مقاس     |

٦ - كلمات تنتهى بصوت اللام :

|          |   |            |
|----------|---|------------|
| battaal  | < | بطل        |
| filfil   | < | فلفل       |
| fijil    | < | فجل        |
| fil?azal | < | في الأزل   |
| ratal    | < | رطل        |
| riiyaal  | < | ريال       |
| sandal   | < | خشب الصندل |
| zawwal   | < | زوال       |

الكلمة ، وكانت الحركة السابقة على المقطع المحذوف هي حركة الفتحة ؛

٤ - الكلمات المنتهية بالألف المقصورة ؛

وإذا كانت حركة الضمة تسود في نهاية أسماء الإعلام إلا أنها تأتي في نهاية عدد محدود جداً من الكلمات الأخرى ، شأنها في ذلك شأن الكلمات المنتهية بصوت صامتة ويمكن القول أن الكلمات التي تنتهي بحركة الفتحة والسكون تعتبر دليلاً على انتقالها عن طريق العامية وليس عن طريق اللغة العربية الفصحى .

أما حركة الفتحة فتأتي في نهاية الكلمة العربية المقترضة غير مشروطه في كلمات معادودة ، وتأتي مشروطه في حالات كثيرة وهي الحالات الآتية :

١ - في نهاية الكلمات المبهمة على الفتحة مثل الفعل الماضي وبعض الأدوات والظروف وحروف الجر ؛

٢ - في حالة انتهاء الكلمة بشاء التأنيث المحدودة ، حيث تحذف التاء في الحالة الأولى والهمزة في الحالة الثانية وتبقى حركة الفتحة السابقة على المحذوف ؛

٣ - في حالة حذف المقطع الأخير من

مصطفى حجازي السيد  
الأستاذ بمعهد البحوث والدراسات  
الإفريقية بجامعة القاهرة



- Abraham : Dictionary of the Hausa Language, University of London press , 1973
- Ahmed , Umar Balarabe : Bora da Mora N.N.P.C
- Balew , Abubakar Tafawa : Shaihu Umar N.N.P.C 1937
- Bamalli , Nuhu : Bala Da Babiya N.N.P.C 1973
- Bello , Walin Katsina : Gandoki N.N.P.C 1973
- Dembo , Umar : Wasannin Yara N.N.P.C 1972
- Gogge , Adamu and Dauda Kano : Tabarmar Kunya, N.N.P.C 1973
- Imam, Abubakar : 1. Magana Jari ce I, II, III N.N.P.C 1973  
2. Ruwan Bagaja N.N.P.C 1973
- Ingawa , Ahmadu 3. Iliya Dan Maikarfi N.N.P.C 1973
- Ka'oje , Abdulahi : Dare Daya N.N.P.C 1973
- Makarfi , Shu'aibu : Jatau Na Kyallu N.N.P.C 1970
- Rimmer , Ahmadu Ingawa and Abu Musawa and Yakubu Auna : Zaman mutum da sana'arsa N.N.P.C 1970
- Tunau , Abubakar : Wasan Marafa Wusasa Tafida Jiki Magayi N.N.P.C 1973
- Yahaya , Ibrahim Yaro : Daren sha Biyu N.N.P.C 1971
- : Karamin Sani I, II, N.N.P.C 1973
- : Ka kara Karatu N.N.P.C 1971
- : Ka yi ta Karatu N.N.P.C 1973



# ظاهرة الإبدال في العربية بين القصار والمحسين (٢)

للككتور محمد حماسة عبد اللطيف

**الناس :**

حروف الإبدال  
والإبدال :

إبدال الحروف بعضها من بعض - بمعناه  
الواسع - يقع على أنواع مختلفة يمكن أن  
نصنفها على الوجه الآتي :

١ - الإبدال التصريفي .

٢ - الإبدال اللهجي .

٣ - الإبدال الشاذ .

٤ - إبدال الضرورة الشعرية .

وكل منها في حاجة إلى شيء من التفصيل  
على أن الذي يعنيننا من هذه الأنواع هو  
النوع الأول أي البديل التصريفي وها هي  
هذه الأنواع :

(١) الإبدال التصريفي :

وهو الذي تبدل الحروف فيه بعضها  
من بعض لعل تصريفية ، أي أن البديل فيها

يخضع لقوانين صوتية خاصة ، وهذا  
النوع تنطبق قوانينه على اللغة المشتركة (١)  
كلها ولذلك يمثل فيها ظاهرة تستحق  
الدراسة ، وقد حدده الرضي فيما نقله عنه  
الأشموني بأنه هو « ما لم يبدل أوقع  
في الخطأ أو مخالفة الأكثر ، فالموقع في الخطأ  
كقولك في : مال : مول ، والموقع في  
مخالفة الأكثر كقولك في سقاعة : سقاية (٢) » .

والحروف التي يقع فيها هذا النوع ثمانية  
أحرف هي : الهمزة والواو والألف والياء ،  
والدال والطاء والتاء والميم . وقد جمعها ابن مالك  
في كتابه تسهيل الفوائد في قوله « طويت  
دائماً (٣) » ووصف هذه الحروف بأنها  
ضرورية للتصريف ، أي أنها هي التي تقع

(١) « اللغة المشتركة » مصطلح بين دارسي اللغة المحدثين يقصد به اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وقيل بها  
الشعر الجاهلي وهي اللغة التي يفهمها كل عربي من قبيلة قد تتخاطب بلهجة تتفق أو تختلف مع اللهجة الأم أي اللغة المشتركة .

(٢) انظر : شرح الأشموني ٢٨٣-٤ .

(٣) انظر : تسهيل الفوائد ص ٣٠٠ وقد أشار ابن مالك مرة أخرى إلى هذه الحروف بعبارة زاد فيها الهاء  
وذلك في ألفيته الشهيرة إذ يقول : « أحرف الإبدال هذات موطيا » وذلك لأن الهاء تبدل من التاء في الوقف ، فإذا  
وقفت على كلمة مثل : فاطمة ومسلمة ومجتهدة إلى آخره قلبت تاء التانيث في الوقف هاء ، ومجال دراسة هذه الحالة هو  
باب الوقف .

تحت طائفة القواعد الصرفية بمعنى أن يقال مثلاً : إذا وقعت تاء الافتعال بعد حرف من حروف الإطباق قلبت طاء مثل اضطرب فهذه قاعدة عامة لا تتخلف في كل صيغ الافتعال ، وكان يقال مثلاً : إذا وقعت الواو أو الياء عينا لاسم فاعل فعل ثلاثي أعلت في ماضيه قلبت همزة مثل : قائل وبائع ، فهذه أيضا قاعدة لا تتخلف في كل اسم فاعل توافر في ماضيه هذا الشرط ، وهكذا :

ويستطيع المتكلم باللغة أن ينطق بكل ما حدث فيه هذا الضرب من الإبدال أو الإعلال دون أن يقوم في نفسه سببه أو يعرف غايته ، لأنه ينطق باللغة على عادته وكما سمعها ، والذين استخلصوا هذه القواعد هم الصرفيون ، والغرض من هذه القواعد - كما يقول أبو علي الفارسي - إنما هو ليأخذ من ليس من أهل اللغة بأهلها ويستوى من ليس بفصيح ومن هو فصيح (١) .

وبيان ذلك أن المتكلم بالعربية إذا صاغ اسم الفاعل من قام قال : قائم ، ولكن غير المتكلم بها ممن يحاولون تعلمها لا يجرى ذلك على لسانه دون أن يتعلم أن عين اسم الفاعل إذا كانت واواً - كما في هذا الفعل - تقلب همزة ، فالقواعد

التصريفية الخاصة بهذا النوع من أنواع الإبدال إنما هي لوصف خصائص هذه الظاهرة فتعين المتكلم بالعربية على تفسيرها ، وتعين المتعلمين لها على كيفية النطق وإيجادها .

( ب ) النوع الثاني هو ما يمكن أن يسمى « الإبدال اللهجي » :

ونقصد به ذلك النوع الذي لا يخضع لقاعدة تصريفية في اللغة المشتركة ، بل يخضع لمادة نطقية خاصة بأبناء لهجة معينة ويترد في هذه اللهجة المعينة دون أن يتمكن من التسرب إلى مستوى اللغة المشتركة بل يظل مقصورا على استعمال هذه اللهجة فحسب :

ومن هذا النوع إبدال الياء المشددة جيا في الوقف كقول الراجز :  
خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجٍ  
المطعمان اللحم بالعشج  
وبالغداة كتل البرنج  
يُقْلَعُ بالود وبالصيصج (٢)

وهذه الظاهرة - وأعني بها إبدال الياء المشددة جيا - من خصائص لهجة « قضاعة » وتسمى « العجعة » أو « عججة قضاعة » وربما أبدلوا الحيم من الياء في غير الوقف كقولهم في « الأيئل » : الأجل ، وقد يبدلون

(١) ابن جني : « المنصف شرح التصريف ٢٧٩/١ .

(٢) أبو عليج : أبو علي ، العشج ، البرنج : البر في نوع من التمر ، الصيصج : الصيصي ، وهو قرن البقر ، والكتل : جمع كتلة وهي القطعة المجتمعة .

الياء غير المشددة جيا أيضا كقول الراجز :

لَاهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَبْلَتْ حَجَّتْجُ  
فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ بِأَتَيْكَ بَسِجُ  
أَقْمَرُ نَهَاتٍ يَنْزَى وَفَرِجِجُ<sup>(١)</sup>

فالياء في كل من : «حججى ووفرقي وبنى»  
غير مشددة لأنها ياء المتكلم ومع ذلك أبدلت  
جيا .

ومن هذا النوع من الإبدال اللهجى  
«العنينة» فى لهجة قيس وتميم ، وهى إبدال  
الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون فى إنك عنَّك  
وفى أسلم : عسلم ، وفى أذن : عذن .

ومن هذا النوع «الفحفة» فى لغة هذيل  
وهى جعل الحاء عينا فى هذه اللهجة ، وقد  
قرئ قوله تعالى : «حتَّى حين» «على لهجتهم  
«عنى عين» ولعل هذا ضرب من المبالغة  
فى نطق الحاء ، لأن العين أدخل فى الحلق  
من الحاء .

ومن ذلك أيضا «الكشكشة» فى لهجة  
تميم وهى إبدال كاف الخطاب للمؤنثة  
شينا كقولهم فى خطاب المؤنثة المفردة :

ما الذى جاء بش ؟ يريدون : بك ، وقراءة  
بعضهم ( قد جعل رَيْشٍ تحتشٍ سَرِيًّا<sup>(٢)</sup> ) .

ومن ذلك أيضا «الكسكسة» فى لهجة  
بكر وهم يبدلون كاف الخطاب للمؤنثة  
سينا كقولهم فى خطاب المؤنثة : أبوس  
بدلا من : أبوك ، وفى أملك يقولون : أمس :

وهذا الضرب من الإبدال اللهجى كثير  
متعدد وليس هنا مجال دراسته أو عرضه<sup>(٣)</sup>  
لأن هذا النوع — كما يقول الرضى — «جدير بأن  
يذكر فى كتب اللغة لا فى كتب التصريف»<sup>(٤)</sup>  
فليس هذا النوع — إذن — من مباحث الإبدال  
التصريفى الذى نحن بصدد دراسته .

#### (ج) والنوع الثالث هو الإبدال الشاذ :

وهذا النوع مثل سابقه من حيث إنه  
لا يخضع لقاعدة تصريفية خاصة بمعنى أنه  
لا يمكن معه القول بأنه كلما كان كذا كان  
كذا ، غير أنه لا يرتبط باستعمال لهجى خاص  
أى أن كتب اللغة لم تنقله لنا بوصفه  
استعمالا للهجة قبيلة مخصوصة ، ولذلك  
فهو لا يطرد فى بابيه بل يتوقف فيه على  
حدود ما ورد ، ولا يمكن القياس عليه أو  
التوسع فيه .

(١) الشاحج : البغل ، الأقمر : الأبيض ، النهات : الصياح والنهاق ، ينزى : يحرك ، والوفرة : شعر  
الرأس إذا بلغ شحمة الأذن .

(٢) الآية ٢٤ من سورة مريم ( فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ) أنظر فقه اللغة للشعالى  
١١٤ ، ١١٥ ( الطبعة الأولى سنة ١٩٢٣ م ) وشرح الأشموني ٢٨٢/٤ .

(٣) انظر : سر الصناعة ٢٣٤/١ المزهر للسيوطى ٢٢١/١ ، والصاحبى لابن فارس ص ٢٧/١٩ ولهجات  
العرب للمرحوم أحمد تيمور اللوقوف على عدد من هذه اللهجات .

(٤) انظر هذه العبارة — وقد نقلها الأشموني من شرح الكافية للرضى — فى الأشموني ٢٨٢-٤ .



ومن ذلك إبدال اللام من النون في كلمة  
أصيلان في مثل قول النابغة :

وقفت فيها أصيلانا أسائلها

عيّت بجوابها وما بالربيع من أحد

يقول سيبويه « وقد أبدلوا اللام من  
النون وذلك قليل جدا ، قالوا : أصيلا  
ولمّا هو أصيلاان » (١) .

ومن ذلك إبدال اللام من الضاد في قول  
منظور بن سحبة الأسدي :

لما رأى أن لا دعه ولا شيع

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

وأصل « فالطجع » : فاضطجع ، أبدلت  
الضاد لاما إبدالاً شاذاً .

من ذلك إبدال الهمزة هاء كقولهم  
هياك في إياك ، و « لهنك قائم » في « لإنك  
قائم » (٢) ، وهرقت الماء في : أرقت الماء  
وهردت الشيء في أردت الشيء ، وهرحت  
الدابة في أرحت الدابة ، يقول سيبويه :  
« وقد أبدلت ( الهاء ) من الهمزة في  
هرقت وهرمت وهرحت الفرس تريد  
أرحت » ويقول أيضاً : « ويقال إياك  
وهياك » (٣) .

( د ) النوع الرابع فهو إبدال الضرورة  
الشعرية :

وهو الذي يقع في الشعر من أجل إقامة  
الوزن أو القافية ، ويلاحظ أن الأمثلة  
التي ساقها الصرفيون في هذا المجال يقع  
فيها الإبدال في الحرف الأخير من الكلمة بأن  
يبدل ياء ، وذلك كما في قول النمر بن تولب  
الشكري :

لها أثارير من لحم تتمره  
من الشعالي وونخر من أرائها

فقد أبدل من الياء في كلمة الشعالب ياء  
ومن الباء في كلمة أرائها ياء كذلك ،  
وقد أبدلت العين من كلمة « الضفادع »  
ياء في قول الشاعر :

ومنهل ليس له خوارق

والضفادى جمة نقائق

وقد أبدلت الحروف الأخيرة من الكلمات :  
الثالث والخامس والسادس ياء في الشواهد  
الآتية :

قد مرّ عامان وهذا الشّالي

وأنت بالهجران لا تبالي

وقول الآخر :

مضت ثلاث سنين منذ حلّ بها

وعام حلت وهذا التابع الخام

(١) سيبويه : ٣١٤-٢ .

(٢) في مثل هذا التركيب تتأخر اللام إلى خبر إن وتسمى اللام المزحلقة ، ولكنهم لم يبالوا بهذا لاختلاف  
الصورة في « لهنك قائم » .

(٣) سيبويه : ٣١٣-٢ .

## وقول الآخر :

إذا ما عدّ أربعة فسأل

فزوجك خامس وأبوك سادى<sup>(١)</sup>

واعتبار هذا النوع من إبدال الضرورة الشعرية هو رأى سيبويه وبعض النحاة الذين اتبعوه ، ويفسر سيبويه ذلك بأن الشاعر احتاج فى قوله :

ولضفادى جمّة نقانق

إلى حرف يكون ساكنا من أجل إقامة الوزن ولما كانت العين فى كلمة (ولضفادى) لا يصح أن تكون ساكنة ، لأنها ليست فى الوقف ، بل يجب أن تكون هنا مجرورة فقد أبدلها الشاعر ياء ، لأنها حرف يمكن أن يكون ساكنا<sup>(٢)</sup> ، ويقول المبرد : «واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى إسكان حرف مما هو متحرك فلم يصلوا إلى ذلك أبدلوا منه الياء إن كانت قبله كسرة ، لأن الياء إذا كانت كذلك ( أى قبلها الكسرة ) لم تحرك فيسلم الإعراب ويصح الوزن<sup>(٣)</sup>»

ويرى بعض النحاة أن هذا النوع ليس من الإبدال للضرورة الشعرية ، بل هو من الترخيم فى غير النداء للضرورة .

ويرى فريق ثالث أن هذا النوع ليس من إبدال الضرورة الشعرية وليس من الترخيم

فى غير النداء للضرورة ، ولكنه من « البديل غير المقيس » أى من البديل الشاذ فهم بذلك يدرجون هذا النوع تحت النوع السابق . ويرى فريق رابع أن هذه الكلمات صيغ مستعملة بجوار الصيغ الأخرى فكل من الثالث والثالى ، والخامس والخامى ، والسادس والسادى كلمة مستعملة جنب الأخرى ، دون أن يكون ثمة بدل ومبادل منه ، ولعل الإبدال كان فى فترة سابقة ، بحيث نسيت ولا يمكن معها أن تعد إحداهما أصلا والأخرى فرعاً ، وإلى هذا رأى ذهب ابن السكيت<sup>(٤)</sup> ، ولذلك عده ابن سيده فى الخصاص<sup>(٥)</sup> لغة .

ولعلك قد أدركت بعد عرض هذه الأنواع الأربعة من الإبدال أن النوع الأول منها وهو الإبدال التصريفى هو الذى يندرج تحت طائفة علم الصرف ، ولذلك يجب الرجوع إليه مرة أخرى لنتعرف حروفه التى يقع فيها هذا النوع من الإبدال ونحاول أن ندرس خصائصها .

### أولاً : حروف الإعلال :

بالتعريف الذى سنأخذ به فى الإعلال تكون حروف الإعلال هى : الألف والواو والياء والهمزة .

وللصرفيين العرب نظرة خاصة إلى الهمزة إذ يلحقونها بأحرف العلة الثلاثة ، فهم

( ١ ) انظر هذه الشواهد فى المفصل للزخشرى ٣٦٤ وما بعدها وجمع الهوامع للسيوطى ١٥٧/٢ .

( ٢ ) انظر سيبويه ٣٤٤/١ . ( ٣ ) المقتضب للمبرد : ٢٤٧/١ .

( ٤ ) انظر لإصلاح المنطق ٣٠١ . ( ٥ ) أنظر : الدرر الدامع ٢١٢/٢ . ( ٦ ) سيبويه ١٦٥/٢ .

يقولون إنها أخت لحروف العلة اللاتي هن أمهات البدل والزوائد وكان الخليل بن أحمد يسميها الحروف الهوائية ويقول سيديويه : « فأبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات لأنها أنخوات ، وهي أمهات البدل والزوائد ، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها ، وليس حرف أقرب إلى الهمزة من الألف ، وهي إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضا مع شركتهما أقرب الحروف منها<sup>(١)</sup> ونص سيديويه يجعل هذه الأصوات الأربعة ( الألف والواو والياء والهمزة ) أنخوات ولعل هذا مما يسوغ البديل بينها »

والواو والياء والألف تسمى حروف المد واللين ، وهي متقاربة المخرج ، إذ ينطلق في نطقها الهواء خارجا من الرئتين لا يعترضه شيء ولا يشكل نطق كل منها إلا حركة الفم ، ويمكن مع التراخي بعض الشيء في نطق إحداها أن تتحول إلى الأخرى يقول ابن جني في وصف مخارج هذه الأحرف الثلاثة : « والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذي يجري

في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال »

أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ، وتفاج ( أي تباعد ) الحنك عن ظهر اللسان ، فيجري الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما<sup>(٢)</sup> استطال »

وأما الواو فتتضخم لها معظم الشفتين وتلدغ بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت .

فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصنادير<sup>(٣)</sup> .

فالأصوات الثلاثة مخرجها واحد وصفاتها متقاربة ، والهمزة أخت لها كما يقرر سيديويه ولهذا السبب ساغ البديل بينها ، وسوف نحاول أن نتناول كل واحد منها على حدة »

(١) أنظر العين ٦٤/١ .  
(٢) ( ما ) هنا زائدة ، ويكثر هذا في أسلوب ابن جني .  
(٣) ابن جني : سر الصناعة ٩٤٨/١ .



## ١ - الألف :

صوت الألف لا يكون إلا حرف مد ، ولا يقبل الحركة بحال ، لأنه هو نفسه - كما يرى علماء اللغة المحدثون والقدماء أيضا - فتحة طويلة هـ

والصرفيون العرب يرون أن الألف حركة طويلة ، وذلك لأنهم يقولون إن الحركات ( الفتحة والكسرة والضمة ) أبعاض حروف المد واللين ، غير أنهم لا يعاملونها على أنها كذلك ، وذلك لأن الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية ، وبناء الكثير من كلماتها على أصول ثلاثية قد تكون الألف واحدا منها ، وصيرورة هذه الألف في تقلبيات الكلمة إلى واو أو ياء تجعل من الصعب القول بأن حروف المد واللين لا تكون إلا حركات في حالة كونها مدودة ، فإذا قلنا مثلا : إن (باع ) مكونة من مقطعين :

ب + فتحة طويلة + ع + فتحة قصيرة

فإن هذا - مع صحته صوتيا - يصطدم مع التقلبيات الأخرى مثل : البَيْع والْبَيْاع والبَيْع ، والبَائِع ، وِبيِع ، وتَبَاع ، وبَائِع ، ومُسَبَّاعَة وغيرها من الصيغ المأخوذة من مادة ( البيع ) أو من الجذر الثلاثي ( ب ي ع ) هـ

نحن - إذن - مضطرون أمام هذه الخاصية الاشتقاقية لما يسمى بالأسرة اللغوية

للجندر وتفريعاته في اللغة العربية أن نقول إن الألف الموجودة في ( باع ) ليست إلا أصلا من أصول الكلمة وهي منقلبة عن ياء ، ولا تكون الألف نفسها أصلا من أصول الكلمة فإذا وجدت أصلا في كلمة ما ، فإنها حينئذ تكون منقلبة عن واو أو عن ياء ، فالألف في نحو : قال ، صام ، قام ، طال ، طاف ، راح ، صال ، جال ، أصلها الواو - والألف في نحو : باع ، سال ، مال ، بات ، صار ، جاء أصلها الياء :

والألف في نحو : دعا ، دنا ، رجا ، سما ، نما أصلها الواو هـ

والألف في نحو : سعى ، رعى ، بنى ، هذى أصلها الياء هـ

وقد انقلبت الواو والياء في كل هذه الكلمات ألفا ، لأن الواو حرف من حروف المادة المعجمية لكل الكلمات التي يرى الصرفيون أن الألف منقلبة عنها فيها ، وكذلك الياء هـ

وبخلاصة هذا كله أن الألف في نظر علماء الصرف قد تكون أحد أصول الكلمة غير أنها تكون منقلبة عن ياء أو عن واو ، وقد تكون زائدة في مثل : قاوم وساوم وباع وقائم الخ ، ولا يمنعهم هذا من النظر إليها على أنها فتحة طويلة أخذت منها الحركة القصيرة وهي الفتحة لأن الحركات أبعاض حروف المد واللين ،

فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدما. والنحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة<sup>(١)</sup> .

### ٢ ، ٣ - الواو والياء :

للواو والياء حالتان :

أولاهما : أنهما قد يكونان حركتين طويلتين كما في : أدعو وأرجو ونسمو ونشكو ويرمى ويجرى ويهلى والداعى والقاضى فكل من الواو والياء في هذه الأمثلة عبارة عن حركة طويلة فالواو ضمة طويلة ، والياء كسرة طويلة ، ولا فرق بين الكسرة القصيرة والكسرة الطويلة إلا كمية الطول ، وكذلك لا فرق بين الضمة القصيرة والضمة الطويلة إلا كمية الطول فحسب .

ثانيهما :

هى أن كلا من الواو والياء قد تعامل معاملة الأصوات الصامتة وذلك إذا تحركتا في مثل ولد ، ويكتب فكل من الواو والياء في المثال المذكور قائم بوظيفة يقوم بها الصوت الصامت فليست كل منهما في مثل المثال المذكور ( حرف مد ) أو حركة طويلة ومما يؤيد أن الواو والياء

في هاتين الكلمتين ( ولد - يكتب ) وأمثالهما تؤديان وظيفة الأصوات الصامتة أنهما - كالأصوات الصامتة تماما - متبوعتان بحركات ؛ أى أن الواو بحركة بالفتحة وكذلك الياء فلا يمكن عدما هما أنفسهما حركات في هذا المثال :

فإذا تحركت الواو والياء في مثل ولد ، وعد ، وثب الخ ويكتب ، يترك الخ ، وكذلك إذا وقعتا ساكنتين في مثل حوض ثوب وبيت وغيظ فإنهما يكونان من الأصوات الصامتة ، يقول الدكتور كمال بشر : « ومعنى هذا أن الواو والياء في اللغة العربية من الأصوات الصامتة في سياقين صوتيين معينين هما :

١ - إذا أتبعتهما الواو والياء بحركة من أى نوع ( أى إذا حركت كل منهما ) :

٢ - إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة : ولكن يجب ألا ننسى أنهما في هاتين الحالتين لهما شبه نطقى بالحركات كما أن لهما شبا وظيفيا بالأصوات الصامتة - من جهة أخرى - ولهذا يطلق عليهما العلماء في هاتين الحالتين « أنصاف الحركات » ويرى الدكتور بشر أنه من الممكن أن يسميا أنصاف صوامت أيضا ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته في الدراسات اللغوية وهو أيضا متعارف عليه الدارسون<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر سر صناعة الإعراب لابن جنى ١٩/١ .

(٢) انظر د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ٨٥ ، ٨٦ .

وسواء أكانت الواو والياء من الصوامت أم من الحركات فقد هيأتهما طبيعتهما الصوتية إلى إمكان التبادل بحيث تتحولان في سياقات صوتية مختلفة إلى بعضهما أو إلى الألف أو الهمزة وفقاً للتناسق الصوتي على ماسرى فيما بعد.

#### ٤ - الهمزة :

سبق لنا طرف من آراء النحاة القدماء في الهمزة ، فبعضهم يرى الهمزة اختاراً لحروف العلة ، ونود أن نذكر هنا أن الخليل ابن أحمد يرى أن الهمزة حرف علة (١) أو هي شبيهة بحروف العلة ، ولذلك عندما تخفف تصير إلى أحد حروف العلة .

وصوت الهمزة ينتج من انطباق الوترين الصوتيين « الغشائين » والغضروفين الهرمين في الحنجرة انطباقاً كاملاً وشديداً بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً فيحتبس داخل الحنجرة ثم يسمح له بالخروج على صورة انفجار .

يقول سيديويه عن الواو والياء والألف « وهذه الحروف غير مهوسات وهي حروف لين ومد ومخارجها متسعة لهواء الصوت وليس شيء من الحروف أوسع مخارجها ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفة ولا لسان ولا حلق كضم غيرها فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة ، وإذا

تفطنت وجدت متسراً ذلك ، وذلك قولك ظلموا ورموا وعمي وحسبلى .

وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا ظلموا ورموا فكتبوا بعد الواو ألفاً ، وزعم الخليل أن بعضهم يقول رأيت رجلاً فيهمز وهذه حُبلاً وتقديرهما رجلع وحباع ، فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة فأراد أن يجعلها همزة واحدة ، وكان أخف عليهم . وسمعناهم يقولون : هو يضربها فيهمز كل ألف في الوقف كما يستخفون في الإدغام فإذا وصلت لم يكن هذا ، لأن أخذك في ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع (٢) » .

وقال الليث : قال الخليل :

« في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياء ومخارج وأربعة هوائية وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة .

فأما الهمزة فسميت حرفاً هاوياً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً : الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء (٣) » .

(٢) سيديويه ٢٨٥/٢

(١) أنظر العين ٦٤/١ ، ٦٥

(٣) العين ٦٤/١



## ( ١ ) التاء :

التاء صوت (أو حرف) ينقلب إلى حروف أخرى كالطاء والذال ويكون ذلك في صيغة الافتعال وما يتفرع منه إذا كانت فاء الافتعال حرفا معيناً ، كما أن التاء تبدل منها الواو والياء في هذه الصيغة أيضاً أى صيغة الافتعال ، وما يتفرع منها ، فإبدال التاء طاء أو دالاً وإبدالها من الواو والياء خاص بصيغ الافتعال وتقلب التاء طاء أو دالاً للتناسب الصوتي وتبدل من الواو أو الياء تسهيلاً للنطق وتخفيفاً فيه .

وقد وصفت التاء بأنها صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس ، أما أنها صوت انفجاري فلأن الهواء يقف وقوفاً تاماً أثناء النطق بها عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الشنايا العليا ومقدم اللثة ويضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل اللسان فجأة تاركاً نقطة الالتقاء فيحدث صوت انفجاري ، وأما أنه صوت مهموس فلأن الأوتار الصوتية لا تتذبذب حال النطق به ، ويلاحظ أن التاء هي النظير المرقق للطاء المستعملة في الفصحى المعاصرة .

وهذه النصوص تكشف فهم القدماء للقرابة الصوتية بين هذه الأحرف ولعل هذا ما سهّل التبادل بينها وتغييرها ببعضها دون أن يترتب على ذلك تغيير في معنى الكلمة الواحدة .

وقد اختلف الدارسون المحدثون في وصف هذا الصوت بالجهر أو بالهمس ، وبعضهم قال عنه إنه صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور (١) .

ومهما يكن من اتفاق هؤلاء أو اختلافهم فإن الذى يعنيننا هنا أن هذا الصوت يقع تحت طائفة الإبدال أو الإعلال فيتحول إلى ياء أو ألف أو واو كما تتحول هذه الأحرف إليه في سياقات صوتية مختلفة لم تنل من هؤلاء المحدثين الاهتمام المناسب .

## ثانياً : حروف الإبدال :

حروف الإبدال — بالمفهوم الذى سنتناوله به — هى : الدال والطاء والتاء والميم ، وقد ينضم إليها فى بعض الحالات الذال والزاي والظاء فى حالة الإدغام فحسب .

ولكننا سنتناول بالتفصيل الحروف المشهورة منها وهى الدال والطاء والتاء وأما الميم فإن لها موقعا خاصا (٢) .

( ١ ) انظر : د . تمام حسان مناهج البحث فى اللغة ١٠٣ ود . عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ود . إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٧٢ ود . كمال بشر : الأصوات ١١٢ ود . عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٤ ، ٢٥ ود . محمود السمران : علم اللغة ص ١٩٥

( ٢ ) تبدل الميم من النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء مثل : من بعد ، وأنبيهم ولهذا رست فى المصحف العثماني ميم صغيرة فوق النون إشارة للقارئ ، ويلاحظ أن الميم جمعت خصائص من الباء الشفوية والنون الأنفية ولذلك صلحت معبرا بينهما ، ويسمى هذا فى فن التجويد القرآنى « الإقلاب » .

## ( ٢ ) الطاء :

وصف القدماء هذا الصوت بأنه صوت مجهور ، فقد عدها سيبويه من الحروف المجهورة - وهى التى تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بها - ويرى سيبويه أن الفرق بين الطاء والدال هو الإطباق فحسب إذ يقول « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها (١) » ، فلما كانت الدال صوتا مجهورا ، وكانت الطاء مشبهة لها فى غير الإطباق كانت الطاء صوتا مجهورا كذلك .

وقد وصف علماء اللغة المحدثون صوت الطاء بأنه صوت أسنانى لثوى انفجارى مهموس مفتح أو مطبق .

وقد وقف بعض الدارسين أمام وصف القدماء محاولا أن يلتمس له وجها ، وعلى ذلك بأحد ثلاثة أمور :

الأول : أن هؤلاء القدماء ربما أخطأوا فى الملاحظة ولا سيما أنهم لم يستخدموا إلا الملاحظة الذاتية التى لا تستند إلى أجهزة علمية أو غيرها ، فكانت الملاحظة الذاتية هى وسيلة الوحيدة .

الثانى : أن الطاء ربما كانت تنطق فى عصرهم بالطريقة التى وصفوها بها ثم

حدث تطور فى نطق هذا الصوت حتى صار إلى ما نعرفه اليوم ، أى أنه كان فى عصرهم مجهورا ثم تطور النطق به حتى صار مهموسا .

الثالث : لعلمهم كانوا يصفون صوتا يشبه صوت الطاء الذى نسمعه فى بعض لهجات الصعيد وفى نطق بعض السودانين الآن وهو صوت طاء مشربة بالهميز glattalization أى أننا نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمز فيها . ويتم نطق هذه الطاء بالطريقة التى تنطق بها طائنا الحالية بإضافة عنصر جديد هو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والنفث ، وبالتالي يختلف ضغط الهواء فى هاتين المنطقتين وفى خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية وفجأة تنفصل الأعضاء المشتركة فى نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع الهواء المندفع من الخارج فى الفم فنسمع طاء مهموزة glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها (٢) .

والذى أراه أنه ينبغى ألا نغفل هنا ظاهرة الإبدال بين التاء والطاء وتحويل التاء - وهى مهموسة - إلى طاء فى صيغة افتعل إذا كانت فاء الافتعال صوتا مطبقاً أو مفتخما كالطاء

( ١ ) سيبويه ٤٠٦/٢ وانظر سر الصناعة ٢٢٣/١ حيث يقول « اعلم أن الطاء صوت مجهور » وكذلك المقترض للمبرد ١٩٥/١ حيث عد الأصوات المهموسة ولم يعد بينها الطاء .  
( ٢ ) أنظر د . كمال بشر : الأصوات ١٠٣ ، ١٠٤ .

والطاء والصاد والضاد فينبغي إذن أن تكون الطاء مهموسة أيضا ، إذ الحاجة إلى التفتيح فحسب في مثل اصطر قلبت التاء طاء ، ولا يحتاج هنا بأن هذه من الممكن أن تكون صيغة مستقلة ولا علاقة لها بالتاء ، لأننا نرى أن القوالب الصرفية ثابتة ومطرودة وهذه التغييرات إنما تحدث لمناسبة الأصوات بعضها مع البعض الآخر عند انصباها في القوالب الصرفية .

### ( ٣ ) الدال :

الدال صوت أسناني لشوى انفجاري مجهور ، وهو النظير المجهور للتاء ، وليس بينهما من فرق إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان مع الدال أثناء النطق ولذلك قلبت تاء الافتعال دالا عند وقوعها بعد صوت بين أسناني مجهور مثل الدال أو لشوى مجهور كالزاي .

ولعلك لاحظت أن هذه الأصوات الثلاثة (التاء والطاء والدال) أصوات أسنانية لثوية انفجارية فهي متقاربة في المخرج والصفة والتاء والطاء مهموستان ولا فرق بينهما إلا الإطباق ، والدال مجهورة ، ولذلك قلبت التاء طاء بعد الأصوات المفخمة أي فخمت التاء فصارت طاء ، وقلبت التاء دالا بعد الأصوات المجهورة أي صارت التاء صوتا مجهورا ولا فرق بين التاء والدال إلا في الجهر فقط .

يقول ابن جني « فإن فاء افتعل إذا كانت زايًا قلبت التاء دالا وذلك نحو : ازدجر ، وازدهى ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، وازدهف ونحو ذلك ، وأصل هذا كله : ازتجروازتهى وازتاروازتار وازتلف وازتهف لأنه افتعل من الزجر والزر والزور والزين والزلف والزهف ، ولكن الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أنحت التاء في المخرج وأنحت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء

أشبه الحروف من موضعها بالزاي وهى الدال فقللوا ازدجر وازدار<sup>(١)</sup> ونص ابن جني واضح في بيان أن المناسبة الصوتية هى سبب الإبدال ، وهذا وقوع من الصرفين القاء على العلة الصحيحة .

### رابعا : فلسفة الصرفيين في تناول هذه الظاهرة :

ينبغي أن يكون واضحا أن الصرفيين العرب لم يخلقوا هذه الظاهرة خلقاً ، ولا تكلفوا القول بها ارتجالاً ، وذلك لأن مهمة الباحثين ينبغي أن تكون وصفا للظاهرة وتحديد لها ثم وضعاً للقواعد التي تحكمها على ما هى عليه دون تدخل منهم في مسارها لكنه يمكن القول بأن منهج الصرفيين العرب هو الذى استدعى الوقوف على هذه الظاهرة بالطريقة التي ساكوها معها ، وكان من الممكن

(١) ابن جني : سر صناعة الإعراب ٢٠٠/١ .



لو أنهم اتبعوا منهجا آخر ألا يكون ثمة ما يسمى  
إعلالا أو إبدالا (١).

ومن الحق أن نقرر بادية ذى بدء أن  
مسلك الصرفيين العرب كان مسلكا منسجما  
مع طبيعة اللغة العربية وفهم أسرارها .

وبيان ذلك أن اللغة العربية لغة اشتقاقية  
كأخواتها الساميات (٢) بمعنى أن الكلمات  
فيها تلتقي كل مجموعة منها في أسرة واحدة  
تنتمي إلى جذر ثلاثي في أقل صورة ، فكل  
ثلاثة أحرف تكون مادة لعدد من الكلمات  
تتفق في معنى أساسى وتزيد بعض هذه  
الكلمات معنى إضافيا على هذا المعنى الأصلي  
تبعاً للصيغة التي تكون عليها هذه المادة  
فمثلا المادة ( ف . ه . م ) من الممكن أن تُصَبَّ  
في عدد من « الصيغ » أو القوالب ، مثل  
فَعِيل (فهم) وَيَفْعَل (يفهم) و(افْعَل) (افهم)  
وَفَاعِل (فاهم) وَمَفْعُول (مفهوم) وَفَعَّال  
(فهام) وَفَعَّل (فهم) وَأَفْعَلَ (أفهم) وَيُفْعِل  
(يفهم) وَاسْتَفْعَلَ (استفهم) وَتَفَاعَلَ (تفاهم)  
إلى آخر ما يمكن أن تصب فيه هذه المادة  
من القوالب أو الصيغ الصرفية التي تتفق مع  
بعضها في المعنى الأساسى الأول وهو الفهم

ولكن كل صيغة منها لها معنى أو دلالة  
صرفية إضافية تابعة من اختلاف الصيغة  
أو القالب .

ومن الواضح أن بعض هذه الصيغ أفعال  
وبعضها الآخر أسماء وعلى عالم الصرف أن  
يحدد هذه الصيغ ويحصيها ويحدد صفات  
كل صيغة من هذه الصيغ ويبين صيغ  
الأفعال وصيغ الأسماء .. إلخ .

ونحن نرى أن علماء الصرف العرب  
قد قاموا بجهد كبير في هذا المجال فحددوا  
صيغ الأفعال وصيغ الأسماء وبينوا الفروق  
الدقيقة بين كل صيغة وأخرى تحت ما سموه  
بمعانى حروف الزيادة ، وحروف الزيادة  
في الواقع هي اللواصق التي تكسب البنية دلالة  
إضافية مع المعنى الأصلي .

وقد اطردت هذه النظرة واستقامت  
لهم لأن طبيعة اللغة موافقة لهذا الفهم : وعلى  
ذلك صنف المعاجم العربية بحيث تذكر المادة  
اللغوية المكونة من ثلاثة أصوات أو حروف  
على الأقل ويندرج تحت هذه المادة جميع الصيغ  
الممكنة أو قل جميع القوالب التي يمكن  
أن تصب فيها هذه المادة الصوتية الثلاثية

( ١ ) وكان ذلك يحدث لو أنهم لم ينظروا إلى اللغة على أنها لغة اشتقاقية تنتمى كل مجموعة من الكلمات فيها إلى  
جذر ثلاثي واحد مثلا .

( ٢ ) يقرر كثير من الدارسين لفصيلة اللغات السامية أنها لغات اشتقاقية ويؤكد أن الأصوات التي يتألف منها  
أصل ما توجد مرتبة حسب ترتيبها في هذا الأصل في جميع الكلمات المشتقة على معناه فالأصوات الثلاثة ( ق . ت . ل )  
مثلا التي يتألف منها الأصل الدال على معنى القتل توجد مرتبة بالشكل السابق في جميع الكلمات المشتقة على هذا المعنى  
مثل ( قتل ) يقتل ، قاتل ، قتال ، مقتول ، قتيل ، إلخ ( أنظر اللغات السامية لنولدكه ص ١٠ وتاريخ اللغات السامية  
لورفنون ١٤ وفقه اللغة لملى عبد الواحد رافى ١٣ ، ١٤ ط ٢ ) .

لتشكل بأشكال مختلفة تتفق في معنى أساسى ويفترق بعضها عن بعض بفروق دقيقة مضافة إلى المعنى الأساسى عن طريق اختلاف الصيغ أو المقاييس أو الأبنية أو الموازين وإن شئت عن طريق المورفيمات أو اللواحق الصرفية بمعناها الأعم وقد سموها الجذر الأصل بالمصدر «المصدر كالمادة والفعل كالمركب من الصورة والمادة وكذا اسم الفاعل والمفعول والموضع والآلة وجميع ما هو مشتق من المصدر»<sup>(١)</sup> «كما يقول الرضى» .

وقد كان من الضرورى استجابة لهذا المنهج الذى سلكه الصرفيون العرب أن يوجد ماسمى بالإعلال والإبدال، وذلك أن الأصول الثلاثية التى يمكن وضعها فى صيغ مختلفة قد يكون بينها حرف علة مثل مادة (ق.و.ل) أو (ب.ى.ع) أو (د.ع.و) أو (س.ع.ى) إلخ .

فمادة (القاف والواو واللام) عند وضعها فى صيغة (فَعَل) ينبغى أن تكون (قَوَل) بواو مفتوحة — وهنا تخضع هذه الصورة (قَوَل) لقوانين صوتية تجعل استخدامها هو (قَالَ) لا (قَوَل) فهنا نجد صيغة هى :

فَعَل = قَوَل ← قَالَ

ولذلك نجد الصرفيين يقولون إن قال أصلها قَوَل ومرادهم بالأصل هنا الصورة المطابقة تماما لبناء الصيغة أو ما يسمى الميزان وهو «الباية التَّحْتِيَّة» وكان عليهم أن يصفوا

التغيير الذى حدث وهو هنا قلب الواو ألفا وسبب هذا التغيير وهو هنا فى نظرهم تحرك الواو بعد فتح ، وقد فعل الصرفيون كل هذا .

فالمهم عند الصرفيين هو اطراد الأبنية أو النماذج أو القوالب أو «الموازين» ولذلك عندما يزنون كلمة (قال) وزنا صرفيا نجدهم يقولون: إن وزنها هو (فَعَل) أى أن الصورة التى تنطق بها (قال) صورة اقتضتها طبيعة الأصوات والاستعمال وما يتطلبه من انسجام فى الأصوات وسهولة فى النطق، ولكن الصورة الأصلية الصورة المطابقة للميزان ، قياسا على نظائرها من الصحيح مثل (كتب) و(أخذ) مثلا .

وهنا مسألة يمكن أن تثار حول هذه النقطة الأخيرة وهى هل ما يدعيه الصرفيون من أصول لبعض الكلمات التى حدث فيها الإعلال أو الإبدال يعد أصولا تاريخية بمعنى أن كلمة مثل (قال) كانت تستعمل فى فترة من فترات الاستعمال اللغوى بالصورة التى تصورها الصرفيون وهى (قَوَل) أو أن ذلك محض افتراض من أجل اطراد الموازين والأقيسة الصرفية ؟ .

والحق أن العلماء القدامى أنفسهم لم يغفلوا عن دراسة هذا الجانب ، ولكنها دراسة تناسب ما تيسر لهم من وسائل ؛ فقد رأى ابن جنى أن مثل هذه الأصوات



المفترضة ليست أصولاً تاريخية وأكد ذلك  
بر ضوح شديد في أكثر من موضع من كتبه  
يقول في كتابه «الخصائص» معنى قولنا:  
«أنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجيء الصحيح  
ولم يعمل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا  
فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان  
كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا  
اللفظ، فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر» (١).

ويقول أيضاً في كتابه المنصف :  
«وينبغي أن يعلم أنه ليس معنى قولنا:  
أنه كان الأصل في قام وباع : قَوْمَ وبيع»  
وفي «أخاف وأقام أَخَوَفَ وَأَقْوَمَ» وفي  
«استعان واستقام : استَعَوْنَ واستَقْوَمَ» أننا  
نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمان  
بِقَوْمَ وبيع ونحوهما ثم إنهم أضربوا عن  
ذلك فيما بعد .

ولما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على  
ما يوجب القياس بالحمل على أمثاله لقليل  
«قول وبيع واستقوم واستعوان» .

ألا ترى أن استقام بوزن استخرج  
فقياسه أن يكون استقوم إلا أن الواو  
قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها  
في الأصل ، أعني قوم ، وبدل على ذلك  
أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله .

ألا ترى إسقوط : استروح واستشوق  
الحمل واستتيسست الشاة فدل ذلك على

أن أصل استقام : استقوم وقال الشاعر :  
صددت فأطولت الصدود وقلما  
وصال على طول الصدود يدوم  
فقوله : أطولت يدل على أن أصل  
أخاف : أخوف وقد قالوا أطال . وقالوا  
أحوجت زيدا إلى كذا وكذا وأغيست المرأة .  
وغير ذلك .

فهذه الأشياء الشاذة إنما خرجت كالتنبية  
على أصول ما غير ، وأنه لولا ما لحقه  
من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء  
على غير تلك الهيئة المستعملة (٢) .

فابن جني يعمل وجود بعض الكلمات  
التي لم يحدث فيها إعلال وكان ينبغي أن  
يقع فيها الإعلال بناء على ما أسسوه  
مثل ( أطول ) في قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلما  
وصال على طول الصدود يدوم

ومثل ( استحوذ ) في قوله : تعالى «استحوذ  
عليهم الشيطان» وغيرها مما ذكر بأن هذه  
الكلمات وأمثالها جاءت منبهة على الأصل  
فوجود «أطول» وهي على وزن ( أفعل )  
تنبيه على أن كلمات مثل : أقام وأقال  
وغيرهما أصلهما أقوم وأقول على وزن  
( أفعل ) .

(١) ابن جني : الخصائص ٢٥٧/١ وانظر أيضا صفحات ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ في هذا الجزء نفسه .

(٢) المنصف ١٩٠/١ ، ١٩١ .



وقد وقف بعض الدارسين المحدثين من هذه المسألة - أى مسألة الأصل - الذى يفترضه الصرفيون مواقف مختلفة فمنهم من قال بأن « القول بأن صيغة ما أصل للكلمة أو صيغة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوى الحديث » (١) ولذلك ينبغى الاكتفاء بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل دون تأويل أو افتراض ، وهذا سلوك الوصفيين من علماء اللغة .

ومنهم من ينتهج منهجا تاريخيا ، ويرى أننا ينبغى أن تتبع تاريخ الصيغ المختلفة لنكشف عما أصابها من تغير وما حدث لها من تطور عبر فترات التاريخ وتجب الاستعانة فى ذلك بمقارنة العربية بأخواتها الساميات وعلى هذا يمكن الاستدلال . بالكلمات التى بقيت لم يحدث فيها إعلال بأنها بقايا تاريخية للاستعمال لم يصيبها ما أصاب الكلمات الأخرى مما سماه الصرفيون إعلال ، فهم يستدلون على أن ( قال ) أصلها ( قَوَلَ ) تاريخيا - لا صرفيا فحسب - بوجودها فى الحبشية مثلا - وهى سامية - بالصورة الأخيرة .

ومهما يكن من أمر فإن هذه قضية يمكن أن يدرس الإعلال والإبدال فى ضوءها وقد تأتى بنتائج تعين على فهم أسرار اللغة غير أنها محتاجة إلى وثائق يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

لكننا يمكننا القول الآن بأن الأساس الذى اعتمد عليه الصرفيون العرب فى دراسة هذه الظاهرة هو ملاحظوه من خصائص اللغة العربية وأهم هذه الخصائص « الاشتقاق فى اللغة » واعتماد كل مجموعة من الكلمات على أصل ثلاثى يتشكل فى عدد من الصيغ تكشف عنه نظم المعاجم العربية - وما أكثرها - بصورة غاية فى النضوج والبين .

وهذا هو الأساس الأول الذى استند إليه الصرفيون فى النظر إلى ظاهرة الإعلال والإبدال .

أما الأساس الثانى فهو مراعاة الانسجام والتناسق الصوتيين أو ماسموه بالمناسبة الصوتية فى الكلمة ولذلك عللوا حدوث الإعلال بأنه للتخفيف ، وهذا الأساس فى واقع الأمر ليس إلا تعليلا للأساس الأول ، ومبلغ علمى أنهم قد أصابوا توفيقا كبيرا فى كثير من هذه التعليقات .

ينبغى أن نسجل هنا بأمانة أن هؤلاء العلماء قد وقف كثير منهم على فهم كثير من أسرار العربية ، وعللوا هذه الظاهرة تعليلا صحيحا فى كثير من الأحيان ، فظاهرة الإعلال عندهم ترجع لأسباب مختلفة هدفها جميعا التخفيف ، فالعربية تستثقل مقاطع خاصة كالواو ساكنة بين الياء المفتوحة والكسرة ولذلك حذفت الواو فى مضارع وثَبَّ وَعَدَّ وَثَقَّ على سبيل المثال فلم يقل يَثْبُوب ولا يَتَوَعَّد ولا يوثق : بل قيل : يَثْبُب وَيَعِد وَيُثَق .

( ١ ) د . تمام حسان . مناهج البحث فى اللغة ١٨١ .

ويعبر عن ذلك ابن الحاجب بقوله «وتحذف الواو من نحو يعيد ويكيد لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية» وهذه طريقة وصفية تعتمد على ملاحظة الظاهرة الصوتية دون تدخل من الباسط ، ولكنه يكتفى بوصفها بالطريقة التي قدمها بها .

ولما كان الإعلال مجاله حروف العلة فقد اهتموا بذكر خصائص حروف العلة وحاولوا تتبعها ، ولهم في ذلك أحكام يصيب بعضها وبجانب الصواب بعضها الآخر فقد أدركوا التقارب بين الياء والواو ، لكنهم يهتمون ببعض أحرف العلة بالثقل دون بعض ، وهذا ما لا نوافقهم عليه .

وقد التفتوا إلى ظاهرة التناسب بين الأصوات وصيرورتها من نمط واحد ، على حد تعبير بعضهم ، ولهم في ذلك نصوص كثيرة دقيقة ، وظاهرة الإعلال والإبدال في حقيقة أمرها إنما هي للتناسب بين الأصوات في الكلمة ، والصوت يتأثر بما قبله وما بعده أى بالظروف المحيطة به ، يقول ابن جني : «ويدلك على أن الشيء إذا جاور الشيء دخل في كثير من أحكامه لأجل المجاورة قولهم : قينية ، وصيبية ، وفلان من علية الناس ، وهو ابن عمي دنيا ، وصيبان . وأصل قينية من قنوت ، وصيبية وصيبان من صبوت ، وعلية من علوت ، ودنيا من دنوت . وقياسه : قينة ، وصبوة ،

وصبوان . وعلوة ودنوا ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتمد الساكن حاجزا لضعفه (١) وتغيير أصول الكلمة بما يناسب الصيغة أو البنية يغير ظروف الصوت فيحدث أن تتحول الواو مرة إلى ياء وأخرى إلى ألف أو همزة وعكس ذلك كله واقع ، وهكذا .

وهذا إدراك سليم من الصرفيين ، وفهم صائب لا نريد أن نزكيه بما يقوله ريتشاردز : «إن وقع الصوت لدى النفس لا يتوقف على الصوت نفسه بقدر ما يتوقف على ظروفه المحيطة به ، أى على مقدار ما بينه وبين ما قبله وما بعده من الأصوات من انسجام فإن هذه الأصوات تتألف وتكون شبكة مبنوكة النسيج ، وأن الكلمة التي تستطيع أن تقع موقع الرضا والقبول لدى هذه الأصوات جميعا وتنسجم معها كلها في وقت واحد هي الكلمة التي تظهر بمظهر الفوز الموسيقي» (٢) وقد حاولوا وصف تغير الأصوات حتى تنسجم موسيقاها وبينوا السبب في ذلك بما يدل على أنهم فهموا الظاهرة على هذا النحو الدقيق ، فمما لاشك فيه أن المتكلم يجد عند نطق همزتين متجاورتين من الثقل ما يعينه ، ولذلك تخلصت العربية من التقاء همزتين متجاورتين بقلب الثانية إلى حرف علة يناسب الموضع صوتيا ولذلك يقول المازني : «إذا التقت الهمزتان في واحدة فلا بد من إبدال الثانية على كل حال» (٣) .

(١) المنصف شرح التصريف لابن جني ٢/٢ ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الجوار يمتد إلى ظاهرة الإعراب نفسها وهي أغلى ما يحرص عليه النحاة فعرف الجر على الجوار والإتباع وغير ذلك .

(٢) المنصف ٢/٢ هـ

(٣)



وإذا خفي عليهم سبب بعض التغييرات  
فإنهم كانوا يعللون بها بأنها لطرْد الباب  
على وتيرة واحدة حتى يحصل التشاكل ،  
ففي مضارع (يعد) مثلاً قالوا إن الواو حذفت  
لأنها مستقلة بين الياء المفتوحة والكسرة فلما  
وجدوا أنها محذوفة في : أعد ونعد وتعد  
— وهي فيها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة —  
قالوا : إن الحذف في هذه نوع من الاطراد  
حتى لا يحصل تخالف في الصيغة الواحدة ، والقرار  
من حصول التخالف إلى حصول التشاكل  
سبب عندهم كذلك لوجود إبدال الواو  
في صيغة افتعل تاء ، فلولم تقاب فاء الافتعال  
إذا كانت واوا تاء لصارت مرة واوا إذا  
قلت في اتصل مبنياً للمجهول «اتصل»  
وصارت ياء إذا كان مبنياً للمعلوم (اتصل) وفي  
المضارع واسم الفاعل والمفعول : يوتصل  
وموتصل وموصل ، وفي الأمر : ايتصل «  
فلما حصل هذا الداعي إلى مطلق قلبها  
إلى حرف جتلد (قوى) لا يتغير في الأحوال  
— وللواو بانقلابها تاء عهد قديم — كان انقلابها  
تاء ههنا أولى ولا سيما وبعدها تاء الافتعال  
وبانقلابها إليها يحصل التخفيف بالإدغام  
فيها » (١).

وأما في الإبدال فقد رأينا تفسير ابن جني  
السابق في إبدال تاء الافتعال دالا بأنه

لمناسبة الأصوات بعضها لبعض في المخرج  
أو الصفة ، فهي تبدل دالا إذا كان قبلها  
الزاي ليتناسب الصوت المجهور مع المجهور ،  
وتبدل طاء إذا كان قبلها صوت مطبق أي  
مفخم ليتناسب التفخيم مع مثيله وهكذا .  
ونستطيع بعد هذا أن نلخص فلسفة  
الصرفيين العرب في تفسير ظاهرة الإعلال  
والإبدال فيما يأتي :

١ — إن تناول الصرفيين لهذه الظاهرة  
يكشف عن فهمهم الصحيح لخصائص العربية  
إذ أنها لغة اشتقاقية ، والقول بما قالوا به في  
بعض مسائل الإعلال يطرّد مع هذه  
الخاصية التي تشترك فيها العربية مع  
أخواتها الساميات ، فالقول بأن (قال) أصلها  
(قَوَل) مثلاً إنما هو رد هذه الصورة المنطوقة  
إلى الجذر الذي تنتمي إليه وهو (ق.و.ل)  
وقد أكد ابن جني هذا المعنى في النصوص  
التي نقلناها عنه من أجل اطراد الأقيسة والنماذج  
وإن كان هذا لا ينبغي أن يكون ثمة أصل  
تاريخي لمثل هذه الصيغ كما يتضح في  
الأمثلة التي لم يحدث فيها إعلال مثل :  
استحوذ وأغيلت المرأة واستنوق الحمل  
واستتيست الشاة إلخ غير أن هذا الفرض  
الأخير محتاج إلى دراسة تاريخية مقارنة  
حتى يُطمأن إلى صحته .



٢- إن تلمس الصرفيين لأسباب التغير في هيئة الكلمات التي حدث فيها الإعلال والإبدال يكشف عن فهم فيه صواب كثير لخصائص الأصوات العربية والتشكيل المقطعي لكلماتها، والأسباب التي قدموها في هذا السبيل من حيث الخفة والاستثقال والتناسب الصوتي وغير ذلك أسباب صحيحة في مجملها برغم أنهم لم يكونوا يملكون إلا الملاحظة الذاتية .

ولكن هناك بعض الملاحظات التي يجب الالتفات إليها في هذا الصدد ويمكن أن نجعلها فيما يأتي :

١- لقد أكثر الصرفيون العرب من افتراض الأمثلة غير المستعملة في اللغة وفقاً للنماذج أو الموازين أو المقاييس التي استخلصوها . وأكثروا مما سموه بمسائل التمرين كأن يقولوا : « صنع من كذا على وزن كذا » من أجل التدريب على مسائل التصريف .

وهذه المسائل - وإن كانت تعين على التمكن من أحكام التصريف لأنها تطبق قواعده على افتراضات ذهنية - أرى أنها تعوق ما يجب على الباحث من قصص اهتمامه بالمستعمل المنطوق من اللغة فضلاً عن أنها تزهّد كثيراً من الباحثين في دراسة هذا الجانب بله الشادين فيه ،

وتعوق دون الإقبال على هذا الفرع من الدراسة ، ويكفي الرجوع إلى باب «مسائل التمرين» في أي كتاب من كتب الصرف التي تذكر هذا النوع حتى يمكن التحقق من صدق هذه المقولة<sup>(١)</sup> ، ولأود أن أذكر هنا أمثلة لهذا الضرب حتى لأرعب القارئ ، ويجب أن تخلص كتب التصريف من هذه التدريبات غير المحبذة وتنقي منها .

٢- لقد اعتمد هؤلاء الدارسون القدامى على ملاحظتهم الذاتية وحدها إذ لم يكن متاح لهم في عصرهم مثل ما أتيح لدارسي اليوم من الأجهزة العلمية المختلفة والملاحظة الذاتية في حد ذاتها إحدى الوسائل في الوصف اللغوي غير أن الباحث يقع لظروف مختلفة في خطأ في الملاحظة أو قد تعجز وسائل الملاحظة عن إدراك الظاهرة على النحو الصحيح ، ومعظم هذه الأخطاء تقع في وصف الأصوات وقد رأينا نموذجاً لذلك ما سبق في صوت ( الطاء ) إذ وصف بأنه صوت مجهور ، ومن ذلك قول الرضى « اعلم أن التاء قريبة من الواو في المخرج لكون التاء من أصول الثنايا والواو من الشفتين ويجمعها الهمس »<sup>(٢)</sup> ومدلول هذا النص أن الواو مهموسة كالتاء ، والحق أن الواو صوت مجهور<sup>(٣)</sup> .

(١) أنظر مثلاً شرح الشافية ٢/٢٩٤ وما بعدها .

(٢) المنصف ٣/٩٧ وما بعدها وشرح الشافية ٢/٨٠ وما بعدها .

(٣) انظر في الجهر والهمس الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢١ على سبيل المثال .

٣ - من الملاحظات في دراسة الإعلال والإبدال كذلك أنهم خلطوا بين اللهجات العربية في هذه الظاهرة ، وعدوا ما كان خاصاً باللهجة من اللهجات مبدءاً عاماً أو قانوناً على اللغة المشتركة والأمثلة على ذلك كثيرة .

وهذا الجانب جزء من نظرة النحاة والصرفيين للغة بوجه عام وكان من الواجب عليهم أن يحددوا اللغة المشتركة أو اللغة الأدبية ، أو كان عليهم أن يحددوا مستوى معيناً من المستويات ويضعوا قواعده على حدة حتى لا يحدث خلط في التعيين كأن يقول الرضى مثلاً : « وبعضهم يقلب الواو الواقعة بين الياء المفتوحة والفتحة ألفاً لأن فيه ثقلاً لكن ليس بحيث يحذف الواو له فيقول في : يتوجسّل يتأجل وبعضهم يقلبها ياء لأن الياء أخف من الواو ، وبعضهم يستشنع قلب الواو ياء لا لعلّة ظاهرة فيكسرياء المضارع ليكون انقلاب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة (١) فكلمة « بعضهم » في نص الرضى تشير إلى قبيلة من العرب أي مجموعة لغوية معينة بلاشك ، ولا يمكن أن يكون المقصود بكلمة « بعضهم » بعض العلماء لأن العالم ليس من حقه أن يتدخل في الاستعمال اللغوي كما هو واضح ، وتلاحظ أن الرضى ذكر هذا الكلام بإجمال ولم يحدد أصحاب كل قول وهل هذا داخل في صلب اللغة المشتركة أو لا وأيهما نختار ... إلخ .

٤ - مع الدقة الملحوظة في تناول الصرفيين العرب لهذه الظاهرة نلاحظ أيضاً أنهم اضطربوا أمام بعض الظواهر فلم تتفق لهم سبيل واحدة في التفسير وقد صرح الرضى بهذا حين قال في مسألة من المسائل : « واضطرب في هذا المقام كلامهم » والحق أن هذا الاضطراب الذي يشير إليه الرضى كان في مسألة من مسائل التمرين ، فالمثال مفترض وفيه خلاف واضطراب فكأننا نحلق المشكلة لنختلف في حلها ، وهذا ما قلنا من قبل إنه يجب التخلص منه .

٥ - هناك أيضاً تكلف في محاولة التماس العلة في كل تغيير يحدث وبعض هذه العلل واه ضعيف ، وبعضها ملفق كأن يقولوا مثلاً في « استقام » : أصلها استقوم - وهذا القدر نتفهم وجهة نظرهم فيه - ويبيّنون السبب في التغيير فيقولون : نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم يحاولون بعد ذلك التماس العلة لقلب الواو ألفاً ، فيقولون : تحركت الواو بحسب الأصل - لأنها من قوم - وانفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفاً .

وهذا في الواقع تلفيق بين حالين لا يستريح له العقل لأن الموضوع افتراض من أوله ، ونحن قد نسلم بأن الأصل هو



استقوم لأن القالب أو الميزان أو المقياس هو ( استعمل ) للصحيح والمعتل فإذا سلمنا بأن حركة الواو انتقلت حقا إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها فينبغي أن نقول: إن حرف العلة المناسب للفتحة هو الألف ولذلك قابت الواو ألفا لهذا السبب ولا داعي إلى التلويح بين الأسباب مع مراعاة أنها مفترضة من أصلها من أجل اطراد الصيغة ، وتجب الإشارة إلى أن بعض العلماء - كابن هشام - قد تجنب كثيرا من التعقيدات الموروثة وعالج كثيرا من المسائل علاجا فيه سهولة ويسر .

#### خامسا : رأى بعض المحدثين في الاعلال والابدال :

رأينا أن القول بالاعلال والابدال جاء نتيجة لفكرة الصرفيين العرب القائلة بأن ثمة أصلا افتراضيا مطابقا للميزان أو مطابقا للقالب الصرفي فصيغة «استقول» تعد أصلا له «استقال» وصيغة «أقول» تعد أصلا له «أقال» وصيغة «قوم» تعد أصلا له «قام» وصيغة «دَعَوَ» تعد أصلا له «دعا» وصيغة «ازتجر» تعد أصلا له «ازدجر» وهكذا ، ومن هنا ساغ القول عندهم بأن الواو قلبت ألفا ، والياء قابت ألفا والتاء أبدلت طاء الخ ،

وأن هذا نابع من أن الصحيح والمعتل يخضعان معا لمقياس واحد .

أما علماء اللغة المحدثون فإن بعضهم في الحقيقة لم يتعرضوا تعرضا مباشرا لظاهرة الإعلال والابدال ولكن يمكن فهم وجهة نظرهم من خلال أقوال متناثرة تعد أسسا لهذه القضية ، فالدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان مثالا يريان : أن القول بأن صيغة ما أصل لكلمة أخرى مما يتنافى مع المنهج اللغوي الحديث (١) ويؤكد الدكتور كمال بشر هذا المبدأ إذ يقول : إن الفكرة التي تتضمن أن هناك أصلا واحدا فقط تفرعت عنه بقية الصيغ مع شيء من التعديل والتغيير في صورها فكرة لا تعترف بها الدراسات الوصفية الحديثة في البحوث اللغوية ، ويرى أن لكل صيغة خصائصها ووظائفها المعينة فكل صيغة من أعطى ، يعطى ، عطى ، معطى ، معط كلمة مستقلة وكذلك الحكم في نحو يقود وقائد وقيادة ، ويقول إن هناك أساسا عاما يجب اتباعه دائما في الدراسات الوصفية « وهذا الأساس هو الاعتماد دائما على الخصائص والمميزات الموجودة فعلا بالصيغة نفسها بقطع النظر عن إمكانية ردها إلى أصل تشترك فيه مع غيرها أو عدم إمكانية ذلك » (٢) .

(١) انظر من أسرار اللغة : ٥٥ ومناهج البحث في اللغة : ١٨١ .

(٢) انظر التعليق ٢٦ من صفحة ٤٩ وما بعدها في كتاب « دور الكلمة في اللغة » الذي ترجمه الدكتور كمال بشر

وعلق على كثير من قصائده .



والواقع أن ما ذهب إليه الدكتور تمام والدكتور بشر صحيح في ذاته وقد كان هناك من القدماء من أشار إلى هذه اللفظة، يقول السيوطي: « وزعم قوم من أهل النظر أن الكلام كله أصل وليس منه شيء اشتق من غيره<sup>(١)</sup> » ولكن السيوطي لم يعين هؤلاء الذين وصفهم بأنهم أهل النظر ، وفي مقابل هذا الرأي يذكر أن كلا من الخليل وسيبويه وأبي عمرو وأبي الخطاب وعيسى بن عمر والأصمعي وابن زييد وأبي عبيدة والجرمي وقطرب والمازني والمبرد والزجاج والكسائي والفراء والشيباني وابن الأعرابي وثعلب يذهب إلى أن الكلام بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، ويغلو بعض العلماء فيرى أن الكلام كله مشتق وقد نسب هذا المذهب للزجاج<sup>(٢)</sup>

غير أن انطباق ما يقول به كل من الدكتور تمام والدكتور بشر على لغة اشتقاقية يقوم الاشتقاق فيها بدور كبير كاللغة العربية على وجه الخصوص قد يقابل بكثير من الصعوبات ، وإذا كان ستيفن أولمان وهو يتحدث عن بعض مجموعات الكلمات في اللغة الإنجليزية

مثل : Lead ، Leader ، Leadership  
ومثل : give ، gives ، gave ، given

يقول : « ومنها يكن من أمر فإن هناك صلات ترابطية قوية بين أفراد كل مجموعة من مجموعات هذين النموذجين : صلات تبرر بصورة قوية جواز معاملة كل سلسلة منها على أنها وحدة عضوية متكاملة » مع أن هذه الظاهرة غير مطردة في اللغة الإنجليزية ، إذا كان ستيفن أولمان يقول هذا عن لغة كالإنجليزية ، فهل يحق لنا أن نقول بمثل ما قال به الدكتور تمام والدكتور بشر عن اللغة العربية وهي لغة اشتقاقية .

إنني أرى أن كلا من الدكتور تمام والدكتور بشر قد تأثر باللغة الإنجليزية في هذا الحكم ، وما قالوا به صحيح في ذاته وهو أكثر انطباقاً على لغة غير اشتقاقية وأرى أيضاً أن لكل لغة ظروفها الخاصة التي ينبغي أن تدرس في ضوءها .

ولقد ذهب الدكتور بشر مذهباً أبعد من هذا إذ أخذ على الصرفيين العرب قولهم بأن كلمة كذا أصلها كذا ، كأن يقولوا إن «قل» أصلها «قول» وحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، يقول الدكتور كمال بشر لقد درج علماء الصرف التقليديون على أن يقولوا مثلاً :

قُلْ أصلها قَوْلٌ<sup>(٣)</sup>

التي ساكنان الواو واللام فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت : قل .

(١) الجمع ٢٣١/٦ (٣) انظر الجمع ٢٣/٦ ، ٢٣١ (تحقيق الدكتور مكرم) .

(٢) دور الكلمة في اللغة ٤٩ ، ٥٠ (ترجمة د. كمال بشر) .

(\*) يقول الصرفيون إن قل أصلها (اقول) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها فحذفت همزة الوصل لأنه لم يعد هناك داع لها فصارت الكلمة (قول) فحذفت الواو تخلصاً من التقاء الساكنين ، سكون الواو وسكون اللام في الأمر الساكن الآخر .

وحقيقة الأمر أن قل جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر ، ولم يكن من المستطاع أن تأتي بالصورة الثانية « قول » في النطق الفعلي ، لسبب صوتي ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعي في العربية الفصحى . لقد ثبت بالدراسة أن التركيب المقطعي :

صوت صامت + حركة + طويلة +  
صوت صامت ( cvvc ) | تركيب ممنوع  
في هذه اللغة إلا في حالتين اثنتين هما :

١ - في حالة الوقف .

٢ - أن تكون الحركة الطويلة متلوقة  
بمثليين مدغمين من أصل الكلمة مثل شابة  
ودابة ، أما ما ذهب إليه هؤلاء الصرفيون  
فهو عمل افتراضي لا نأخذ به في الدرس  
اللغوي الحديث (١) .

مرة أخرى نقول إن ما قاله الدكتور  
بشر صحيح في ذاته ، ولكن الصرفيين  
العرب أو التقليديين كما يسميهم الدكتور  
بشر قد قرروا أنهم أنفسهم أن هذه الأصول  
افتراضية لم تكن مستعملة في وقت من  
الأوقات ثم عدل عنها إلى الصيغة المستعملة  
أو حدث تطور فيها حتى صارت الكلمة  
إلى ما صارت إليه ، ولكنهم يعنون بالأصل  
الصورة التي كان ينبغي أن تكون عليها  
الكلمة لو لم يحدث فيها ما سموه هم إعلالا

بالحذف وسماه الدكتور بشر تركيبا مقطعيًا  
ممنوعًا ، وهذا الأصل الافتراضي عند  
هؤلاء الصرفيين أيضاً تركيب مقطعي ممنوع  
وقد بينوا سبب امتناعه لكنهم لا يغفلون  
عن طبيعة اللغة الاشتقاقية ويحاولون بكل  
سبيل أن يربطوا كل كلمة بأصلها الاشتقائي  
أو بالخنجر الذي تنتمي إليه ، ولم يغفلوا  
أيضاً عن مهمة الصرف الحقيقية وهي  
دراسة الصيغ والفروق بين كل صيغة  
وأخرى والتغيرات التي تصيب بعض حروف  
الكلمات عندما تصب في صيغة معينة  
أو قالب معين ، وحديثهم عما ينبغي أن  
يكون إنما هو من أجل توضيح ما هو  
كائن وشرحه وتفسيره .

ولقد أخذ الدكتور بشر على الصرفيين  
العرب أيضاً معالجتهم لمسائل الإبدال  
التي تبدل فيها تاء الافتعال ( طاء ) أو  
( دال ) ورأى أن منهجهم في هذا يتسم  
بسمتين واضحتين :

أولاهما : إيمانهم بفكرة الأصل بمعنى  
أن هناك أصلاً ثابتاً ترجع إليه كل الصيغ  
المتشابهة بطريق مباشر إن أمكن وإلا  
فبطريق غير مباشر على الافتراض والتأويل .  
ثانيتهما : محاولة حشدهم الأمثلة المتفقة  
في شيء آخر تحت نظام واحد ، أو  
إخضاعهم لها لميزان واحد فابتكر واصطبر

(١) د . بشر : الأصوات ١٨٥ ، ١٨٦ . وانظر له أيضاً : دراسات في علم اللغة القسم الثاني ص ١١٠ .



عندهم كلاهما على وزن افتعل وكلاهما يرجع إلى أصل ثلاثي هو الباء والكاف والراء في الأول والصاد والباء والراء في الثاني .

وكذلك ازدهر وافتكر فهذه الثلاثة من وزن واحد ولكن التناسق الصوتي هو الذي أبقى التاء في موضع واستبدل بها طاء ودالا في الموضعين الآخرين .

ويرى أن سبيل المعالجة لهذه المسائل هو الوصف على حالتها الراهنة دون إلحائها إلى أصل واحد باتباع مبدأ تعدد الأنظمة في البحث اللغوي Polysgatic Principles لأن مبدأ توحيد الأنظمة جبر الصرفيين العرب إلى التأويل والتخريج والافتراض والوصف وتعدد الأنظمة لا يتم إلا على أسس صوتية تقتضيها خصائص الصيغ المذكورة (١) .

ولاني أرى أن طريقة الصرفيين لم تخرج عما وصفه الدكتور إبشر بأنه « التفسير العلمي » فما قدموه في علاج هذه المسائل إنما هو وصف لسلوك الأصوات في سياقات معينة ، كما أن مبدأ توحيد الأنظمة ليس عيبا ، وليس خيرا منه مبدأ تعدد الأنظمة ، وخاصة أن مبدأ توحيد الأنظمة يؤدي إلى تبسيط سبل الفهم والحصص وإدراك أوجه التشابه والاختلاف ، ولاشك أنني عندما أقول ( افتعل ) أسهل وأوضح من أن أقول ( افطعل ) و ( افدعل ) ، وإذا سألت أحد المبتدئين عن صيغة اصطر ما ميزانها لقال على الفور : افتعل

وإذا كان الدكتور بشر يرى أن هذه الأمور ينبغي أن يتكفل بها علم الأصوات فإننا نرى أن هؤلاء — وليس هذا دافعا عنهم بل هو تقرير لواقع — لم يقصروا في هذا الجانب وقد ردوا كل تغيير من تغييرات الإعلال والإبدال إلى سبب صوتي يرجع إلى استحالة في النطق أو تركيب مقطعي ممتنع وسموا بعض هذا تناسبا صوتيا في المخرج أو في الصفة غير أن لهم مصطلحات تختلف بعض الاختلاف عن المصطلحات الحديثة وكما أنهم اعتمدوا على الوسيلة الوحيدة التي يمتلكونها في ذلك الوقت وهي الملاحظة الذاتية ومع ذلك حققوا نتائج عظيمة .

وهناك بعض الدارسين الذين تعرضوا لدراسة الإعلال والإبدال ، وقد عالجوا هذه الظاهرة على أسس صوتية محضة ، ومن هؤلاء جان كاتينو في كتابه « دروس في علم أصوات العربية » (٢) وقد عالج بعض مسائل الإعلال في مواضع متناثرة تحت قوانين صوتية قائمة على الوصف ،

(١) انظر دراسات في علم اللغة ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) ترجمه إلى العربية صالح القرماني وطبع سنة ١٩٦٦ م ( الجامعة التونسية ) .



ولكنها لم تسلم له في كثير من الأحيان كقوله « وإذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة قصيرة قلبتا همزة ، نحو : قال - قائل وبائع - بائع وعجوز - عجائز وجزائر - جزائر ، وإرضاء (١) - إرضاء ووفاء - وفاء (٢) .

ونحن نرى أن وضع القاعدة بهذه الصورة ناقص لأن ثمة واوات وأياعات تقع بين فتحة طويلة وكسرة أو ضمة ولا تقلب همزة وذلك مثل جمع مقود مقاود وجمع معيشة ومعاش دون همزة ،

ولكن النحاة القدماء والصرفيين العرب قد وضعوا القاعدة مستقصاة إذ نصوا على شرط قلب الواو والياء همزة في اسم الفاعل أن تكون الواو أو الياء معلقة في الماضي فإذا لم تعمل في الماضي لم تقلب أي منهما همزة وكذلك شرطوا لقلبها همزة في الجمع الذي على وزن مفاعل أن تكون الواو أو الياء في المفرد فإذا كانت كل منهما متحركة أو أصلية لم تبدل منهما الهمزة ، ولذلك حكموا بشذوذ همز « مصائب » وشذوذ همز « معاش » .

وليس معنى أننا ننكر أن يدرس الإعرال والإبدال دراسة صوتية ، بل على العكس

من ذلك إننا نرى أن دراسة الظاهرة صوتياً قد تساعد على فهمها وتجليتها غير أننا نرى أنها لكي تدرس دراسة صوتية ينبغي أن تعمق هذه الدراسة حتى لا يحدث تناقض في القواعد التي يمكن وضعها لإحكام هذه الظاهرة .

ونلاحظ أيضاً أن جان كانتينو يلجأ مع هذه الدراسة الصوتية إلى مثل ما لجأ إليه الصرفيون العرب القدماء كأن يقول بأن كذا حمل على كذا أي قيس عليه مثل قوله « إذا وقعت الواو والياء بين فتحة طويلة وفتحة قصيرة سلمتا نحو : قال وسائر وأما قولهم في النصب « إرضاء » و « وفاء » فلا يناقض هذه القاعدة كما يظهر لك وإنما ذلك راجع إلى حملهم حالة النصب على حالة الرفع والجر (٣) والواقع أنه يتناقض ولن يسلم من هذا التناقض بسبب قوله إنهم حملوا حالة النصب على حالة الرفع والجر . لأن الممول فيه على الوصف الصوتي هو النطق ولا يستقيم مع طريقة الوصف الصوتي القول : بأن كذا حمل على كذا ، وإلا فقد عدنا إلى أسلوب القدماء وطريقتهم في التناول ، ومعنى هذا أنه ينبغي ألا نلجأ إلى أسلوب آخر إلا إذا كان متكاملًا مطردًا لا ينقض آخره أوله .

(١) الصواب أن تكون ( إرضاء ) لأنها من الرضوان والمادة ( ر . ض . و ) .

(٢) انظر صفحة ١٣٩ .

(٣) المرجع المشار إليه ص ١٣٩ .

وإننا لنلاحظ كذلك أن الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي كقول جسان كانتينو « وإذا وقعت الواو بعد كسرة ياء وينتج عن هذه العملية حدوث مجموعة هي «سي» تصير كسرة طويلة أي (سى) إذا كان بعدها حرف ، وتبقى على حالها إذا كانت متبوعة بحركة نحو : ميولاد ميئلاد - ميلاد

ديوار دييار (١)  
عاليو عالي

أقول إننا نلاحظ أن مثل هذه الأمور التي سلمت عن طريق الوصف الصوتي قد سلمت كذلك للنحاة والصرفيين العرب القدامى من قبل وهذا الوصف نفسه .

وهناك باحثون آخرون عرضوا لمسائل الإعلال والإبدال منهم هنرى فليش الذى وضع أسسا عامة لهذه الظاهرة هي في الواقع وصف لمواقع قلب حررف العلة بعضها إلى بعض وهذا الوصف مجمل يمكن أن يتوجه إليه النقد ، ولانود أن نطيل بذكر ما عرض له (٢) كما أن هناك من أرجع ظاهرة الإعلال إلى أصل سامي قديم حيث يقول : «وأحد أنواع تبديل الواو والياء بالهمزة

مطرده قديم جدا وهو في حالة وقوعها بعد فتحة ممدودة مثاله قائم وسائر إلى غيرهما . والدليل على أن ذلك التبديل يرتقى إلى اللغة السامية الأم هو أننا نجده في الأكادية والآرامية» (٣) .

وإذا كان برجسراسر يؤكدا أن الإعلال بين الواو والياء وبين الهمزة ظاهرة سامية الأصل لوجودها في عادة لغات سامية فإن باحثا محدثا ينكر هذه الظاهرة من أساسها ويحكم بتخلف القدماء ومن وافقهم من المحدثين فيقول «إننا - من وجهة نظرنا - نحكم بخطأ القدماء ومن وافقهم من المحدثين في كل ما زعموه من دعاوى الإبدال في هذا الباب لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشتركة لحدوث الإبدال» (٤) ثم يجهد نفسه في محاولة للبحث عن تفسير آخر لهذه الظاهرة ، وقد اقتنع بتفسيرات خاصة منها أن إبدال الواو والياء همزة في الطرف بعد ألف زائدة مثل كساء وبناء ليس إبدالا وإنما هو إقفال للمقطع المفتوح وتصحيح الكلمة في الوقف فأثر الناطق إقفال هذا المقطع المفتوح بإحلال الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال ، بل من أجل تصحيح نهاية

(١) انظر ص ١٣٩ .

(٢) يمكن الرجوع إلى أسس هنرى فليش هذه في العربية الفصحى ( ترجمة د . عبد الصبور شاهين ) من ٣٥ إلى ٥٠ وكذلك ( القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين حيث شرح كثيرا من هذه الأسس في بحث مشكلة الهمزة ، وناقشها صفحة ٥٥ وما بعدها ، واعتمد عليها .

(٣) برجسراسر : المنظور النحوي : ٣١

(٤) القراءات القرآنية د . عبد الصبور شاهين ٧٧ ، قد تردد هذه الآراء نفسها في كتابه « المنهج الصوتي للغة العربية » ص ١٦٧ وما بعدها حتى صفحة ٢٠٢ .

الكلمة . ولا علاقة صوتية مطلقا بين  
الهمزة وبين الياء والواو . توجب إبدال  
(ما) (١) وإذا كان ما يقوله صحيحا فلماذا  
لم يقفل المقطع في مثل ( الآي ) و ( الغاي )  
و ( الراي ) (٢) وكل ما آخره مقطع مفتوح  
منته بحرف علة ، ثم إذا كان هذا من أجل  
الوقف - كما يقول - فلماذا لم تعد تلك الكلمات  
إلى حالتها عند وصلها ؟ وبعد هذا كله فإنه  
يرى أن هذه الهمزة كانت ياء أو واو  
لكنه لا يريد أن يسميها إبدالا ، ونحن نقول له :  
سميها ما شئت مادامت تسميتها ( إبدالا )  
غير مرضية عندك ، فنحن نسميها كما سماها  
الأقدمون - والمحدثون أيضا - حفاظا على  
المصطلح ووصفا للظاهرة .

وأما بقية مسائل الإبدال بين أحرف  
علة والهمزة فإنه يخضعها لتفسير واحد  
« لأن مشكلتها واحدة هي مشكلة تتابع  
الحركات على تفاوت في كميتها من مسألة  
لأخرى (٣) وليس هذا على سبيل الإبدال  
ولكنه - هذه المرة - على سبيل التعويض  
فكل من : قاويل تحولت إلى قائل فعوض

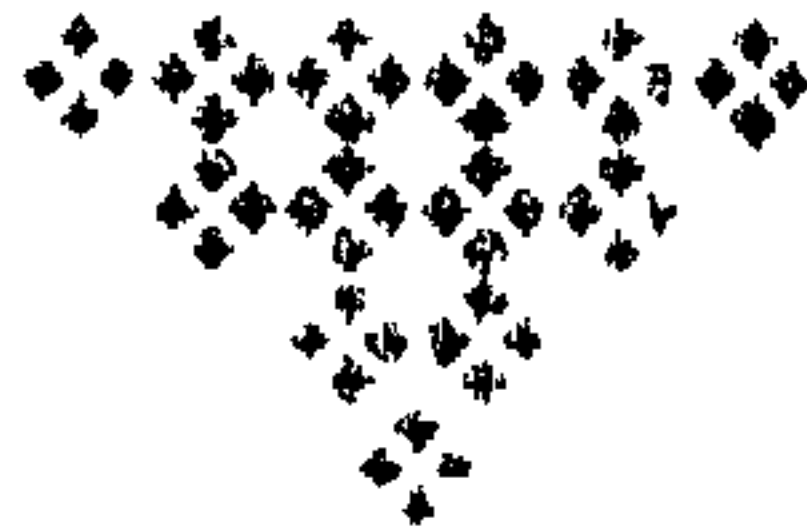
بالهمزة عن الواو . وعجائز تحولت  
إلى عجائز وصحائف إلى صحائف إلخ .  
كل ذلك على سبيل التعويض حتى لا تتابع  
الحركات .

ولست أدري ما الذي جعل العرب  
« يعوضون » في هذه المسائل ولا يفعلون  
ذلك في نحو : مئة - آود ، مجاور ، ومُعَاين  
ومُبَاين وأمثالها وهي في المنطق مثل عجائز  
وصحائف ؟ إن العربية عندما أعلنت تلك  
وصحمت هذه كانت ترمى إلى نوع من  
الاطراد تنبه له الصرفيون القدماء .

إن هذه الآراء التي تنظر إلى القديم  
بعين الاحتقار وترى أن الأنحد به  
ضرب من « الرجعية » لا تلبث أن تقع  
عند أول خطوة تحاول بها الفكاك من أسر  
صوابه . لقد درس القدماء اللغة من جوانبها  
المختلفة . واطردت نظرتهم واستقامت  
لهم الطريق فلم يقعوا في مثل ما يقع فيه أولئك  
« المجددون » من خلط واضطراب .

والله ولي التوفيق

محمد حماسة عبد اللطيف  
مدرس النحو بكلية دار العلوم



(١) السابق ص ٨١ . (٢) جمع آية وغاية ورابة . انظر القاموس ٣٧٢٤ . ٣٣/٨ .

(٣) القراءات القرآنية : ٨٨ .



# إعجال الواو والياء في اللغة العربية دكتور صلاح الدين صالح منين

## مخرج الواو والياء وصفتهما :

### ( أ ) الواو :

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق الضمة ، ثم ترك هذا الوضع بسرعة إلى وضع نطق حركة الفتحة ، وعند نطق الواو تنضم الشفتان ، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان ، فالواو إذاً صوت مجهور شفوي حنكي قصي (١) .

أما ابن الجزري فقد وصف الواو مخرجين ، الأول الجوف وهو للألف والواو الساكنة المضمومة ما قبلها والياء الساكنة المكسورة ما قبلها . وهذه الحروف تسمى أحروف المد واللين . وتسمى الهوائية والجوفية . قال الخليل : وإنما نسب إلى الجوف لأنه آخر انقطاع مخرجهن . والمخرج الثاني وهو للواو غير المدية ومخرجها مما بين الشفتين (٢) .

ونتفق مع ابن الجزري في تحديد مخرج الواو المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه بأن أقصى اللسان يرتفع نحو أقصى الحنك عند نطق الواو فالواو في رأي صوت شفوي حنكي قصي .

### ( ب ) الياء :

تبدأ أعضاء النطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق حركة الكسرة ، ثم تنتقل بسرعة إلى نطق حركة الفتحة . وعند نطق الياء يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب وتكسر الشفتان ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان . فالياء صوت مجهور حنكي وسيط (٣) .

أما ابن الجزري فقد وصف للياء مخرجين ، الأول : الجوف وهو للياء عندما تكون حرف مد أو لين ، والثاني : وهو للياء غير المدية ،

( ١ ) د . محمود السمران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : ١٩٧ - ١٩٨

( ٢ ) ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر : ١٩٩/١

( ٣ ) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي : ١٩٨

ومخرجها من وسط اللسان بينه وبين وسط  
الحنك (١).

ونتفق مع ابن الجزرى فى تحديد مخرج  
الياء المدية وغير المدية ، إلا أننا نزيد عليه  
أن الشفتين تكسران ، وهذا فى الحقيقة يميز  
الياء المدية فى نحو ( فى ) .

اختلاف الواو والياء عن الحروف الأخرى :

تختلف الواو والياء عن الحروف الأخرى :  
فهما ليسا رخوين ، لأنه لا يحدث تضيق  
فى مجرى الفم بشكل يساعد على إنتاج  
الاحتكاك ، وهما ليسا شديدين ، لأنه  
لا يحدث التقاء محكم لأعضاء النطق بشكل  
يساعد على إنتاج الانفجار ، يقول ابن جنى  
فى تأكيد هذا الخلاف : « اعلم أن الصوت  
عرض يخرج مع النفس مستطيلاً ، حتى  
يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع  
تغنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع ،  
أينما عرض له حرفاً ، وتختلف أجراس  
الحروف بحسب اختلاف مقاطعها . . . فإن  
اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت  
عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً  
حتى ينفذ ، فيفيض حسيراً إلى مخرج الهمزة ،  
فينقطع بالضرورة عندها ، إذا لم يجد منقطعاً  
فما فوقها .

والحروف التى اتسعت مخرجها ثلاثة :  
الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وأليتها الألف  
إلا أن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف  
للصوت الذى يجرى فى الياء والواو ، والصوت  
الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى  
يجرى فى الألف والواو . والعلة فى ذلك  
أنك تجد الفم والحلق فى ثلاث أحوال  
مختلف الأشكال . . . أما الألف فتجد الحلق  
والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت  
بضغط أو حصر ، وأما الياء فتجد معها  
الأضراس سفلاً وعدواً قد اكتشفت جنبتي  
اللسان وضغطته وتفاج (٢) الحنك عن ظهر  
اللسان ، فجرى الصوت متصعداً هناك .  
فلأجل تلك الفجوة ما استطال : وأما الواو  
فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض  
الانفراج ، ليخرج فيه النفس ويتصل  
الصوت (٣) .

### وظيفة الواو والياء :

١ - تقوم الواو والياء بوظيفة الحروف  
فتتبع بحركة مثل ولد ، ويترك ، وقد تسكنان  
نحو حَرَضَ وبَيَّتَ .

٢ - تقوم الواو والياء بوظيفة الحركات (٤)  
وهذا ما أسماه اللغويون واو المد نحو كتبوا  
وياء المد نحو تكتبين ، والمصطلحين مصطلح  
خاص هو الضمة الطويلة والكسرة الطويلة .

(٢) تفاج : تباعد .

(١) النشر فى القراءات العشر : ٢٠٠/١ .

(٣) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب : ٨-٩٤ .

(٤) د . كمال بشر ، الأصوات : ٨٤ - ٨٥ .

معنى هذا أن الواو والياء طبيعتهما انتقالية ،  
ولهذا يسميان صوتين انزلاقيين . والأمثلة  
الآتية توضح ذلك :

من المعروف أن المضارع من ( دعا )  
هو ( يدعو ) ومن ( رمى ) هو ( يرمى ) .  
فالواو في ( يدعو ) والياء في ( يرمى ) حرفا  
مد ، وعند نصب هذين الفعلين بالفتحة  
على آخرهما سجد أن الواو والياء يقومان  
بوظيفة الجرووف نحو ( لن يدْعُوْ ) و ( لن  
يرْمِيْ ) . ويرجع هذا الانتقال في الوظيفة  
إلى أن الواو واقعة بين ضمة وفتحة ، والياء  
واقعة بين كسرة وفتحة ، فهما إذاً يسهلان  
الانتقال بين هاتين الحركتين ، وهذا الانتقال  
يتضح أيضاً عند إسناد الفعلين ( يدعو ويرمى )  
إلى ألف الاثنين فيقال : ( يدْعوان ويرميان )  
وأشار ابن الحاجب إلى ذلك بقوله : إن  
الواو والياء هنا يصحان نحو لن يغزو ولن  
يرمى (١) .

التغيير الذي يطرأ على الواو والياء :

يسمى التغيير الذي يطرأ على الواو أو الياء  
بالإعلال (٢) أو بالتطور ، من ذلك مثلاً  
تتحول الواو أو الياء إلى فتحة طويلة ( ألف  
مد ) نحو قَوْمَ وقَامَ . وبَيْنَ وبَكَانَ ، وتبدل  
الواو المسبوقة بالكسرة ياء نحو مُعَوِد ومعيد .

وتبدل الياء المسبوقة بالضمة واواً نحو طُيْبِيَّ  
وطُورِيَّ . وتبدل الواو والياء همزة إذا وقعتا  
بعد فتحة طويلة ( ألف مد ) نحو قاوم  
وقاظم ، باين وبائن .

فالإعلال إذاً ضرب من التطور . ومما  
يبدل على ذلك أن هناك صيغاً حافظت على  
الصيغة الأصلية في بيئة معينة . فإذا انتقلنا  
إلى بيئة أخرى وجدنا أن هذه الصيغة  
تطورت ، فتغيرت عن الصيغة الأصلية .  
من ذلك مثلاً :

١ - روى أبو زيد أن قيس تقول :  
العَفْءَ وغيرها يقول : عَفْءَاة (٣) .

٢ - قرأ قتادة قوله تعالى : « لَمْثُوبَةٌ » من  
عند الله خير « ( البقرة آية ١٠٣ ) بإسكان  
الثاء وفتح الواو أي « لَمْثُوبَةٌ » (٤) . ووصف  
الليثاني هذه الصيغة بأنها شاذة ، وأضاف  
إلى ذلك قوله : « وقال السكلابيون لا نعرف  
المَمْثُوبَةَ ولكن المشابة » (٥) .

٣ - حكى الفراء قول الشاعر عياض  
ابن أم درة الطائي :

حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا  
ولا نسأل الأقوام عهد الميثاق  
في حين رواه أبو زيد بالواو على القياس  
أي عهد الموائق .

(١) شرح الشافية : ١٥٥ .

(٢) شرح المفصل : ٥٤/١٠ .

(٣) د . علم الدين الجندى ، اللهجات في التراث : ٥٣١ .

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشره برجستراسر سنة ١٩٣٤ .

(٥) لسان العرب لابن منظور .



٤ - ذكر ابن جني عن أبي علي قراءة عليه عن أبي العباس عن أبي عثمان الأصمعي . قال : بنو تميم - فيما زعم علماؤنا - يتمون منعولاً من الياء فيقولون : ثوب مخيوط . وبر مكبول . وبسرة مطبوبة (١) . وأنشد علقمة :

يوم رذاذ عليه اللجن مغيوم (٢)  
قال الشاعر :

قد كان قومك يزعمونك سيداً  
وإخسالك أنك سيد مغيوم (٣)

أما أهل الحجاز في مثل هذا فيحذفون (٤) .

٥ - جاء في الخصائص لابن جني ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ، قال : يقال استصوبت الشيء ولا يقال : استصبت الشيء . ومنه استحوذ وأغشيت المرأة واستنوق الحمل . واستتيست الشاة (٥)

٦ - جاء في المكنز لسيدويه وتبدل (الواو) مكان الألف في الوقف وذلك قول بعضهم : أفعو (٦) وعزا اللسان صيغة أفعو إلى تميم وصيغة أفعى إلى أهل الحجاز (٧) .

وبعد فهذه صيغ قديمة لم ياحققها التطور . وليست شاذة كما ذهب اللغويون ، فقد

وصف ابن جني هذه الصيغ بأنها مفردة في الاستعمال (٨) .

يوصف التطور الذي يطرأ على الأصوات بأنه بطيء . ولا يحدث في كل الصيغ اللغوية . فقد يحدث في صيغة ولا يحدث في صيغة أخرى ، فمثلاً الصيغة السامية القديمة (قَومَ) احتفظت بها الحبشية القديمة (الحجزية) فهي فيها (Qawam) (٩) أما في العربية فقد تطورت وأصبحت (قَامَ) ، والصيغة السامية القديمة (عَورَ) و (صَيَدَ) ظلت في العربية دون تطور . ومن هذا القبيل أيضاً أن الواو والياء تُعلَّان في نحو (يَقُولُ) و (يَسِينُ) فتحول الأولى إلى (يَقُولُ) والثانية إلى (يَسِينُ) ، ولكنهما لم يُعلَّان في صيغة النعل المضاعف نحو ابْيَضَّ واسْوَدَّ . وصيغة التعجب نحو (ما أبين) و (ما أقوم) . ومن هذا أيضاً أن الواو والياء المحركتين بالفتحة الطويلة تعلن في المصدر ، فتقلبان ألفاً . ثم يستعاض عن أحد الألفين بتاء مربوطة نحو (استقوام) و (استقامة) ، ولكنهما يسلمان في صيغ جموع التكسير نحو (قوت وأقوات) و (صوت وأصوات) .

(١) انظر نوادر أبي زيد - ٢٦٤ والخصائص ٣-١٥٧ ، وشرح المفصل ١٢٢/٥

(٢) المقتضب : ١٠١/١٠ ، الخصائص : ٢٦١/١ ، العيني : ٥٧٦/٤

(٣) قائله العباس بن مرداس راجع المقتضب : ٢٠١/١ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٨١ ، وشرح التصريح : ٣٩٥/٢

(٤) د . علم الدين الجندى ، اللهجات في التراث : ٣١ و ١٥ :

(٥) الخصائص : ١ / ٩٧-٩٨

(٦) الكتاب : ٢١١/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٧) اللسان ٢٠ / ١٨

(٨) القياس والنحو العربي مجلة كلية اللغة العربية : ٣٠٢/١٠

(٩) (ترجمتي الخاصة) Dilmann, Ethiopic Gr. P. 105

ويؤتبط حدوث التطور أيضاً بظاهرة أخرى هي ظاهرة الموقعية (١) ، من أمثلة ذلك ما يلي :

١- إذا سبقت الواو أو الياء الساكنتان بفتحة قصيرة فإنهما لا يسقطان إذا وقعا في وسط الكلمة نحو : يَوْمٌ ، وَبَيْتٌ ، وَحَوْقُلٌ ، وَشَيْطَانٌ ، ويسقطان إذا وقعا في طرف الصيغة نحو ( عَصَوُ وَعَصَا ) و ( قُرَى وقرى ) .

٢- الواو والياء المتحركتان بالفتحة المسبوقتان بساكن تتحولان إلى فتحة طويلة ( ألف مد ) إذا وقعتا في الوسط نحو ( يَتَقَوَّمُ وَيُقَامُ ) ( أَقْوَمَ وَأَقَامَ ) ولكنهما تسليان إذا وقعتا في الطرف نحو عَدُوٌّ وَحَيٌّ وَصِنُوٌّ .

قوانين التطور اللغوي :

من أهم قوانين التطور اللغوي المشابهة والمخالفة :

أولاً : المشابهة :

هي عملية تحويل صوت إلى صوت آخر يشابهه أو يكون قريباً من الصوت التالي له أو السابق له ، والمشابهة نوعان : النوع الأول ، وفيه يؤثر الصوت الأول على الصوت الثاني ، فيتحول الصوت الثاني إلى صوت يشبه الصوت الأول وتسمى مشابهة تقديمية .

والنوع الثاني ، وفيه يؤثر الصوت الثاني على الصوت الأول فيتحول إلى صوت مشابه له أو قريب منه وتسمى مشابهة رجعية .

**المشابهة التقديمية :**

ويؤدي هذا النوع إلى سقوط الصوت الثاني . والصوت المؤثر قد يكون صامتاً أو حركة . والمتأثر واو أو ياء .

( أ ) عندما يكون الصوت المؤثر صامتاً ( حرفاً ) :

١ - تؤثر الياء على الضمة الطويلة ( واو المد ) التالية لها في صيغة اسم المفعول الأجوف اليائي ، فتحول إلى كسرة طويلة ( ياء مد ) ثم تسقط الياء ، وتنتقل الكسرة الطويلة ( ياء المد ) إلى الصامت ( الساكن ) قبلها فيتغير التركيب المقطعي للكلمة نحو مَسْبِيُوعٌ ومَسْبِيَعٌ .

٢ - تؤثر الياء الساكنة على الواو التالية لها مباشرة فتحول إلى ياء ، وتندغم في الياء السابقة نحو أَيَّوَامٌ وَأَيَّامٌ ، سَيَّوَرِدٌ وَسَيَّيْدٌ .

( ب ) عندما يكون الصوت المؤثر حركة :

١ - تؤثر الكسرة على الياء الساكنة التالية لها فتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ،

( ١ ) يقصد بالموقعية الموقع الذي يقع فيه الواو أو الياء ، فقد يقعان في بداية الكلمة أو في وسط الكلمة أو في طرف الكلمة ، وقد بنى سيبويه دراسته لإعلال الواو والياء على موقعيهما في الكلمة ، يقول في قلب الواو همزة في نحو وعاء وإعاء : ولكن ناسا كثيرين يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة ، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أولاً ... ( الكتاب : ٣٣١/٤ ) وبنى سائر اللغويين قواعد إعلاهم على أساس الموقعية ، من ذلك مثلاً : إذا نظرت الواو والياء بعد ألف زائدة قلبت همزة ( تصريف الأسماء د . عبد الرحمن شاهين : ١٦٧ ) .

ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو : ( مَيْمَات ومَيْمَاتَات ) .

وتؤثر الضمة على الواو الساكنة التالية لها فتتحول إلى واو مد للضمة السابقة ويتحول المقطع المغلق إلى مقطع مفتوح نحو ( مَوْصَلَة ومَوْصَلَة ) .

٢ - تؤثر الكسرة على الواو التالية ، فتتحول إلى ياء نحو ( رَضِي وَرْضِي ) ، وإن كانت الواو ساكنة تتحول إلى ياء وتصبح الياء كسرة طويلة ( ياء مد ) نحو ( إَوْعَاد وإِيعَاد ) و ( عَالُو وعَالِي وعَال ) و ( مَوْلَاد ومِيلَاد ) ، وأشار اللغويون القدماء إلى ذلك فقالوا . تبدل الواو ياء لوقوعها ساكنة مفردة إثر كسرة (١) .

### المشابهة الرجعية :

يؤدي هذا النوع إلى سقوط الصوت الأول ، والصوت المؤثر قد يكون الواو أو الياء أو حركة .

( أ ) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر واواً أو ياء ، والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ - تؤثر الياء على الواو الساكنة السابقة لها مباشرة ، فتتحول إلى ياء نحو ( شَوَى وشَيَّ ) و ( كَوَى وكَيَّ ) .

(ب) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر واواً أو ياء والصوت الأول المتأثر حركة :

تؤثر الياء الساكنة على الضمة السابقة لها مباشرة فتتحول إلى كسرة ، ثم تصبح الياء الساكنة حرف مد للكسرة السابقة مثل : ( بَيْض وبَيْض ) .

(ج) عندما يكون الصوت الثاني المؤثر حركة والمتأثر هو الواو أو الياء :

١ - تؤثر الكسرة على الياء السابقة لها فينتج كسرة طويلة ، وتنقل هذه الحركة إلى الساكن قبلها نحو : ( يَسِيرٌ ويسِير ) و ( مُصِيبٌ ومُصِيب ) .

٢ - تؤثر الكسرة على الواو السابقة لها فتتحول إلى ياء ، ثم تتحول الكسرة والياء - كما في الحالة الأولى - إلى كسرة طويلة ، وتنقل إلى الساكن قبلها نحو ( مصيوب ومُصِيب ومُصِيب ) و ( مضيف ومُضِيف ومُضِيف ) .

٣ - تؤثر الضمة على الواو السابقة لها فينتج ضمة طويلة وتنقل إلى الساكن قبلها نحو ( يَمْقُولٌ ويقُول ) .

٤ - تؤثر الفتحة على الواو أو الياء السابقتين فتبدلها ألفاً نحو ( يَمْقُولٌ ويقَالُ ) و ( أَبَيْنَ وأَبَان ) .

( ١ ) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٩٥ .



هـ - تؤثر الضمة الطويلة ( واو المد ) على الواو السابقة لها فتسقط . وتثقل الضمة الطويلة ( واو المد ) إلى الساكن قبلها نحو ( مصوون ومصوون ) .

### ثانيا : المخالفة (١) :

تتمثل في نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ، وتميل الواو أو الياء إلى قلبهما همزة في اللغة العربية في الأحوال الآتية :

١ - إذا التقت واوان في أول الكلمة ، تخالف الواو الأولى إلى همزة نحو ( وواق وأواق ) .

٢ - الواو المفتوحة أو المكسورة أو المضدومة في بداية الكلمة تخالف إلى همزة عند أهل تميم نحو ( وشاح وإشاح ) .

٣ - الواو والياء المحركة بالكسرة والمسبوبة بفتحة طويلة في صيغة اسم الفاعل تخالف إلى همزة نحو ( قاول وقائل ) و ( بايع وبائع ) وكذلك في المصادر نحو لقاء وبقاء وحياء وذلك عند أهل العالية (٢) .

**ثالثا :** تكون الواو والياء ضعيفتين إذا وقعتا بين حركتين قصيرتين نحو ( قوم وقام ) و ( بينَ وبان ) ، لذلك يميلان نحو السقوط في أوزان صرفية معينة وفي موقع معين .

إلا أنهما يسلمان إذا ضعفاً نحو سعودي وسوري وعراقي ، ويكثر ذلك في صيغ النسب .

### رابعا : سبب مقطعي :

إذا وقعت الواو أو الياء في نهاية مقطع مزدوج تميل إلى السقوط لأن اللغة العربية تميل إلى التخلص من هذا النوع من المقاطع نحو ( ليست ولست ) .

وفيا يلي دراسة مفصلة عن إعلال الواو والياء وفق أسس ثلاثة هي :

- ١ - قوانين التطور .
- ٢ - الصيغ التي يحدث فيها الإعلال .
- ٣ - الموقع الذي يحدث فيه الإعلال .

وسنقسم هذه الدراسة إلى قسمين : القسم الأول ، وهو خاص بالواو أو الياء الساكنتين ، والقسم الثاني خاص بالواو أو الياء المحركتين .

### القسم الأول : الواو والياء الساكنتان :

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة قصيرة تسبق الواو والياء بحركة قصيرة قد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة .

#### ١ - الفتحة

للموقعية والوزن الصرفي أثر في حدوث الإعلال أو عدم حدوثه .

( ١ ) يقصد بالمخالفة إبدال الحرف حرفا يخالف الأول تمام المخالفة كقلب الواو همزة ، فالهمزة تخالف الواو تماما .  
( ٢ ) المقصود بأهل العالية هو نجد . قال الأصماني نقلا عن ابن الأعرابي نجد ريسان : السافلة والعالية ، فالسافلة ماولى العراق والعالية ماولى الحجاز وتهامة ( اللجئات في التراث : ٩ )

من حيث الموقعية : أولاً في وسط الكلمة.

من حيث الصيغة الصرفية :

هناك ثلاث حالات هي :

( أ ) سقوط الواو والياء .

( ب ) المحافظة على الواو والياء .

( ج ) تحويل الواو ياء .

( أ ) سقوط الواو والياء :

تسقط الواو والياء في صيغة المضارع على وزن ( يَفْعِلْ ) نحو وَعَدَ فأصل صيغة المضارع ( يَوْعَدُ ) وأصبحت ( يَعْدُ ) وكذلك زاد، أصل صيغة المضارع ( يَزِيدُ ) وأصبحت ( يَزِيدُ ) . وسار ، أصل صيغة المضارع ( يَسِيرُ ) وأصبحت ( يَسِيرُ )<sup>(١)</sup> .

( ب ) المحافظة على الواو والياء :

يحافظ على الواو والياء في الأوزان الصرفية الآتية :

١ - فَعْلٌ نَحْوُ يَوْمٍ وَصَوْمٍ وَسَوْعٌ وَبَيْتٍ وَسِيرٌ .

٢ - فَعْلَانَةٌ نَحْوُ عَوْرَةٍ وَبَيْضَةٍ .

٣ - مَفْعِلٌ نَحْوُ مَوْعِدٍ وَمَوْقِعٍ .

٤ - مَفْعُولٌ نَحْوُ مَوْثُوقٍ .

٥ - صيغة المضارع ( يَفْعَعِلْ ) نحو بَيْبَسَ .

٦ - صيغة استفعل نحو استولى .

٧ - صيغة أفعل نحو أيقن وأيقظ وأوعد .

٨ - صيغة فاعل نحو حوقل وشيطان .

٩ - صيغة تنفعل نحو تمكيد . وقد تقلب

الواو همزة عند بعض العرب فيقولون تَأْكِي<sup>(٢)</sup> .

( ج ) تحويل الواو إلى ياء :

تتحول الواو إلى ياء في حالتين :

( أ ) إذا تبعث الواو بالياء نحو ( رَوَّانٍ ورِيَّانٍ ) .

( ب ) إذا وقعت رابعة أو خامسة نحو ( أَعْطَوْتُ وَأَعْطَيْتُ ) و ( زَكَّوْتُ وَزَكَّيْتُ ) و ( تَعَاوَتُ وَتَعَايَتْ ) وعلى هذا النحو تزكَّيتُ وتساقيتُ واستدعيت .

ثانياً : في طرف الكلمة :

تسقط الواو والياء . وتندثر فتحة طويلة ( ألف مد ) في الأفعال والأسماء ، ومع الأسماء المنونة تنحصر الفتحة الطويلة إلى فتحة قصيرة نحو ( عَصَوُ وَعَصَا الولد ومع التنوين عَصَا ) و ( قُرِّيَّ وَقُرِّيَّ ومع التنوين قُرِّيَّ وبالمثل ( خُطِرَ وَخُطَا ) و ( شَتَّى وَشَتَّى ) و ( عَفَى وَعَفَا ) و ( أَعْمَى وَأَعْمَى ) ، ( مَسَمَوْ وَمُسَمَّى ) . ويرى النحاة أن الواو والياء هنا محركتان على أساس وجود حركة الإعراب ، وبالتالي تكون الواو أو الياء قد تحركتا وانفتح ما قبلهما فقلبتا ألفاً ( أى فتحة طويلة ) ، ولكننا نرى

(١) د . إبراهيم هلال في الوافي الحديث في التصريف : ١٧٧ - ١٨٧ .

(٢) ابن السكيت ، إصلاح المنطق : ٥٩ .

أن الإعراب لا يظهر في الكلمات المفردة البعيدة عن التراكيب ، لهذا نرى أن الكلمات هنا ساكنة الآخر .

## ٢ - الكسرة

من حيث الموقع :

أولاً : في وسط الكلمة .

تؤثر الكسرة على الراء التالية لها فتستبدل ياء من باب المماثلة التقديمية ، ثم تتحول الياء إلى حرف مد للكسرة السابقة . أما الياء فتتحول إلى كسرة طوياء ( حرف مد للكسرة السابقة ) .

من حيث الصيغة الصرفية :

تطبق القاعدة السابقة على الصيغ الآتية :

١ - فِعْلٌ نحو ( طَيْبٌ و طَيِّبٌ ) و ( دِيكٌ و دِيَاكٌ ) .

٢ - فِعْلةٌ نحو ( ثِيورةٌ و ثِييرةٌ ) .

٣ - فِعْلاَنٌ نحو ( خِيولانٌ و خِيالانٌ ) و ( جِيورانٌ و جِييرانٌ ) و ( جِيوعانٌ و جِييعانٌ ) .

٤ - مِفْعَالٌ نحو ( مِيوعَادٌ و مِيِيَعَادٌ ) و ( مِيوقَاتٌ و مِيِيَقَاتٌ ) و ( مِيوزانٌ و مِييزانٌ ) .

٥ - إِفْعَالٌ نحو ( إِيوقَادٌ و إِييقَادٌ ) .

٦ - اسْتِفْعَالٌ نحو ( اسْتِيوثاقٌ و اسْتِيثاقٌ ) (١)

و ( اسْتِيولاءٌ و اسْتِيلَاءٌ ) ، يقول اللغويون ؛

تتحول الواو إلى ياء لوقوعها ساكنة إثر كسرة (٢) . وشرح سيديويه انقلاب الواو ياء

فقال في باب ماقلب فيه الواو ياء : وذلك

إذا سكنت وقبلها كسرة : فمن ذلك قولهم

الميزان والميعاد ، وإنما كرهوا ذلك كما

كرهوا الواو مع الياء في لَيْتَةٍ و سَيِّدٌ ونحوهما ،

وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه

ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف

ويضموا الثاني نحو فِعْلٌ ، ولا يكون ذلك

لازماً في غير الأول أيضاً ، إلا أن يدركه

الإعراب ، نحو قولك : فخذ . وترك الواو

في مِيوزان أثقل ، من قبل أنه ساكن فليس يحجزه

عن الكسر شيء ، ألا ترى أنك إذا قلت وتيدة (٣)

قوى البيان للحركة ، فإذا أسكنت التاء لم

يكن إلا الإدغام ؛ لأنه ليس بينهما حاجز ،

فالواو والياء بمنزلة الحروف التي تتداني في

المخرج ، لكثرة استعمالهما إياها ، وأنهما

لا تخافو الحروف منهما ومن الألف ، أو

بعضهن ، فكان العمل من وجه آخر أخف

عليهم ، كما أن رفع اللسان من موضع واحد

أخف عليهم في الإدغام ، وكما أنهم إذا أدنوا

الحرف من الحرف كان أخف عليهم ، نحو

قولهم ازدان واصطبر ، فهذه قصة الواو

والياء (٤)

( ١ ) استوثاق صيغة استفعال من الفعل استوثق والفعل المجرد منه وثق .

( ٢ ) د . عبد الرحمن شاهين ، تفسيريف الأسماء : ١٦٥

( ٣ ) وتدة مصدر من الفعل وتد .

( ٤ ) الكتاب : ٤ / ٣٣٦ و ٣٣٧ تحقيق عبد السلام هارون .



ثانياً : في طرف الصيغة :

الياء :

هناك حالتان من حالات المماثلة .

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو من باب المماثلة التقديمية ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى ياء من باب المماثلة الرجعية ، وتصبح الياء حرف مد للضمة السابقة . وفيما يلي دراسة مستقلة عن هاتين الحالتين :

الحالة الأولى : وفيها تؤثر الضمة على الياء التالية لها فتتحول إلى واو ، ثم تصبح الواو حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ويقول اللغويون : تبدل الياء واواً لوقوعها ساكنة بعد ضمة .

من حيث الموقع .

أولاً : في وسط الكلمة .

من حيث الصيغة .

يحدث هذا الإعلال في الصيغ الآتية :

١- اسم الفاعل مفعِّل نحو (مُفَعِّلِينَ وَمُفَعِّلِينَ) و (مُفَعِّلِينَ وَمُفَعِّلِينَ) .

٢- فُعِّلَ عندما تكون اسماً نحو ( ضُعِّقَ وضُوقَ ) و ( كُيِّسَ وكُوسَى ) ، و ( طُيِّبَ وطُوبَى )<sup>(٣)</sup>

تؤثر الكسرة على الواو التالية فتتحول إلى ياء ثم تصبح ياء مد للكسرة السابقة ، أما الياء فتتحول إلى ياء مد للكسرة السابقة ، وتميل الكسرة الطويلة إلى التقصير مع التنوين نحو ( غَازِيٍّ وَغَازِيٍّ وَمَعَ التَّنْوِينِ غَازٍ ) و ( مُهْتَدِيٍّ وَمُهْتَدِيٍّ وَمَعَ التَّنْوِينِ مُهْتَدٍ ) . يقول اللغويون استثقلت الضمة أو الكسرة على الواو أو الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان ، الواو أو الياء والتنوين ، فحذفت الواو أو الياء وبقي التنوين<sup>(١)</sup> .

### ٣ - الضمة

سندرس الواو مستقلة عن الياء هنا :

الواو :

من حيث الموقع :

في وسط الكلمة .

تؤثر الضمة على الواو التالية فتتحول إلى حرف مد للضمة السابقة ( ضمة طويلة ) ، وذلك عند بعض التباثل العربية نحو ( مُؤَصِّدَهُ وَمُؤَصِّدَةً ) ، وتتحول إلى همزة عند بعض آخر من التباثل العربية نحو ( مُؤَصِّدَةً ) .

جاء في إصلاح المنطق : أنشدنا أبو عمرو عن الكسائي :  
يحن إلى أجيال مكة ناقتي  
ومن دونها أبواب مسنعاء مؤصِّدة<sup>(٢)</sup>

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ١٨٤ (٢) إصلاح المنطق : ١٥٩ و ١٦٠ (٣) أما إذا كانت صفة فتحدث الحالة الثانية ، وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة فتتحول إلى كسرة ، ونصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة فيقال ضيَّقَ وكيَّسَ صفتين ( الكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ تحقيق عبد السلام هارون ) وهذا يعني أن الحالة الأولى تحدث في صيغ صرفية معينة ، والحالة الثانية في صيغ صرفية أخرى ، أما ما ذهب إليه جان كانتنيو من أنه يجوز أن نغلب الياء واواً أو أن تسلم فهذا غير مقبول في نظرنا ، لهذا فؤيد ما ذهب إليه سيبيويه من أن القلب قاصر على الأسماء ، وعدم القلب قاصر على الصفات ( راجع علم الأصوات العربي لجان كانتنيو : ١٣٩ والكتاب : ٤ / ٣٣٨ و ٣٣٩ )

ثانياً : في طرف الكلمة :

من حيث الصيغة :

١ - في صيغة الفعل الماضي فَعَلَ إذا كانت لامها ياء نحو ( قَضَى وَقَضَوْ ) .

٢ - إذا وقعت الياء قبل تاء التأنيث نحو ( مَرْمِيَةٌ وَمَرْمُوءَةٌ ) .

٣ - إذا وقعت قبل زيادتي فعالان نحو ( رَمِيَانٍ وَرَمُوءَانٍ ) .

٤ - إذا كانت الياء لاماً لاسم على وزن فَعْلَى نحو ( تَقْمِي وَتَقْمُوءَى ) ، وذلك للتمييز بين الاسم والصفة . فإن كانت صفة لم تقلب .

الحالة الثانية : وفيها تؤثر الياء على الضمة السابقة . فتتحول الضمة إلى كسرة ، وتصبح الياء حرف مد للكسرة السابقة .

من حيث الموقع :

أولاً : وسط الكلمة

من حيث الصيغة : يحدث ذلك في الصيغ الآتية :

١ - صيغة فَعْلَى عندما تكون صفة نحو ( ضَيِّقٌ وَضَيِّقَى ) و ( كَيْسِي وَكَيْسِي ) .

٢ - صيغة فَعْل جمع أفعال نحو ( هَيَاءٌ وَهَيْمٌ وَهَيْمٌ ) و ( بَيْضَاءٌ وَبَيْضٌ وَبَيْضٌ ) .

ثانياً : طرف الكلمة

من حيث الصيغة :

يحدث ذلك في صيغة تَفَاعُلٍ نحو ( تَوَانِي وَتَوَانِي ) مع التنوين .

الواو والياء الساكنتان المسبوقتان بحركة طويلة :

قد تسبق الواو أو الياء بحركة الفتحة الطويلة ( ألف المد ) أو الكسرة الطويلة ( ياء المد ) أو الضمة الطويلة ( واو المد ) ( أ ) الفتحة الطويلة « ألف المد » :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعَالٍ أو فَعَالٍ .

نثبت الواو أو الياء عند تميم فيقال : حَيَّاي وَكَيْسَي وَبَيْنَي وَرِدَي ، وفِدَي وَعَلَاو وَتخالف الواو أو الياء إلى همزة عند أهل العالية ( أهل نجد ) لذلك يقال : عَلَاءٌ وَحَيَّاءٌ وَكَيْسَاءٌ وَبَيْنَاءٌ وَرِدَاءٌ وفِدَاءٌ ، ثم شاع ذلك في العربية الفصحى .

( ب ) الكسرة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعِيلٍ . ( ياء مد ) .

تتحول الواو الساكنة المسبوقة بكسرة طويلة إلى ياء لتناسب الكسرة ، ثم تقصر الكسرة الطويلة لينشأ مقطع قصير ، لأن اللغة العربية لا تفضل المقطع الطويل في طرف الكلمة ، ويؤدي تقصير المقطع الطويل إلى تضعيف الياء ، يقول اللغويون . اجتمعت الواو والياء وسكنت الأولى فقلبت الثانية ياء

وَأُدْنِمَتْ فِي الْيَاءِ (١) نَحْوُ (جَلِيٍّ وَجَلِيٍّ) .  
وهي صيغة فاعيل من الفعل جلا يحاو .

(ج) الضمة الطويلة :

من حيث الموقع : طرف الصيغة .

من حيث الصيغة : صيغة فَعُول أو فُعُول .

(أ) إذا سبقت الواو بضمة طويلة (واو مد) : تنصرف الضمة الطويلة إلى قصيرة وتضعف الواو نحو (عَدُوٌّ وَعَدُوٌّ) .

(ب) إذا سبقت الياء بضمة طويلة (واو مد) : تؤثر الياء عليها ، فتتحول الضمة الطويلة (واو المد) إلى كسرة طويلة (ياء مد) ثم تنصرف إلى كسرة قصيرة وتضعف الياء نحو (مُضَوٍّ وَمُضَوٍّ) و (عَصَوٍّ وَعَصَوٍّ) . يقول اللغويون : قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسر ما قبل الياء المشددة .

القسم الثاني :

الواو أو الياء المتحركتان إذا سبقتا بحرف

ساكن :

١ - تُعَلَّلُ الواو أو الياء بوجه عام إذا وقعت في وسط الكلمة حسب التفصيلات

المقبلة . ولكنهما يسلمان في الصيغ الآتية :  
(أ) الفعل المضاعف نحو ابْيَضَّ واستودَّ .  
(ب) صيغة أفعَل من المعتل الفاء نحو أَوْفَى وَأَيْقَنَ .

(ج) صيغة التعجب نحو : ما أَبْيَسَ وما أَقْدَمَ (٢) .

٢ - تحول الواو أو الياء إلى حركة طويلة . وتنقل إلى الساكن قبلها ، وبالتالي سيحدث تغيير في التركيب المقطعي للكلمة ، فمثلا (يَسْتَهَيِّبُ) تتكون من ثلاثة مقاطع : الأول مغلق (يَ) . وكل من الثاني والثالث مفتوح (يَ ، بُ) . وبعد الإعرال ستتحول المقاطع الثلاثة إلى مقاطع مفتوحة هي : (يَ - هَا - بُ) ، وهذا الإعرال خاص بصيغ معينة .

٣ - تستقط الواو أو الياء . ويستعاض عنها بقاء التأنيث المربوطة ، ويحدث هذا في صيغ المصادر نحو إقوام (وهي الصيغة الأساسية للمصادر الذي على وزن إفعال) . وإقامة .

وسندرس فيما يلي بالتفصيل أحوال إعرال الواو أو الياء المحركتين والمسبورتين بحرف ساكن :

قد تكون حركة الواو أو الياء فتحة قصيرة أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة أو فتحة طويلة أو ضمة طويلة .

(١) د . عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : ٢٤١

(٢) ابن عقيل : ٥٧٢ / ٢



( ١ ) الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

من حيث الموقع :

أولاً : في وسط الكلمة

من حيث الصيغة :

( أ ) تسقط الياء أو الواو وتنشأ فتحة طويلة

( ألف مد ) في الصيغ الآتية :

١ - صيغة الفعل المضارع ( يَفْعَل ) نحو  
( يَقُولُ وَيُقَالُ ) و ( يُسْأَلُ وَيُسَالُ ) .

٢ - صيغة الفعل الماضي ( أَفْعَل ) نحو  
( أَقُومَ وَأَقَامَ ) و ( أَبَيَّنَ وَأَبَانَ ) و ( أَعُوذَ  
وَأَعَادَ ) .

٣ - صيغة الفعل الماضي ( اسْتَفْعَلَ ) نحو  
( اسْتَعُوذَ واستَعَادَ ) و ( اسْتَشُورَ واستَشَارَ )  
واحتفظت قبيلة تميم بالصيغة الأصلية نحو  
اسْتَحُوذَ واستَتَيْسَ واستَنَوَقَ .

٤ - صيغتا ( مَفْعَلٌ وَمَفْعَلَةٌ ) نحو ( مَسْجُودٌ  
وَمَسَاقٍ ) و ( مَمْوَتٌ وَمَمَاتٌ ) و ( مَسْجُومٌ  
وَمَسَامٌ ) و ( مَطِيرٌ وَمَطَارٌ ) و ( مَكْزُوزَةٌ  
وَمَكَاذَةٌ ) .

٥ - صيغة ( مَفْعَلٌ ) نحو ( مَقْشُومٌ وَمُقَامٌ )  
و ( مَعُوذٌ وَمُعَادٌ ) .

٦ - صيغة ( مُسْتَفْعَلٌ ) نحو ( مُسْتَشُورٌ  
وَمُسْتَشَارٌ ) و ( مُسْتَعُونٌ وَمُسْتَعَانٌ ) .

( ب ) تمتاز أبنية المصادر بأن ألف المد المنقلبة  
عن واو أو ياء - كما في الحالة السابقة -

تسقط ويستعاض عنها بتاء مربوطة في  
طرف الصيغة نحو ( إقوام وإقام وإقامة )  
و ( إبيان وإبان وإبانة ) .

( ج ) تقلب الواو ياء في الصيغ الآتية :

١ - الصفات التي على وزن «فُعْلَى» لتمييزها  
عن الأسماء التي على نفس الوزن ، ويحدث  
هذا القلب عند أهل تميم نحو ( عُلُوٌّ وَعُلْيَا )  
و ( دُنُوٌّ وَدُنْيَا ) أما حِزْوَى وقُصْوَى فهما  
اسمان عند أهل تميم ويستعملهما أهل الحجاز  
صفتين .

٢ - صيغ التصغير التي تقع فيها الواو  
بعد الياء نحو ( جَرَوٌ وَجَرِيٌّ وَجُرِيٌّ ) يقول  
النحاة في تفسير هذا الإعلال : اجتمعت  
الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقاومت  
الواو ياء وأدغمت الياء في الياء .

٣ - لا يحدث إعلال في صيغة ( افْعَلٌ )  
نحو اغْيِمْ<sup>(١)</sup> .

ثانياً : في طرف الكلمة :

تسلم الواو والياء نحو عَدُوٌّ وَرَحِيٌّ وَصِنُوٌّ .

( ٢ ) الواو والياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

١ - تؤثر الكسرة على الواو - من باب  
المماثلة الرجعية - فتتحول الواو إلى ياء :  
ثم تصبح حرف مد للكسرة السابقة نحو  
( مضروف ومضيف ) و ( مقول ومقبل ) .

( ١ ) ابن عقيل : ٥٦٥/٢ ، نصريف الأسماء : ١٦٦ .

٢ - تثبت الياء وتصبح حرف مد للكسرة  
التالية (كسرة طويلة) نحو (مُبِينٍ ومُبِينٍ)  
و (يَبِينٍ وَيَبِينٍ) و (يَسِيرٍ وَيَسِيرٍ) .

٣ - إذا وقع قبل الواو ياء ، تدغم في الياء  
المنقلبة عن واو مثل (سَيُودٍ وسَيُودٍ وسَيُودٍ)  
و (مَيُوتٍ ومَيُوتٍ) (١) .

(٣) الواو المحركة بالضممة القصيرة :

تتحول إلى ضمة طويلة ، وتنتقل إلى الساكن  
قبلها نحو (يَقُولُ وَيَقُولُ) .

وفي صيغ جموع التكسير تخالف الضمة  
إلى همزة عند بعض القبائل العربية نحو  
(أَدُورُ وأَدُورُ) و (أَنُورُ وأَنُورُ) .

(٤) الواو والياء المحركتان بالفتحة الطويلة  
(ألف المد) :

من حيث الموقع : وسط الكلمة .

من حيث الصيغة :

(أ) المصدر :

تسقط الواو أو الياء وتنشأ ألف مد (فتحة  
طويلة) فيلتقى ألفا مد (فتحتان طويلتان)  
فتنتقل إحداهما إلى الساكن السابق ،  
ويستعاض عن الأخرى بتاء مربوطة في نهاية  
الصيغة (٢) ، وعكس النحاة هذا الإعلال بقولهم :  
تحركت عين المصدر بحسب الأصل وفتح  
ما قبلها بحسب الآن ، فقلبت الواو أو الياء

ألفاً ، فالتى ساكنان ، الألف الجديدة التي  
هي عين الكلمة وألف المصدر ، فحذفت  
إحداهما . وعرض عنها تاء ، نحو (استعزواذ  
واستعازة) و (استعزوام واستعامة) و (إقوام  
 وإقامة) و (إضبياف وإضافة) .

(ب) أبنية جموع التكسير :

لا يحدث فيها مثل هذا الإعلال ، وإنما  
تسلم الواو أو الياء نحو (صَوْتُ وأَصْوَات)  
و (قُوت وأَقْوَات) و (باب وأبواب)  
و (موت وأموات) .

وإذا سبقت الواو ياء ساكنة تقلب  
الواو ياء وتدغم في الياء الأولى نحو (يوم وأَيَّام  
وأَيَّام)

(٥) الواو والياء المحركتان بالضممة الطويلة  
(واو المد) :

تخافظ تميم على الواو والياء المحركتان بالضممة  
الطويلة نحو مبيع ومكيول ومديون ومعيون  
ومصوون ومقوون قال ابن جني : بنو تميم  
- فيما زعم علماءنا - يتمون مفعولاً من الياء  
فيقولون : ثوب مخيوط وبسرة مطيوبة  
أما أهل الحجاز فيحذفون الواو وتنتقل  
حركتها إلى الساكن قبلها نحو ثوب مصون  
وقول مقول ، وفرس مقود ، ذكر ابن  
خالويه : ليس في كلام العرب من ذوات  
الواو معقول خرج على أصله إلا في حرفين ،

(١) الكتاب لسيبويه : ٣٦٥/٤ تحقيق عبد السلام هارون ، رابن عقيل : ٥٦٦/٢

(٢) هناك خلاف بين البصريين والكوفيين حول أي الألفين تحذف .

(٣) ويعوض عنها بتاء مربوطة في طرف الصيغة (راجع شرح المفصل : ٦٠/١٠ وما بعدها)



يقال مسك مدووف وثوب مصوون ، وحكى  
الكسائي خاتم مصووغ ، وفرس مقوود<sup>(١)</sup> .

جاء في اللسان : رجل معود ومعوود ،  
الأخيرة شاذة ، وهي تميمية ، ومسك  
مكووف وهي تميمية . قال ابن الأعرابي :  
ثوب مصوون على النقص ومصوون على التمام .  
الأخيرة نادرة وهي تميمية<sup>(٢)</sup> ، قال اللحياني  
قول مقول ومكوول . قال والإتمام لغة أبي  
الجراح ، ولعله أبو الجراح العقيلي . جاء  
عن الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني  
عقيل يقولون حلي مصووغ ومسك مدووف  
وثوب مصوون وفرس مقوود وقول  
مكوول ، أما البصريون فلا يعرفون ذلك<sup>(٣)</sup> .  
وبنو يربوع بطن من حنظلة من تميم كما  
جاء في نهاية الأرب ، وأما عزوها لعقيل ،  
فعقيل غير تميم<sup>(٤)</sup> .

ومن الأمثلة العامية في نجد « أم البيض  
مكوووقرأة »<sup>(٥)</sup> قتادة الآية الكريمة :  
« لَمْ تُؤَبِّهْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ خَيْرٌ » (البقرة: ١٢٥)  
في حين أن قراءة الجمهور « لَمْ تُؤَبِّهْ » .  
هذه إذن صيغة قديمة ولوجارت التطور  
لأصبحت مثابة كما في لهجة كلاب . حكى  
ابن منظور قول السكلابيين : « لانعرف  
المثوبة ولكن المثابة » .

أما الياء المحركة بالضمة الطويلة عند أهل  
الحجاز ، فإن الضمة الطويلة ( واو المد )  
تسقط ويحافظ على الياء ثم تتحول إلى كسرة  
طويلة ( ياء مد ) ، وتنتقل إلى الساكن قبلها  
نحو مبيوع عند أهل تميم ومبيع عند أهل  
الحجاز ، وبالمثل يكون مصيُوب ومصيب ،  
مكيول ومكيل ، معنى هذا أن اللغة تحافظ  
على الضمة الطويلة مع الواو إشارة إلى الأصل  
الواوي ، وتحافظ على الكسرة الطويلة  
مع الياء إشارة إلى الأصل اليائي . وفسر النحاة  
هذا الإعلال فقالوا : « إن أصل مبيع هو  
مبيوع ، ثم نقلت حركة الياء إلى الساكن  
الصحيح قبلها ، فسكنت الياء ، فالتقى  
ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو على  
رأى سيبويه ، ثم قلبت الضمة كسرة لمناسبة  
الياء فصار مبيع » .

### القسم الثالث :

#### الواو أو الياء المتحركتان في أول الكلمة :

١ — الواو أو الياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

تقلب الواو أو الياء عند القبائل الشرقية من  
الجزيرة العربية همزة ، وتثبت عند القبائل  
العربية نحو وجمَ وناءَ وأناة ، وسادة ،  
وإسادة ، وتشبه اللهجات الشرقية في هذا  
اللغة الأكادية التي تميل إلى تحويل الواو أو الياء  
في أول الكلمة همزة فمثلا يَوْمُ فيها أم (umu)<sup>(٦)</sup>

(١) الخصائص : ٣٧٠/١ ، اللهجات في التراث : ٤١٦

(٢) اللسان : ١١٨/١٧ ، اللهجات في التراث : ٤١٧

(٣) أدب الكاتب : ٤٧٧

(٤) (ترجمتي الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 160

(٥) اللهجات في التراث : ٤٢١

(٦) (ترجمتي الخاصة) Rabin, Ancient West Arabian. P. 84



ولكن يبدو أن هذا القلب ليس مطرداً كما وصفه سيديويه<sup>(١)</sup> غير أن الواو المحركة بالفتحة القصيرة تقلب همزة باطراد إذا تبعها بواو أخرى محركة بفتحة طويلة (متبوعة بألف مد) نحو (وولحد وأواعد) و (وواصل وأواصل) .

هذا بالنسبة إلى الواو ، أما بالنسبة إلى الياء فإنها كالواو نحو ( يلك وألك ) وتنسب الأخيرة إلى هذيل ، وهذيل من قبائل الجزيرة العربية الشرقية و ( يرقان وأرقان ) و ( يدأ وأدأ ) وتشبه اللهجات الغربية في ذلك اللغات السامية الغربية .

## ٢ - الواو أو الياء المحركتان بالكسرة القصيرة :

تثبت عند القبائل العربية في غرب الجزيرة العربية مثل وسواس ، وسام ، وشاح ، وعاء ، وتقلب همزة عند القبائل في شرق الجزيرة العربية ، وعزى ذلك إلى قبيلة هذيل ، فتقول في وشاح إشاح ، وفي وعاء إعاء . جاء في إصلاح المنطق : وكاف وإكاف ، وإلاف وإلاف ، وسادة وإسادة<sup>(٢)</sup> .

يقول سيديويه : « ولكن ناساً من العرب يجرون الواو إذا كانت مكسورة مجرى المضمومة . فيهمزون الواو المكسورة إذا

كانت أولاً . كرهوا الكسرة فيها كما استثقل في ييجل وسيد وأشباه ذلك »<sup>(٣)</sup> .

## ٣ - الواو أو الياء المحركتان بالضمة القصيرة :

تثبت عند بعض القبائل . وتستبدل همزة عند بعضها الآخر ، مثل وجوه وأجوه ، حكى الفراء حتى الوجوه وحتى الأجوه<sup>(٤)</sup> ، ومثل : ولد وألد<sup>(٥)</sup> ، يقول سيديويه : « اعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها . وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها وذلك نحو قولهم في ولد ألد . وفي وجوه أجوه ، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول وموثة ، وأما الذين لم يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون قؤول ، ومع أن هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل ، فأرادوا أن يضعوها مكانها حرفاً أجلد منها ، ولما كانوا يبدلون ما كان مفتوحاً في مثل وناة وأناة ، كانوا في هذا أجدر أن يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون ، فصار الإبدال فيه مطرداً حيث كان البديل يدخل فيما هو أخف منه<sup>(٦)</sup> »

أما الياء المضمومة فتثبت نحو يبوسة<sup>(٧)</sup> :

(١) الكتاب : ٢٢٩/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٣) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون . (٤) إصلاح المنطق : ٦٠

(٥) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون . (٦) الكتاب : ٣٣١/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٧) تصريف الأسماء : ١٦٠

#### ٤ - الواو المحركة بالفتحة الطويلة ( المتبوعة بألف مد ) :

تبدل الواو المتبوعة بألف مد في لهجة كنانة ياء نحو يازع بدلا من وازع ، وتشبه هذه الظاهرة ما في العبرية والآرامية ؛ إذ أن الواو في أول الكلمة تبدل ياء فيها نحو ولد فإنها تصبح يولد .

#### القسم الرابع :

#### الواو والياء بين حركتين في وسط الكلمة

تحرك الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو الكسرة القصيرة أو الضمة القصيرة أو بأى حركة طويلة .

#### ( ١ ) الواو والياء المحركتان بالفتحة القصيرة :

قد تسبق بفتحة قصيرة : تسقط الواو أو الياء ، وتنشأ فتحة طويلة ( تنقلب ألفاً ) في الصيغ الآتية :

١ - فَعَلَ فِعْلاً أو فَعَلَ اسماً ، ونرى أن الإعلال يقع في الاسم والفعل على حد سواء ؛ لأنه لن يؤدي إلى لبس في الصيغتين ، ذلك أن اللغة تميز بين الفعل والاسم في الصيغة الواحدة عن طريق الإعراب أو البناء ، فعندما تكون ( فَعَلَ ) اسماً تعرب ، وعندما تكون فعلاً تبنى .

وأمثلة وقوعه في الأفعال : ( قول وقال ) و ( يبيع وباع ) ، ( سير وسار ) .

ويحدث هذا الإعلال في طرف الفعل كذلك نحو ( سَوَى وسَوَى ) و ( نَدَوَ ونَدَا ) و ( نَجَوَ ونَجَا ) .

وتبقى الفتحة الطويلة في المقطع المفتوح وفي المقطع المعلق تقصر الفتحة إلى فتحة قصيرة ولكنها تستبدل بحركة تجانس عين الفعل ، فإن كانت عين الفعل واواً استبدلت الفتحة ضمة نحو ( قُمْتُ ) وإن كانت ياء استبدلت الفتحة كسرة نحو ( سِيرْتُ ) وبالتالي تدل حركة فاء الفعل على أصل العين (١) .

أوضحنا أن الإعلال يحدث في صيغة ( فَعَلَ ) أما صيغة ( فَعِيل ) فإنه لا يحدث وخاصة إذا كان الإعلال سيؤدي إلى خلط الصيغة الناتجة بصيغة ( فَعَلَ ) نحو ( عَوَرَ وعَارَ ) و ( صَيَدَ وصَادَ ) ، فلو حدث الإعلال في ( فَعِيل ) هنا لاختلطت بصيغة ( فَعَلَ ) ، ومن هنا نرى أن الإعلال مرتبط بالصيغة الصرفية ، وعدم حدوث الإعلال في هذه الأمثلة لا يكون من باب الشواذ ، على أن للخليل وأباً آخر ، فهو يرى أن الذي يسلم هو باب ( فَعِيل يَفْعِل ) أما باب ( فَعَلَ يَفْعِل ) فإن الواو أو الياء تعتل فيه نحو ( طاح يطيح ) و ( تاه يَته ) (٢) ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قول سيبويه في شرح ذلك : « وأما قولهم : ( عَوَرَ يَعَوِر ) و ( حَوَلَ يَحْوِل ) و ( صَيَدَ يَصِيد ) فإنما نجاءوا بهن على الأصل ، لأنه في معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل ،

( ١ ) ( ترجمتي الخاصة ) O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages P. 119

( ٢ ) الكتاب : ٢٤٤/٤ تحقيق عبد السلام هارون

نحو (اعوَّزَتْ) و (احوَّالتُ) . . . فلما كنَّ في معنى ما لا بد له من أن يخرج على الأصل لسكون ما قبله تحركن ، فلو لم تكن في هذا المعنى اعتلت ، ولكنها بنيت على الأصل إذ كان الأمر على هذا « (١) » .

أمثلة وقوعه في الأسماء :

١ - وزن فَعَلْ نحو (بَوَّبٌ وبَابٌ) .

٢ - وزن مُفَاعِلَةٌ نحو (مُنَاجَاةٌ ومُنَاجَاةٌ) و (مُنَادَاةٌ ومُنَادَاةٌ) .

٣ - وزن فُعْلَةٌ نحو (قُضْبَةٌ وقُضْبَةٌ) و (رُمِيَّةٌ ورُمَاةٌ) و (رُعِيَّةٌ ورُعَاةٌ) و (حُدُوَّةٌ وحُدَاةٌ) .

الواو أو الياء إذا سبقتا بكسرة قصيرة :

من حيث الموقع :

في وسط الكلمة : يحافظ على الواو نحو حَوَّجَ وخاصة إذا أدى الإعلال إلى الاختلاط بطبيعة (فَعَلْ) .

في طرف الكلمة : تتحول الواو إلى ياء نحو (رَضُو ورَضَى) و (قَوَّو وقَوَّى) (٢) .

وتتحول الواو إلى ياء إذا وقعت قبل تاء التانيث نحو شَجَوَّةٌ وشَجِيَّةٌ ، وبالمثل باقية وداعية وعادية (٣) .

أما الياء فيحافظ عليها نحو لَقِيَّ .

الواو أو الياء إذا سبقتا بضمة قصيرة :

تسلم الواو والياء في الصيغ الآتية :

١ - صيغة فَعَّلَ الدالة على جمع التكسير نحو (نوب) .

٢ - صيغة مَفْعَلْ نحو (مُوقَدَّ) (٤) .

٣ - صيغة المضارع المنصوب نحو (لن يَغْزُو) و (لن يَرْمَى) .

٤ - صيغ الأسماء المنصوبة نحو (رأيت القاضي) (٥) .

الواو أو الياء إذا سبقتا بفتحة طويلة

(ألف مد)

من حيث الموقع :

أولا : في وسط الكلمة :

يحافظ عليها عند بعض القبائل العربية نحو : بايع وسائر وتجاوز ، وتسقطان ويستعاض عنها بتضعيف الخرف التالي عند بعض آخر من القبائل نحو (تحاوَّبَ وتحابَّ) (٦) .

ثانيا : في طرف الكلمة :

يحتفظ بها عند بني تميم سواء أكان ذلك في المصدر أو الجمع نحو لِقَايَةٍ وصلابة ، أما أهل العالية (أهل نجد) فيحولونها

(١) الكتاب : ٣٤٤/٤ تحقيق عبد السلام هارون

(٢) تضرير الأسماء : ٢٣٤

(٣) علم الأصوات العربي : ١٣٨

(٤) ابن عقيل : ٥٦٦/٢

(٥) تضرير الأسماء : ١٨٦

(٦) تضرير الأسماء : ١٦٤ وعلم الأصوات العربي : ١٣٨ والنحو المقارن : ١١٩



إلى همزة نحو مُشَاءَ وبُكَاءَ ودُعَاءَ ووعاءَ ،  
ولقاءة وعباءة<sup>(١)</sup> ويقول النحاة إذا تطرفت  
الواو أو الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة<sup>(٢)</sup> .

(ب) الواو أو الياء المحركتان بالكسرة  
القصيرة :

قد تسبقان بفتحة قصيرة أو بضمة  
قصيرة .

١ - عندما تسبقان بفتحة قصيرة :  
تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والكسرة  
فيسقطان وتنشأ فتحة طويلة ، أو كما  
يقول النحاة ، تحركت الواو أو الياء  
وفتح ما قبلهما فقلبتا ألفا<sup>(٣)</sup> نحو (مُخْتَبِرٌ  
ومُخْتَارٌ) و (مُنْقَوِدٌ ومُنْقَادٌ) و (خَوْفٌ  
وخَافٌ) و (نُورٌ ونَارٌ) .

٢ - عندما تسبقان بضمة قصيرة :  
تؤثر الكسرة على الواو والضممة السابقة  
فتنشأ كسرة طويلة أو ياء مد نحو (قَوْلٌ  
وقِيلٌ) و (سَيْرٌ وسَيْرٌ) .

٣ - عندما تسبقان بفتحة طويلة  
(ألف مد) :

تتحولان إلى همزة في الصيغ الآتية :  
(أ) اسم الفاعل نحو قاوِمٌ وقائمٌ ،  
قاوِلٌ وقائلٌ ، يقول النحاة وقعت الواو

عيناً لاسم الفاعل فقلبت همزة لوقوعها  
إثر ألف زائدة :

(ب) صيغة جمع التكسير فعائل نحو  
(سَحَابٌ وسَحَابٌ) (عَجَازٌ وعَجَازٌ)  
ويقول النحاة : وقعت الألف وهي حرف  
زائد بعد ألف الجمع فقلبت همزة ، وإن  
كانت المادّة أصليّة لم تقلب نحو مُصَيِّبَةٌ  
ومَصَيِّبٌ .

(ج) صيغ المصادر (فَعَالٌ وفِعَالٌ وإِفْعَالٌ)  
نحو (قَضَايٌ وقَضَاءٌ) و (نَمَاوٌ ونَمَاءٌ)  
و (شَقَايٌ وشَقَاءٌ) و (إِرْضَايٌ وإِرْضَاءٌ)  
(ج) الواو أو الياء المحركتان بالضممة القصيرة :

قد تسبق الواو أو الياء بفتحة قصيرة  
أو كسرة قصيرة أو ضمة قصيرة .  
(أ) عندما تسبقان بفتحة قصيرة :  
تؤثر الفتحة على الواو أو الياء والضممة  
القصيرة فتحذف الواو أو الياء والضممة  
وتنشأ فتحة طويلة أو كما يقول النحاة :  
تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلهما  
فقلبتا ألفا نحو (طَوِلٌ وطالٌ) و (يُنْدَوٌ  
ويُنْدَى) .

(ب) عندما تسبق الياء بكسرة قصيرة :  
تسقط الضمة وتتحول الياء إلى حرف  
مد للكسرة السابقة نحو (يَرْمِيٌ ويرميٌ) ،

(١) اللهجات في التراث : ٢٦٤

(٢) تصريف الأسماء : ١٦٧ و ١٦٨ و ١٨٨

(٣) تصريف الأسماء : ١٦٤

(ج) عندما تسبق الواو بالضمة القصيرة  
تسقط الضمة وتتحول الواو إلى حرف  
مد للضمة السابقة نحو (يَنْدَو وَيَنْدَو)  
(يَغْزُو وَيَغْزُو) .

(د) الواو أو الياء المحركتان بحركة  
طويلة ( بحرف مد أولين ) .

١ - الواو أو الياء المحركتان بفتحة طويلة  
(ألف المد) :

تسبق الواو أو الياء بالفتحة القصيرة أو  
الكسرة القصيرة .

(١) عندما تسبق الواو أو الياء بالفتحة  
القصيرة : — يحافظ عليهما مثل : صَوَّأَ عَق .

(٢) عندما تسبق الواو أو الياء بالكسرة  
القصيرة : تقلب الواو ياء في الصيغ الآتية :

(أ) صيغة المصدر فيعال من الفعل الثلاثي

فَعَلَ عند أهل الحجاز نحو (قام قياما )  
(وصام صياما ) و (حال حياء) (٢) أما إذا

كانت فعال مصدراً لفعل على وزن  
فاعل فإنها تثبت ، وذلك للتمييز بين

مصدر الفعل المجرد ( فَعَلَ ) ومصدر  
الفعل المزيد ( فَعَّلَ ) ، نحو ( لاوذ

ليوآذاً ) و ( جَاوَرَ جِوَاراً ) (٣) .

(ب) صيغة جمع التكسير ( فعال )

نحو ( سَوَّط وسياط ) و ( ثَوَّب وثياب )

و ( رَوْضَة ورياض ) و ( دار وديار ) .

يقول النحاة في تفسير ذلك : وقعت الواو

والياء عينا في جمع التكسير وبعدها ألف

الجمع وقبلها كسرة فقلبت ياء (٤) : وشرح

سيبويه أسباب قلب الواو ياء فقال

في باب : « هذا باب تقلب الواو فيه ياء

لا لياء قبلها ساكنة ولا لسكونها وبعدها ياء ،

وذلك قولك : حاولت حياء وإنما قلبوها

حيث كانت معتلة في الفعل فأرادوا أن

تعتل إذا كانت قبلها كسرة ، وبعدها حرف

يشبه الياء ، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال

لم يقروها ، وكان العمل من وجه واحد

أخف عليهم وجروا على ذلك للاعتلال ،

ومثل سَوَّط وسياط ، وثَوَّب وثياب

ورَوْضَة ورياض ، لما كانت الواو مَبْتِئَةً

ساكنةً شهوها بواو يقول لأنها ساكنة

مثلاً ولأنها حرف الاعتلال (٥) » .

ونرى أن سبب القلب يرجع إلى المشابهة

التقدمية ، فقد أثرت الكسرة على الواو

التالية لها فحولتها إلى ياء ، ومن المعروف —

كما قال ابن جني — أن الحركات أبعاض

حروف المد واللين وهي الألف والياء

(١) (ترجمتي الخاصة) O'leary, Comparative Gr. of the Semitic Languages P. 119.

(٢) تثبت الواو عند أهل تميم فيقولون قوام وصوام وحوال وعوار وبالتالي لا يكون ذلك من باب الشذوذ

كما ذهب النحاة ( انظر أوضح المسالك : ٤٠٢/٢ )

(٣) تصريف الأسماء : ٣٠١

(٤) الكتاب : ٣٦٠/٤ تحقيق عبد السلام هارون .

(٥) سر صناعة الإعراب : ١٩/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .

والواو ، أى أن الكسرة بعض من الياء  
وهذا بالطبع قاصر على وزن صرفي معين ؟  
أما الياء فتثبت نحو حياكة .

( ٣ ) عندما تسبق الواو أو الياء بالضممة  
القصيرة : يحافظ عليها مثل خُوَار ومُوَالِ  
٢ - الواو أو الياء المحركتان بالكسرة  
الطويلة ( ياء المد ) تسبق الواو أو الياء  
هنا بالفتحة القصيرة : تسقط الكسرة  
الطويلة ( ياء المد ) وتستخدم الواو أو الياء  
في غلق المقطع ، أى أنها تستسكن نحو ( تَنْسِيْن  
وتَنْسِيْن ) و ( تَرْضَوِيْن وتَرْضَوِيْن ) .  
٣ - الواو أو الياء المحركتان بالضممة  
الطويلة ( واو المد )

( أ ) عندما تسبقان بالفتحة القصيرة :  
من حيث الموقع

أولا : في وسط الكلمة :  
تثبت عند بعض التباثل العربية ، وتستبدل  
همزة عند بعضها الآخر ، نحو ( قَوُول  
وقَوُول ) و ( صَوُول وصَوُول ) ،  
ويفسر النحاة ذلك بقولهم : قلبت الواو  
الأولى همزة لوقوعها مضبوطة ضمة لازمة  
غير مشددة (١) .

ثانيا : في طرف الكلمة :  
تسقط الضمة الطويلة ( واو المد )  
وتستخدم الواو في غلق المقطع نحو ( غَزَوُوا  
وغَزَوُوا ) .

( ب ) عندما تسبقان بالكسرة :  
تسقط الضمة الطويلة ( واو المد )  
وتستبدل بالكسرة الضمة نحو ( رَضِيُوا  
ورَضِيُوا ورَضُوا ) ومع الياء تستبدل  
الواو ياء وتصبح ياء مد للكسرة السابقة نحو  
( رَاضِيُون وراضِيُون وراضِيْن ) .

( ج ) عندما تسبقان بالضممة :  
تسقط الضمة الطويلة ( واو المد ) وتصبح  
الواو الأولى حرف مد للضممة السابقة نحو :  
( يَغْزَوُون ويَغْزَوُون ) ( ومع إلحزم يَغْزَوُوا (٢) ) .  
الخاتمة :

درست في هذا البحث تكوين الواو  
والياء ، ووظيفة كل منهما في اللغة  
العربية ، وانتهيت من هذا إلى أن للواو  
والياء طبيعة انتقالية ، فالواو تسهل الانتقال  
بين الضمة والفتحة نحو لن يَدْعُو ، والياء  
تسهل الانتقال بين الكسرة والفتحة نحو  
لن يَرْمِي .

بعد ذلك انتقلت إلى شرح معنى الإعلال  
فأوضحت أنه ضرب من التطور اللغوي .  
واستدللت على ذلك بوجود صيغتين للكلمة  
الواحدة ، الأولى لم تُعَلَّ فيها الواو أو الياء  
والثانية اغتلت فيها الواو أو الياء ، وأُكِدَت

(١) تصريف الأسماء : ١٨٨

(٢) علم الأصوات العربي : ١٣٨ .



أن الصيغ التي لم تُعَلَّ فيها الواو أو الياء ليست شاذة كما ذهب الصرفيون ، بل إنها تمثل الصيغ الأصلية قبل أن ينتابها التطور ، من هنا تتبعت موطن الصيغ الأصلية ، وموطن الصيغ التي انتابها الإعلال ، فمثلاً عندما وجدت صيغتين لاسم المفعول من الفعل ( خاط ) وهما مَخْيُوطٌ ومَخِيْطٌ ، أرجعت الأولى إلى تميم وأرجعت الثانية إلى أهل الحجاز ، وهكذا استطعت إرجاع كل الصيغ التي وصفها الصرفيون بالشذوذ إلى مواطنها الأصلية ، ولهذا أرى أن السبب الذي جعل الصرفيين يحكمون على صيغة مثل مخيوط بالشذوذ هو تطبيق نظرية القياس دون مراعاة اللهجات العربية القديمة المختلفة .

شرحت بعد ذلك أسباب الإعلال فأثبت أن الإعلال لا يرجع إلى مجرد قوانين مهما قيدت بشروط دقيقة ، بل رأيت أن الإعلال يرجع إلى عدة أسباب مجتمعة هي خصائص المقطع العربي وموقع الواو أو الياء في الكلمة ونوع الصيغة الصرفية ، ولأوضح أهمية كل هذه العوامل في حدوث الإعلال تتبعت الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين تارة وعندما يكونان محركين تارة أخرى ، وتتبع تأثير الحركة السابقة على الواو أو الياء عندما يكونان ساكنين أو عندما يكونان محركين . . . وقد اقتفيت بذلك لآثر سيديويه في دراسة الإعلال .

## المراجع

### أولا : المراجع العربية :

- ٥ - محمود السمران ، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي . الإسكندرية سنة ١٩٦٢
- ٦ - ابن يعيش ، شرح المفصل .
- ٧ - سيديويه ، الكتاب تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة .
- ٨ - كمال بشر ، علم اللغة العام ( الأصوات ) . القاهرة ١٩٧٠ .
- ٩ - علم الدين الحندي ، اللهجات في التراث . القاهرة ١٩٦٥ .

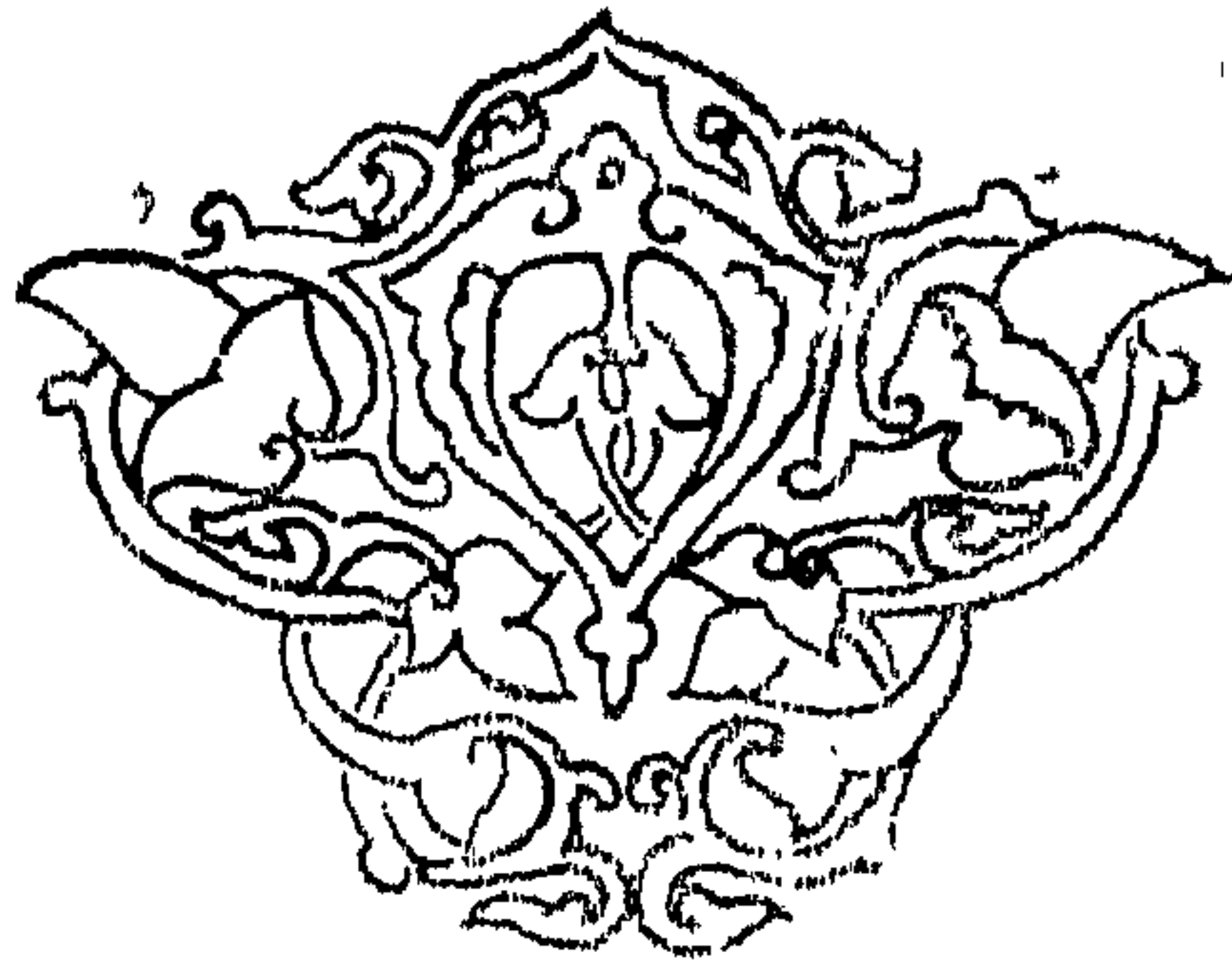
- ١ - ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .
- ٢ - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق عبد الحليم النجار . القاهرة سنة ١٩٥٢
- ٣ - ابن جني سر صناعة الإعراب . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . القاهرة سنة ١٩٥٤
- ٤ - عبد الصبور شاهين ، المنهج الصوتي للبنية العربية . بيروت سنة ١٩٨٠ .

- ١٠ - عبد الرحمن شاهين ، تصريف الأسماء : القاهرة ١٩٧٥ ،
- ١١ - إبراهيم هلال ، الوافي الحديث في التصريف . منشورات جامعة بنغازي ليبيا سنة ١٩٧٤ .
- ١٢ - ابن السكيت ، إصلاح المنطق . القاهرة سنة ١٩٦٥ .
- ١٣ - ابن عقيل . شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . تحقيق محي الدين عبد الحميد .
- ١٤ - ابن قتيبة ، أدب الكاتب .
- ١٥ - ابن هشام ، أوضح المسالك . تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت سنة ١٩٧٤ .
- ١٦ - جان كانتينو ، علم الأصوات العربي . منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٦٦ .
- ١٧ - كارل بروكلمان ، فقه اللغات السامية . منشورات جامعة الرياض سنة ١٩٧٧ .

#### ثانيا : المراجع الأجنبية :

1. Gesenius, Hebrew Grammar. Oxford 1949.
2. Dilmann, Ethiopic Grammar. London 1917.
3. O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages London 1937.
4. Rabin, Ancient West Arabian, London 1960.
5. Von Soden, Akkadischen Grammatik. Roma 1979.
6. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages' WIESBADEN 1969.

صلاح الدين صالح حسنين



# شعراء قوص

## في القرنين السادس والسابع الهجريين

### د. سارة محمد عبد الباقى

هفت

مصر في القرنين

السادس والسابع

المصريين في ظل الأيوبيين والمماليك بكثرة من الأدباء ، لا سيما الشعراء ، وكانت هذه الكثرة تفيض في جنبات الوادى من شماليه إلى جنوبيه الأقصى ، لا تكاد تخلو منطقة من شعراء ، كما لا تكاد تخلو مدينة من شاعر أو اثنين ، إن لم يكن أكثر ، لا سيما المدن الكبرى التى كانت أشبه بالقاهرة التى كانت مراكز لتلك المناطق التى كانت أشبه بالمديريات أو المحافظات ، فكان في الإسكندرية مثلاً شعراء ينسبون إليها ، وكان في القاهرة أيضاً شعراء ينسبون إليها ، وكان في إسنا شعراء ينسبون إليها ، وكان في إدفو شعراء ينسبون إليها ، وكان في أسوان شعراء ينسبون إليها ،

وهكذا عاش هؤلاء الشعراء ينسبون إلى مدينتهم الأولى ، على الرغم من أن كثرة منهم نزلت إلى القاهرة التى كانت ميدان الأدب العام حيث الحياة الفكرية أشد رواجاً وأكثر شيوعاً ،

وعلى الرغم من هذا الإغراء ، أضحى الإغراء القاهري ، فلقد بقي جملة من هؤلاء الشعراء حيث نشأوا ، وكان تمسكهم بأرضهم أو بوطنهم الأول أسباب منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي ، ولكنهم على هذا كانوا موصولين بمركز الأدب العام ، أضحى القاهرة ، فكانت أخبارهم تنقل إلى ذلك حيث مقر الحكم ، وحيث الملمع في جاه أو شهرة ، ومن لم يكن منهم تكتب له الشهرة في القاهرة فلا شهرة له إلا شهرة محدودة ،

ولكن المؤرخين الذين ساءوا للحركات الأدبية وللحركات العلمية لم يفهم تفصي الأخبار حيث كانت ، يمحضون وراء استيعابها هنا وهناك لا يثنيهم أن يكون بينهم وبين ما يريدون من التقاطه سفر طويل أو رحلة شاقة ،

وما فعله الشعالبي في كتابه اليتيمة من جمعه لشعراء مصريين وغير مصريين في شتى البلاد ونواحيها المختلفة بذلك على شيء من



ذلك ، ثم ما فعله العماد الأصفهاني في كتابه :  
« خريدة القصر » وتقسيمه الشعراء على  
مواطنهم حيث كانوا وأننى نزلوا بذلك أيضاً  
على العناء والجهد المبذول .

ولست أعنى أن ما جمعه هذا أو ذاك ،  
أعنى الثعالب والعماد الأصفهاني كان كله  
عن رحلة ونقلة ، بل منه أى من هذه  
الأخبار ما نقل عن سالف لها ، ولكن الذى  
لا شك فيه أن من هذه الأخبار أيضاً كان  
عن معاينة ومشاهدة تلمزمهما نقلة ورحلة .

ولقد جاء غير هؤلاء المؤرخين الذين كان  
منهجهم التعميم ، أعنى النظرة إلى الساحة  
العربية كلها كإقليم واحد اختلفت أسماؤه  
فألفوا كتبهم هذا التأليف العام الذى ضربت  
لك منه هذين المثليين .

أقول : إنه كان إلى جانب هذا التأليف  
الأدبى العام تأليف أدبى أو شبه أدبى يختص  
بإقليم بذاته أو بمدينة بذاتها ، من  
هؤلاء فى العصر الذى نحن بصدده وهو العصر  
الذى شمل القرنين السادس والسابع الهجريين  
الإدفعوى صاحب « الطالع السعيد » حيث  
جمع فى كتابه ما يخص شطراً من وادى  
النيل ، وهو الشطر الجنوبى ، فجمع أدباءه  
وعلماءه وفقهاءه ونجباءه يخص ولا يعمم .

ورأينا فى العصر الحديث من ينهج هذا  
النهج الخاص فيخصص لإقليم الحلة من العراق  
بكتاب يجمع شعراء الحلة يقع فى خمسة أجزاء  
ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة .

وفى الحق نحن أخرج ما نكون فى عصرنا  
الحديث إلى أن ننحو نحو هذا النحو الخاص  
فنخصص كل إقليم أو كل مدينة إن أمكن  
بجمع أخبار من نشأوا فيه أو فيها على أن  
يكون لكل فرع من فروع الحياة الفكرية  
مؤلف خاص به يجمع آثار من نشأوا فيه  
جمعاً مستوعباً .

فما من شك فى أن لكل بيئة مهما صغرت  
وضاقت حياتها ومنطقها وأسلوبها والأدب  
من بين الاتجاهات الفكرية كلها هو الناطق  
عن البيئة المترجم لها المتحدث عنها .

ونحن حين نسجل هذا لبيئة بغينها إنما  
نضع لبنة فى الحياة الأدبية العامة ، ومن هذه  
اللبنات مجتمعة يكون الحكم العام الذى تسبقه  
الأحكام الخاصة التى لا غنى للدارس عنها  
ولا معدل له عن أن ينظر إليها أولاً قبل أن  
ينظر فيما فوقها أعنى الحياة الشاملة .

والإقليم الذى أتحدث عنه هنا هو بلاد  
لنا معروف فى صعيد مصر ، وكان فى ظل  
هذين القرنين اللذين نخصصهما ، أعنى  
القرن السادس والقرن السابع الهجريين محط  
رحال التجار القادمين من الأقطار العربية  
الشقيقة ، وكانت قرص لهذا ذات حركة  
دائبة موفورة الرزق واسعة الرخاء مما حجب  
إلى أهلها استيطانها لا يبقون بها بدلاء ، لهذا  
كان الشعراء الذين نشأوا فيها آثروا المقام  
بها يكفهم أن فى هذا الخضم من يسمع لهم ،  
ويكفهم أنهم واجدون من هذه الحضارة

مادة تغريهم بالقول ، وحسبهم أن الخارجين عنها سيكونون ألسنتهم المعبرة عما يقولون يندبون ويشيعون وكأنهم الصحف السائرة .

وما أظن كتاباً سبق للتعريف بهذه البيئات الخاصة حتى الإدفوى في كتابه ، الطالع السعيد ، فلقد كان جامعاً لرقعة أفسح ومدى أوسع ، والذي أذكر إليه هو هذا التخصيص في الجمع والأخبار لما له من هذه الفائدة في الحياة الأدبية التي أشرت إليها قبل ذلك بقليل .

ولقد آثرت اختيار قوص لتلك الحضارة التي عاشتها قوص في هذين القرنين ثم لأنها بلد كان معاً في الجنوب ، والجنوب كما عهدنا ونعهد مقطوع الصلة بالشمال يكاد يظن به أنه لا نصيب له من أدب ولا مشاركة في حياة فكرية .

لهذا ولما راقني من نشاط شعري لقوص آثرتها بالحديث وآثرت شعراءها في هذين القرنين بالكلام عنهم والتعريف بهم وعرض نماذج من شعرهم ولأكون بهذا قد مهدت الطريق لأن نخص ولا نعم في مؤلفاتنا عن البيئات ، فنحن بحاجة إلى هذا الأدب الخاص قبل حاجتنا إلى الأدب العام .

ومن هؤلاء الشعراء القوصيين الذين وقعوا لي في تنقيبي : أحمد بن موسى القوصي

الدار والوفاة ، ولقد كان إلى جانب نبوغه في الشعر فقيهاً . من أجل هذا كانت إليه نظارة الدواوين بمدينة قوص . وما أحب أن أسترسل في الكلام عن حياة الرجل ، فالحديث عنه كثير ، فلقد تكلم عنه ابن حجر في كتابه : « الدرر الكامنة »<sup>(١)</sup> كما تكلم عنه الإدفوى في كتابه : « الطالع السعيد »<sup>(٢)</sup> ، كما عرض له البغدادى في كتابه : « هدية العارفين »<sup>(٣)</sup> ، ولم يفت ذكر صاحب معجم المؤلفين<sup>(٤)</sup> ولا الزركلي في كتابه : « الأعلام »<sup>(٥)</sup> ، فلقد نقل بعضهم عن بعض يزيدون وينقصون ، يعرفون بحياته وعجائبه مرة ويسوقون شعره مرة أخرى ويتكلمون عن مؤلفاته مرة ثالثة .

والذي يعنني هنا والباب معقود لشعراء وشعرهم أن أسوق جملة طيبة من شعر هذا الشاعر القوصي الذي كان يكنى بابن قرصة ، وهذه الكنية لم تفت رجلاً أن يحدثنا عنها ويحلل السبب الذي من أجله كنى بها ، فهو يقول :

لا تحقرن من الأعداء من قصرت  
يداه عنك وإن كان ابن يومين

فإن في قرصة البرغوث معتبراً  
فيها أدنى الجسم والتسميد للعين

(٢) ص ١٤٥ - ١٤٩

(٤) ج ٢ ص ١٩٠

(٥) ج ٥ ص ١٠٣

(١) ج ١ ص ٣٢٠

(٣) ج ٤ ص ٢٤٧

ويبدو أن هذين البيتين كانا السبب الذي جعل الناس من حوله يكتنونه بابن قرصة ، فانظر كيف كان الناس موصولين بالشعراء ، وكيف كان الشعراء موصولين بالناس ، يعنى الشعراء أمر الناس ويعنى أمر الناس الشعراء ، يتلقف الشعراء عن الناس حكمة أو رأياً أو فلسفة أو أمراً اجتماعياً فيصوغونه شعراً ، ويرى الناس في شعر الشعراء ما داو بخلد هم من حكمة أو فلسفة أو مثل لم يستطيعوا الإفصاح عنه فيرتاح الشعراء لأنهم قد ترجموا للناس ما تنطوى عليه أنفسهم ويرتاح الناس لشعر الشعراء لأنهم قد قرأوا فيه ما تحتاج به نفوسهم .

وما ترجم به ابن قرصة حياة بيئته في ذلك العصر الذي عاشه شيء كان لا بد شائعاً في عصر ابن قرصة وهو زواج الشيب من الغانيات الصغيرات ، ويبدو أن هذا كان أمراً شاع في عصر ابن قرصة وذاع وكان لا بد أن يحرك في نفسه شاعريته ، ما أظن عن مجازاة ، فالشاعر مستقل الفكر ، ولكن الذي أظنه كان عن رأى خاص بابن قرصة ، فنقرأ له في هذا المعنى يقول :

إذا تزوج شيخ الدار غانية

مليحة التمسد تزهى ساعة النظر

فقد ترفع في أحواله وأت

قاف القيادة تستقصى عن الخبر

وفي البيت الثاني من هذين البيتين تحذير أى تحذير لمن يسلك هذه السبيل ، فقد يخرق

الشيخ الغانية الصغيرة لما لا تحمد عقباه ، وكأنى بابن قرصة بعد هذا يؤكد ما يكون مع الشيب من سوء حال وبعد عن الراحة وترد في المتاعب والمصاعب فيقول :

الشيب عيب ولكن عينه قلعت

بالشين من شدة فيه وتعذيب

والشيب شين ولكن نونه حذفت

ببلاء بعد عن اللذات والطيب

ألا ترى معى كم أبدع ابن قرصة ، وكم ورى تلك التوريات اللطيفة ، وكم أدى ذلك الأداء السهل الممتنع .

ووجدت لابن قرصة أيضاً من شعره الذى فاتنا أكثره هذه الأبيات التى يوازن فيها بين الخير والشر ، وإذا هو قد أفلح وأجاد حين صور الشر بالسواد والخير بالبياض ، وذلك حيث يقول :

يا من يعذب نفسه فى صورة

سوداء مظلمة كفحم النار

أتعبت نفسك فى سواد مظلم

إن السواد يضر بالأبصار

فإذا عدلت عن البياض وحسنه

ماذا تؤمل فى سواد القمار

وأحب أن أنتم الحديث عن ابن قرصة

بهذين البيتين اللذين فيهما التسليم بقضاء الله

وقدوره ، واللذين جود فيهما ابن قرصة أيما

تجويد ، يقول :

نحن نسعى والسعى غير مفيد

إن أراد الإله منع الضاع



وإذا ما الإله قاسر شيئاً

جساء سعيّاً إلى الفتى وهو نائم

والبيتان إن نطقا بسكون حرف الروى  
فلا عيب ، وإن تحرك حرف الروى فجاء  
الروى الأول مكسوراً والروى الثانى مضموماً  
كان فى الشعر إقواء ، وهو عيب ، كثيراً  
ما وقع فيه فجول الشعراء .

ولقد كان هذا الشاعر الأديب الفقيه  
مؤلفاً فى فروع مختلفة فله مؤلفات فى الفقه ،  
وأخرى فى النحو ، وثالثة فى اللغة ورابعة فى  
الأدب . وحسبنا من هذه المؤلفات كلها  
كتابه الذى فى الأدب : نتف المذاكرة  
وتحف المحاضرة ، وعنوانه يغنى عن ذكر  
محتوياته ، ولقد ذكره صاحب الكشف  
باسم : نتف المحاضرة ، ناسباً إياه لمؤلفه ،  
ولم يزد ، ولكن الكتاب ، كما قلت ،  
يملى عنوانه ما فيه الغناء عن التفصيل .

ولقد كانت وفاة ابن قرصة ، كما ذكره  
ابن حجر والإدفعوى وحاجى خليفة والبغدادى  
فى شهر ذى الحجة من سنة إحدى وسبعمئة  
سنة ( ٧٠١ هـ ) ولا يعيننا ما جاء فى معجم  
المؤلفين والأعلام للزركلى من أن وفاته كانت  
سنة سبعمئة وعشر ( ٧١٠ هـ ) ، فلقد أخذ  
أحدهما عن الآخر ، ولا أدري من الآخر  
ولا من الآخر عنه .

وغير ابن قرصة من شعراء قوص كان  
إسماعيل بن هبة الله القوصى الأديب الشاعر .

اختصه الإدفعوى فى كتابه الطالع السعيد  
بترجمة قصيرة ويكاد يكون الإدفعوى هو  
الوحيد الذى ترجم لابن هبة الله هذا . وكان  
ما ذكره عنه كما لم يسق له غير بيتين من  
الشعر فى الشباب والشيب . يقول فيهما :

يا شباني أفسدت صالح ديني  
يا مشيبي نغصت لذة عيشي

فمسلوان أنتما لا صديقا  
ن تلاعبتما بخامى وطيشي

وأنت ترى معي أنه لا غبار على شعر  
الشاعر ، وما من شك فى أن هذا القليل يشير  
إلى كثير غيره على مثل هذه الجودة ومثل  
هذه الإبانة .

ولعل الإدفعوى وهو الوحيد الذى ترجم  
إليه ، فالتد فاته معاصرة هذا الشاعر ، كما  
فاته أن يجد من يعي له فينقل عنه ، يدلنا على  
هذا سياق السند الذى قدم به الإدفعوى لصاحب  
هذه الترجمة ، وذلك حيث يقول : روى  
عنه شيئاً من شعره الحافظ أبو الفتح محمد  
ابن على بن وهب القشيري والفقيه عبد الملك  
ابن أحمد الأرمني ، أنشدنا شيخنا أثير  
الدين أبو حيان ، أنشدنا الشيخ تقي الدين  
أبو الفتح القشيري ، أنشدنا القاضي إسماعيل  
ابن هبة الله .

فأنت ترى معنى من هذا السند أن بين  
الإدفعوى وبين صاحب هذه الترجمة نحر  
من ثلاثة شيوخ ، وإذا علمنا أن وفاة الإدفعوى

كانت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، كدنا ندرك أن وفاة إسماعيل بن هبة الله صاحب هذه الترجمة كانت في النصف الأول من القرن السابع إن لم تكن قبل ذلك ، وهذا يعنى أن الإدقوى لم يعاصره ، وأنه نقل عنه يتوسط بينه وبينه مشايخ ثلاثة ، لذا كانت هذه القلة في التعريف بالرجل والقلة في الشعر المروى له .

وبأى بعد هذين شاعر قوصى آخر هو حيدرة بن الحسين ويعرف بابن الغمر .

وكان حيدرة هذا حاكماً بالأعمال القوصية ، ولقد عاش حيدرة هذا في القرن السادس الهجرى ، ويكاد هذا القرن ، أعنى القرن السادس يضم ميلاده ووفاته . فلقد روى من روى عنه ذاكر أن ما رواه عنه أى عن ابن الغمر كان في الخامس من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

وعلى الرغم من بعد ما بين ابن الغمر والإدقوى الذى انفرد للتعريف بابن الغمر وإيراد ترجمة له ، غير أنه أورد له الكثير من الشعر . ويبدو أن الذى يسر للإدقوى هذا على الرغم من أنه لا معاصرة ، أنه أعنى الإدقوى وجد بين يديه كتاباً يترجم لمن بصعيد مصر خاصة ، وهذا الكتاب هو : « المفيد فى ذكر من كان بالصعيد » لمؤلفه أبى جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم الإدريسى .

وفى هذا الكتاب الذى نفقده والذى وقع للإدقوى لا شك الكثير من أخبار أهل الصعيد ، ولقد كانت وفاة مؤلفه الإدريسى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ( ٦٤٩ هـ ) كما يقول صاحب كشف الظنون الذى أورد الكتاب باسم : المفيد فى أخبار الصعيد (١) .

وهذه تنضم إلى ما ذكرته قبل من العناية بالمؤلفات الخاصة التى أدعو إليها اليوم .

والغريب أنك سوف تقرأ معى فى شعر هذا الشاعر حيدرة وصفاً صريحاً للحياة الاجتماعية التى كان يعيشها حيدرة ، فلم يفته أن ينزل إلى الحياة العامة ويصف ما فيها ، من ذلك قواه فى رثاء قزاز وهو النساج ، يقول :

تبكى المواسير والألطاخ والبكر  
على ابن سمرة لما اغتاله القتل

والمشط يندب والمتيت يسفده  
وحق للنول أن يبكيه والحضر

إذا استوى فوق ظهر النول وانبطت  
رجلاه فى الزرزرايا وهو متر

وسايزت يده المكوك واعتقلت  
يسراه مقبضها والنير منحدر

فمن مهلهل أو سيف بن ذى يزن  
أو من ربيعة فى الهيجاء أوزفر

كأنما مغزل الألطاخ فى يده  
إذا تنسأله صمصامة ذكر

فانظر معى كيف نزل حيدرة التروصى  
إلى حانوت هذا النساج ، وتناول نوله قطعة  
قطعة ، وكأنه عارف بوظيفة كل قطعة ،  
وهو بهذا قد أحيا أسماء كادت أن تندثر :  
ثم انظر معى كيف ساق عمل النساج عملا  
عملا هذا المساق اللطيف الظريف :

ثم انظر معى كيف عقد هذه التشبيهات  
البديعة جاعلا من النساج ما يشابه به مهلهل  
الشاعر أو سيف بن ذى يزن أو ربيعة أو زفر .  
وهو بهذا يدلنا وإن كان شاعراً من شعراء  
القرن السادس الهجرى غير أنه لم تفته نظرات  
منه إلى ماضيه الأول بترائه الخالد .

وكما فعل حيدرة هذا فى رثاء هذا القزاز  
فعل مثل ذلك فى رثاء ملاح ، حيث يقول :

من بحر اللبان فى الثقلين  
ولإلقا المرسى على الأنبوطين  
واعتقال المدرا وقد سكن الري  
بحر برغم السفنار فى تشرين  
والجناديف من بها مستقل  
بعد ما قد أذاك ريب المنون

من يلالى لصحبة كل وقت  
بنشيد جزل وصوت حزين  
تطرب الأروع الحليم فيلهو  
وتسلى بالحب لب الحزين  
تهتدى فى الظلام بالقطب والحد  
فى وفى الصبح بالضيء المبين  
فتشق البهار فى الليل شقما  
حركات تولدت من سكون

كانت المركب التى أنت فيها  
حرماً آمناً كحصن حصين

فهى اليوم بعد فقدك عطل  
بل حطام ملقى ليوم الدين  
وهكذا ترى معى فى هذه الأبيات تعرف  
الشاعر للملاح وعمله وأجزاء سفينته يخرج  
من وصف جزء إلى جزء آخر فى ذلك  
الأسلوب السهل والمنطق المبين ، وكأنه واحد  
من هؤلاء الملاحين .

وكما كانت لهذا الشاعر التروصى هذه  
الجولات الميدانية ، كان له فيما فوق هذا  
جولات أخرى ، يقول فى مدح الأمير  
موسك وكانت قد نابته خطوب :

إذا حاربتك صروف الزمان  
بجناديها المتلف المهلك  
فما للخطوب إذا أظلمت  
سوى الملك المتقى موسك

هذه نماذج قليلة من شعر شعراء قوص  
فى هذين القرنين السادس والسابع الهجريين ،  
ولو أن هناك للإطالة فسحة لأطالت ، ولكنى  
اجتزأت بهذا القليل الذى يغنى عن الكثير  
راجياً به أن ألقت النظر إلى أنه ثمة شعر  
للمصريين الذين نأت بهم مواطنهم الخاصة  
عن القاهرة موطن الأدب والأدباء لا يقل  
جودة وأداء عن شعر العاصمة المتحضرتين  
القاهرة والأسكندرية ، ثم لأدعو ثانية بهذا  
الأدب الخاص فנסجل لشعراء المدن على  
اختلافها خاصين كل مدينة بشعرائها ففى  
هذا ، كما قلت قبل العرض التمهيدى عند  
الكلام عن الأدب العام .

محمد قنديل البقل







## من التزايف اللغوي

# مع الأخصى الأوسط في كتابه "معاني القرآن" مؤلفه سعيد الوفاي

وأملتهم تعليقات وتأويلات صناعية في صياغتها ، حتى ظن من لم يعتد إعمال الروية وتحكيم المنهج السليم أنها من لغة العرب ، والحق أنها - إن صح إسنادها إلى عربي معروف - من أخطاء بعض العرب ، وأشد أضرار هذا الخلل حين لن يعيثر في توضيح قراءات شاذة روجها أهل الأهواء بلا سند ، حشيت بها كتب التفسير مع محاولات تسويقها .

للأخصى أن يغلط سيئويه وأن يغلط أقوال كوفيين بأقوال بصريين ، فان يضيره ذلك عندي ، بل يزين المؤلف - في رأي - أن يكون في العلم ( موضوعياً ) يأخذ بما أيقن أنه الحق مهما يكن القائلون به ، بل ولو لم يقاه أحد قبله - وعلى هذا سأعرض لبعض ما وقفت عنده من قضايا في كتابه ( معاني القرآن ) ، الذي لم يرق قط إلى مستوى كتاب أبي عبيدة ( مجاز القرآن ) وإن ألف

**كنت** أظن ابن جني هو المدين الأول في ملء كتب النحو بما لا يصحح من سماع ولا قياس . وذلك حين ألف كتابه المشهور ( المختصب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ) وحشر فيه مزاعم لا تحصى من لمحات نسبت لقبائل على غير تحقيق ، كما نشر فيه من أبيات الضرورات الشعرية حشداً غير قليل ، وجعل موطن الضرورة قاعدة يعال بها ما لم يثبت من شواذ القراءات .. كنت أظن هذا حتى قرأت كتاب ( معاني الشعر ) للأخصى وقد طبع حديثاً (١) ؛ فصيح لي القول ( قبل ابن جني كان الأخصى ) كما قالوا قديماً ( قبل مجيها كان أبو دلالة ) .

وموضع الخلل في منهج بعض الأقدمين أنهم - حباً في التكثر وإظهار سعة الرواية - زعموا القواعد المطردة التي لا شك فيها والتي هي قانون العربية الجامع لضرورات لحن إليها الشعراء اضطراباً ولغيات زعموا أنها رويت عن ( بعض ) العرب ، فجعلوا منها قواعد

(١) انظر عن هذه الطبعة العدد ١٢



بعده ، وكان أمام عيني الانخفش حين التأليف .

هذه الكتب وما ألفت على طريقتها بعدها ليست تفاسير ؛ لكنها تعليقات على بعض الغريب وكلام على شيء من النحو بالمناسبة واستشهاد على ذلك بشعر كان يجب التحقق من صحة روايته وصحة نسبته معاً . وإليك بعض هذه الوقفات :

١ - ص ٢٦ : « ومنهم ( أى العرب ) من يسكن هاء الإضممار للمذكر قال الشاعر :

فظأبت لدى البيت العتيق أخياه

وميطواى مشتاقان له<sup>١</sup> أرقان

وهذا فى لغة أزد السراة - زعموا كثير » .

أراد الانخفش الاحتجاج لقراءة من أدغم الهاءين فى قوله تعالى « فيه هدى » ، وهذا شيء آخر غير إسكان الضمير المذكور الذى زعموه لغة أزد السراة ، فهو إدغام التماثلن المألوف فى لهجات العرب والقراءات الصحيحة هو غير إسكان ضمير المذكور كما فى الشاهد الشعرى .

هذا الاحتجاج منقوض من وجهين :

الأول : إذا قرأنا المقطوعة التى منها هذا البيت وهى فى خزانة الأدب ( ٤٠٤/٢ ) وفى الأغاني ( ١١١/١٩ ) وجدنا ضمائر للمذكرين عدة ، لم يسكن الشاعر غير كلمة

( ١ ) ولا يقولون ( زعموا ) كما قال الانخفش .

( له<sup>٢</sup> ) فى هذا البيت لضرورة الوزن ، فلو كانت لغته لرأيناها مستفيضة فى شعره كله ، فعرف أنها ضرورة لا يحتاج بها .

والثانى : أن البيت حُرّف ليصبح الاستشهاد به على قضية مزعومة لا تعد والضرورة . أما الرواية الصحيحة للبيت فكما رواه أبو عمر الشيبانى أوثق العلماء وأخبرهم بشعر القبائل :

فبت لدى البيت الحرام أشيمه

ومطواى من شوق له<sup>٣</sup> أرقان

وهى التى اعتمدها أبو الفرج الأصفهاني .

فلا إسكان ضمير ، ولا لهجة لقبيلة الشاعر ( يعلى الأزدى ) ؛ كل مانى الأمر تحريف متعمد لبيت ينقله لاحق عن سابق وتمتلىء به مصادر متسلسلة حتى يوم الناس هذا<sup>(١)</sup> وقاعدة توضع لتسويغ تحريف ، ونسبة لقبيلة لم تصح ؛ وكان الله لأزد السراة .

٢ - ص ٤١ « وأما قوله ( أنو من كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ) فقد قرأهما قوم مهموزتين جميعاً ، وقالوا ( سواء عليهم أنأذرتهم ) ، ( ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله ) وقالوا : ( أثنا ) و « أثنا » كل هذا يهمزون فيه همزتين ، وكل هذا ليس من كلام العرب إلا شاذاً ... إلخ » .

وهذا عجيب جداً ، وقراءة عاصم فى هذا كله بتحقيق الهمزتين رواها عنه حفص وعابها قراءة أهل المشرق اليوم كله ، وهو

من القَرَأة السبعة ، قرأها بسنده المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن أين قطع الأنخفش بأنها ليست من كلام العرب وأنها شاذة !

٣ - ص ٤٥ « وقوله : » وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا « فأذهب الواو ، لأنه كان حرفاً ساكناً لتي اللام وهي ساكنة ، فذهبت لسكونه ولم تحتج إلى حركته » . .

أقول : لم تذهب اللام ، بل الذي ذهب الواو . سوء عبارته أفهم ضد مراده ، وحفظ الترتيب أن يقول : ( فذهب لسكونها ) ولو أراد إيضاحاً لقال : ( فذهبت الواو لسكون اللام ) ، لكن هذا يفوت عليه التدبير الذي قصد (١) .

٤ - ص ٩٩ : « فإن قلت : إنما يكون هذا ( يريد زيادة حرف البحر من ) في النقي والاستفهام ) .

( قالت ) فقد جاء في غير ذلك ، قال - تعالى - : ( ونكفر عنكم من سيئاتكم ) فهذا ليس باستفهام ولا نقي ، وتقول ( زيد من أفضلها ) تريد : هو أفضلها » . اهـ .

الشرط الأخير من كلامه غير مسلم ، إذ فيه ( من ) تبعية ليست زائدة ، معناها : هو أحد أفضلها ، أما ( هو أفضلها ) فقد فضّل على جميعها .

أما الآية الكريمة فـ ( من ) فيها تبعية حتماً ، وإنما أوقع الأنخفش في هذا ما أوقع الكسائي من بعده ، ومن ثم كان ما يسمى المذهب الكوفي الذي لا يشترط في زيادة حرف البحر ( من ) نفيّاً ولا استفهاماً ولا غيرهما دعاهم إلى الخطأ في هذا غفلة بعضهم عن حكم الشريعة في الذنوب التي تكفر والتي لا تكفر ، ومعلوم بالضرورة أن اثنتين لا تكفران : الشرك بالله والإصرار بالناس . ومن ثم دخلت ( من ) في بعض الآيات لتقرر أن بعض الذنوب يغفرها الله وهي ما تعلق بحقوق الله من تقصير في صلاة أو صوم أو عبادة ، أما ما تعلق بحقوق الناس فلا بد من أدائه إلا أن يعفو صاحب الحق . . وعدد من النحاة أتوا من ضعف ثقافتهم العامة كما نقول اليوم . وأعاد المؤلف قوله في هذه الآية في ص ٢٥٤ مع أمثلة أخطاء في أكثرها .

٥ - ص ١٢٠ : ( وكذلك : « كيلا يكون دُولَةً » ( أن ) مضمرة وقد جرتها ( كي ) . وقالوا ( كيّمته ) ، فـ ( مه ) اسم لأنه ( ما ) التي في الاستفهام ، وأضاف ( كي ) إليها .

أما كون ( كي ) في الآية بجارة فغير صحيح البتة ، و ( أن ) لا تضمير بعدها

( ١ ) إشارة إلى قوله للجاحظ لما عاب عليه بعض النموض : « لتدعروهم حلوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت ... » الحيوان للجاحظ ٩١/١ ، ٩٢ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

لأن ( كى ) نفسها هي المصدرية الناصبة  
للفعل في الآية على عكس ما قرر بعض النحاة<sup>(١)</sup>

وأما ( كيمه ) فصحيح أن سيبويه ذكرها  
في الكتاب ، ولم يعزها إلى عربي فصيح ،  
لكنه نص بأمانة أن ذلك شأن بعض العرب  
قال : « وبعض العرب يجعل ( كى ) بمنزلة  
حتى وذلك أنهم يقولون ( كيمه ) . . لها »<sup>(٢)</sup>  
ولم يسمهم سيبويه . وأمر هذه يسير ؛ فإن  
صححت عن بعض العرب فتقدير الفعل بينها  
وبين ( ما ) واجب والمعنى : ( كى يفعل  
ماذا ؟ ) . وفي جميع الأحوال لا تكون ( كى )  
في الآية جارة أبداً ولا تخرج القراءات  
الصحيحة الثابتة فيه على رواية شاذة ولا مجهولة .

٦ - ص ١٨٩ علق على قوله تعالى :  
« . . ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً  
إلى أجه » بقوله : « فأضمر الشاهد وقال :  
( إلى أجله ) إلى الأجل الذي تجوز فيه شهادته  
والله أعلم » ا هـ .

قلت : الضمير لا يعود إلى الشاهد بل  
إلى الدين وعليه تدور الآية ، ولم أفهم ماذا  
يقصد بالأجل الذي تجوز فيه شهادة الشاهد  
إنما يكتب أجل الدين . وعلى من يتصدى  
للتفسير أن يعرف الفقه ويتمرس بفقه النصوص

ومرامها حتى لا يزل في مراجع الضمائر ،  
وذلك من مواد الثقافة العامة في البلاد الإسلامية  
على مدى العصور :

٧ - ص ١٩٦ علق على قوله تعالى :  
« . . . وإن للمتقين لحسن مآب جنات  
عدن » بقوله : ( وإن شئت جعلت (جنات)  
على البديل أيضاً وإن شئت رفعت على خبر  
إن . . . ولم يقرأه أحد بالرفع ) . ا هـ .

وظاهر خطأه في رفعه على خبر ( إن )  
لأن خبرها تقدم اسمها وهذا سهو منه  
رحمه الله .

٨ - ص ١٩٧ قال الشاعر :

إنا وجدنا بني جلان كلهم  
كساعد الضب لا طول ولا عظم  
على البديل ، أى كلا طول ولا عظم ا هـ .  
وأعاد ذلك ص ٢٨٤

قلت : البديل غير مفهوم هنا ، وقد قصر  
اللفظ عن تأدية المعنى . والمعنى أنهم متساوون  
لا تفاوت بينهم في طول ولا عظم .

الشاعر مجهول ، فإن لم يكن البيت مصنوعاً  
فهو إقواء<sup>(٣)</sup> وحق المعنى أن يقول : ( لا طول  
ولا عظم فيها ) فاضطر إلى كسر القافية ،  
والإقواء خير من هذا البديل المتكلف .

( ١ ) انظر تعليقنا على الشواهد المصنوعة أو المخرفة التي يحتجون بها في طبعتنا لمعنى اللبيب ص ٢٤٢ ( دار الفكر :

بيروت ١٩٧٢ ) . وانظر في تحقيق هذا بحثنا المنشور في محاضر مؤتمر الدورة الأربعين لمجمع اللغة العربية في القاهرة  
ص ٣٠٥ فما بعده . وأدرجته في مقتطفاتها مجلة اللسان العربي في الجزء الأول من المجلد السادس عشر ص ٢٣٤

( ٢ ) الكتاب لسبويه ١ / ٤٠٨

( ٣ ) أعاد ذكره في ص ٢٨٤ مع بيت سابق هو :

أنى وجدتك يا جرثوم من نفر  
جرثومة اللؤم لا جرثومة الكرم



٩- ص ٢١٣ ( وقال : « لن يضروكم إلا أذى » استثناء يخرج من أول الكلام ، وهو كما روى يونس عن بعض العرب قال : ما أشتكى شيئاً إلا خيراً ) .

قلت : ليسا سواء ، فما قبل ( إلا ) في الآية وما بعدها من جنس واحد ، أما فيما روى يونس فمختلفان ، وقد خانه التوفيق في غير موضع من الكتاب حين يجمع ما لا يجتمع .

١٠- ص ٢٥٥ في الآية : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » قال : « ويجوز الجر على الإتيان ، وهو في المعنى : الغسل ، نحو ( هذا جحر ضب خرب ) والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثاله قول العرب : ( أكلت خبزاً ولبناً ) واللبن لا يؤكل . . . إلخ » أ هـ .

أما أن الآية مثل ( أكلت خبزاً ولبناً ) فغير صحيح ، لأن الأرجل تغسل وتمسح وقراءة الخفض ( وأرجلكم ) صحيحة ، على العطف لا على ما زعموا على الإتيان ، والجر على الإتيان لم يثبت فيه شيء من كلام عربي ثقة .

١١- ص ٢٦٢ يجيء أشياء في اللفظ لا تكون في المعاني ، منها قولهم : « جحر ضب خرب » . وكان قال في ص ١٥ :

وهذا يشبه ( هذا جحر ضب خرب ) : وأنفأ شبه بهذا القول الآية : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » في قراءة من قرأها بجر ( وأرجلكم ) .

أقول : كثر الاحتجاج والتمثيل بهذه الحملة التي سمعها سيبويه رحمه الله من الخليل ، ولم يذكر أحدهما أنه سمعها من عربي يحتج به ، بل هي مما تنوقل بين نحاة من المثة الثانية مثلاً لوجه إعرابي كيف يخرج إذا وقع ، وبمرور الزمن صار يحتج به متأخرون حتى صارت شبه شاهد وليست به ، فلم تقع في كلام عربي فصيح ، إلا إقواء في ضرورة شعرية مثل التي ارتكبتها امرؤ القيس في قوله :

كأن ثبيراً في عرائن وبله

كبير أناس في بجاد مزمل

ولولا الضرورة لكان الوجه ( مزمل ) لأنه صفة لكبير أناس لا لـ ( بجاد ) ومثله قول العجاج :

\* كأن غزل العنكبوت المزمّل (١) \*

وكان عاينه أن يقول : ( المزمّل ) بالرفع نعتاً لـ ( غزل ) فقد أقوى كما أقوى امرؤ القيس .

وأهملوا تأكيد سيبويه أن « الوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وفصحائهم » (٢) كما

(١) الكتاب لسيبويه ٢١٧-١ وكل ما فعل الخليل وسيبويه محاولة الاعتذار عن هذا الغلط الذي قد يقع ،

وضع قاعدة

(٢) المصدر السابق .

نسوا نص الخليل على أن هذا غلط ، فقد جاء في المسألة نفسها قول الخليل : «... وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعذة الأول وكان مذكراً مثله . . الخ » (١) .

فإذا كان السماع والقياس على خلافه وكان غلطاً في رأى الخليل ، فكيف سوغ الوهم لمن نقل هذه الجملة من بعدهما حتى يومنا هذا أن يبنى عليها حكماً بل قاعدة ؟ ! غفلة ظاهرة ، واعتماد على نصف الكلام دون وعى الآخرة ، وبلاء على المحصنين في هذه الكتب إلى اليوم . وأعجب من هذا حملهم قراءة الجر ( وأرجلکم ) على جحر ضب خرب . والقراءة واضحة المعنى ، وقله مسح بعض الصحابة إلى أن جاءت السنة مؤكدة الغسل (٢) .

١٢ - ص ٢٦٢ في تعاليقه على الآية : « ثم عمموا وصمموا كثير منهم » قال : « . . . وإن شئت جعلت الفعل للآخر ، فجعلته على لغة الذين يقولون : ( أكلوني البراغيث ) » أ هـ .

لم يكن لدى ماسكة في العربية أن يسوى هذه اللغة الرديئة - إن صح أن ناساً من العرب تكلموا بها - واللغة الفصحى النقية ، والذي ثبت أنها وردت في ضرورات شعرية لا يبنى عليها حكم ، وقد يعتذر عن الشعراء الذين اضطروا إليها أن الضمير يعود إلى شيء في نفوسهم ، فلما نطقوا بالفعل فسروا المضمرة

وهي على كل حال لا تعدو الضرورة ، ريكنتها نبراً تسميتها لغة ( أكلوني البراغيث ) ، وهي وردت في كلام بعض النحويين في صدد تشقيقاتهم لبعض صيغ افتروضوها ولم تكن ، وكل ما ورد في كتاب سيبويه قوله : « وإن سميت رجلاً ( ضربوا ) فيمن قال : ( أكلوني البراغيث ) ؟ ! ، قلت : هذا ضربون قد أقبل . . » (٣) ونقله عن الخليل : « من قال : ( أكلوني البراغيث ) أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشين أبأؤهم . . » (٤) .

والطريف في الأمر أن هذه الجملة المبتذلة ( أكلوني البراغيث ) فيها أرداء أخرى هي إطلاق واو الجماعة على ما لا يعقل ، ولا تظن سيبويه والخليل يجوزان ذلك ، ولا يقول هذا عربي عاقل البتة .

ومن أعظم النكر حمل آية على هذه اللغة بحال من الأحوال .

وفي عصور متأخرة حين أولع بعض أهل الصناعة بتزوير شواهد على اللغات الرديئة أو النادرة ، أسقطوا أول الحديث : ( إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ) فبدؤوه من قوله : ( يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ) ليجعلاه شاهداً على لغة زعموها لغة ( أكلوني

(١) الكتاب لسيبويه ٢١٧/١

(٢) انظر كلاماً في موضوع الآية في تفسير الكشاف ٦١١/١ وتفسير القرطبي ٩٢/٦ وأن المسح في اللغة يشمل الغسل . ولأبي إسحاق النحوي استنكار لحمل الآية على ( جحر ضب خرب ) أي زعم الجر على الجوار ، وحصر ذلك في الضرورات الشعرية - لسان العرب مادة ( مسح )

(٤) المصدر السابق ١-٢٣٧

(٣) الكتاب لسيبويه ٢٠٨-٢



البراغيث ) . مما وفيناه حقه في موضع آخر ،  
بل أبعد بعضهم جداً فأراد حمل آيات من  
الكتاب الكريم عليها جهلاً بأسلوب القرآن  
وتجاهلاً للمعنى ، وهى جميعاً إما من باب  
البدل كما في الآية المتكلم عليها وإما من حذف  
فعل القول كما في « وأسروا النجوى قال :  
« الذين ظلموا أهل هذا إلا بشر مثلكم » (١) .

١٣ - ص ٣١٢ في تعليقه على الآية :  
« واختار موسى قومه سبعين رجلاً » قال :  
أى اختار من قومه ، فلما نزع ( من ) عمل  
الفعل . . . وقال النابغة :

نبت زرعة والسفاهة كاسمها  
يهدى إلى أوابد الأشعار  
والبيت لا شاهد فيه على ما قال ، ولعل هذا  
سهو منه :

١٤ - ص ٤١٢ وقال :  
أطوف بها لا أرى غيرها  
كما طاف بالبيعة الراهب  
فجعل الراهب بدلاً من ( ما ) ، كأنه  
قال : كالذى طاف « أ هـ .

البيت مجهول القائل ، لا يعرف ما قبله  
وما بعده حتى تثبت من أن رويه مكسور ،  
والأصل فيه ( الراهب ) بالرفع ، فما الذى  
جعلهم يعدلون عن الأصل وهم لا يعرفون  
القائل ولا سياق البيت ؟ وما الذى  
صرفهم عن الكلام المطبوع ( أطوف

كطواف الراهب ) فتكون ( ما ) مصدرية ؟  
لعل السبب أن البيت يخسر بذلك ما علقوا  
عليه من صناعاتهم وإشكالاتهم ، استعمال ( ما )  
للعاقل ، وتقدير مضاف محذوف : كطواف  
الذى ، وجعل الراهب ( بدلاً ) من ( ما )  
المظلومة هذه . ولأمر ما لم يذكره سيديويه ،  
والله أعلم من الذى وضعه هذا الموضع الشاذ .

١٥ - فى ص ٤١٤ : وقال : « ومن يرد »  
فيه بإلحاد » معناه : ومن يرد إلحاداً ، فزاد  
الباء كما تزداد فى قوله : ( تنبت بالدهن )  
وقال الشاعر :

أليس أميرى فى الأمور بأنما  
بما لستما أهل الخيانة والغدر « أ هـ  
أما أن الباء فى قوله « تنبت بالدهن » زائدة  
فغير صحيح ، فالشجرة لا تنبت الزيت  
ولكنها تنبت ثمرها ( الزيتون ) حاوياً  
الزيت فالباء للمصاحبة وليست زائدة .  
وأما الشعر الذى استشهد به الأنخفش  
فمصنوع ردى الصنعة جداً ، والتكلف  
فيه ظاهر وصانعه لاملكة له فى اللغة .  
ونحن نستنكر الاستشهاد بشعر بليغ للدلالة  
على صحة كلمة فى القرآن الكريم ، فكيف  
بمثل هذا المسخ من الزيف . وإنما الصواب  
العكس : أن نستشهد بالقرآن على الشعر  
وغيره . إنه انحراف ظهر فى المئة الثانية  
للهجرة ولوعاً برواية الشعر ، استشرى  
وتتابع النحاة فيه إلى اليوم .

( ١ ) لا يتسع المقام للتفصيل فارجع إلى بحثنا ( البناء على الشاهد الأثر ) المنشور فى محاضر مؤتمر الدورة الحادية  
والأربعين لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ( ١٩٧٥ ) ص ٢٤٠ فما بعد .



١٦ - ص ٤٢٣ : (وعباد الرحمن الذين  
يمشون على الأرض هوناً) فهذا ليس له  
خبر إلا في المعنى والله أعلم اهـ

قلت : إن خبره إلى جانبه لفظاً ومعنى  
وهو (الذين) أو قوله بعد اثني عشرة  
آية : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا »  
والأول أقرب .

١٧ - ص ٤٢٣ أيضاً « وقال الشاعر :

يا عاذلاني لا تردن ملامتي

إن العواذل ليس لي بأمر

قلت : بيت مصنوع لا يصح الاحتجاج

به .

١٨ - ص ٤٢٧ « لا يؤمنون به حتى

يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون  
فيقولوا هل نحن منظرون »

قال الأنخفش : ليس معطوف على  
(حتى) ، إنما هو جواب لقوله « لا يؤمنون  
به » ، فلما كان جواباً للنفي انتصب . وكذلك  
« فيقولوا » إنما هو جواب النفي . اهـ

قلت : بل الصحيح أنه معطوف على  
(حتى) وأن هذه الفاء ليست جواب النفي  
أي أنها ليست السببية بحال ، إنما هي العاطفة ،  
وأن (فيقولوا) معطوف على (فيأتيهم)  
وليس جواب النفي . ولا معنى للسببية هنا  
البتة إنما المعنى : لا يؤمنون به حتى يروا  
العذاب وحتى يأتيهم بغتة وحتى يقولوا .

والفاء رتبته الحوادث : يأتي العذاب فيروته  
فيقولون .

١٩ - في ص ٤٣٤ : وفي الشعر :

تنوء بها فتثقلها عجيزتها

وليس العجيزة تنوء بها ولكنها هي  
تنوء بالعجيزة ، وقال :

ما كنت في الحرب العوان مغمرًا

إذا شب حرٌّ وقودها أجندالها

قلت : البيت مستوي لقلب فيه ، فحر  
الوقود هو الذي يضرم أجندال الخطب ،  
فلا شاهد فيه إذا .

٢٠ - ص ٤٣٧ وقال : « ثم كان عاقبة  
الذين أسأؤوا السوأي »

ف (السوأي) مصدر هاهنا مثل (التقوى)  
اهـ

ايست (السوأي) هنا ولا غير هنا مصدر ،  
هي مؤنث الأسوأ والمراد بها النار كما في  
المعجمات . ويقابلها : الحسنى .

٢١ - ص ٤٦١ وقال : « يا هامان ابن  
لي صرحاً » .

(بعضهم يضم النون كأنه أتبعه ضمة النون  
التي في (هامان) ، كما قالوا (مينتن)  
فكسروا الميم للكسرة التي في التاء ، وبينهما  
حرف ساكن فلم يحُلْ ، وكذلك لم يحُلْ  
الباع في قوله : (ابن لي) . اهـ

أثساءل : ما غناء هذا في بيان المعاني  
القرآن ؟ ثم متى كان انحراف اللسان

في كلمة مصدر قاعدة ، تؤيد انحرافاً في  
النطق بآية ؟ وظاهر بعد هذا أن المحتج له  
كلمتان والمحتج به كلمة واحدة ، وهذا فارق  
كاف .

وعيب هذا الكتاب عنايته بقراءات  
لاتعرف ، ومتى جهل قارئ القسراءة  
لم تجز روايتها بله الاحتجاج بها . وكان عمل  
الأخفش وأمثاله في عدم التزام منهج سليم  
قدوة غير صالحة لمن بعدهم حتى كثرت في  
كتبهم "الطم والرّم" ، وصاروا يحتجون  
بـ (مِيتِن) و (المِغِيرَة) و (ما أيطبه) وغيرها  
من سبق اللسان أو انحرافه (١) .

٢٢ - ص ٤٨٠ قال : ( ألا ترى أنهم يقولون  
(بدع) ولا يقولون (ودع) ولا يقولون  
(وذر) . ا هـ

أقول : بل قالوه في شعرهم ونثرهم  
ووردت بها قراءة صحيحة (ماودعك ربك  
وما قل) وحديث شريف « لينتهين قوم عن  
ودعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم »  
شعر لغير واحد مثل قول أبي الأسود :

ليت شعري عن حبيبي ما الذي  
غاله في الحب حتى ودّعه  
وقول الآخر :

وثمّ ودعنا آل عمرو وعامر  
أفرائس أطراف المثقفة السمر

وانجز ابن جنى على أذيال الأخفش فجعل  
القراءة شاذة وادعى أن (ودع) شاذة في  
الاستعمال مماتة . حتى جاء من المتأخرين من  
أصلح خطأه ونحطاً الأخفش فأثبتها في معجمه  
كصاحب (المصباح المنير) والمطرزي صاحب  
(المغرب) (٢) .

٢٣ - في ص ٤٩٩ : قال : ( « كبر مقتاً عند  
الله أن تقولوا مالا تفعلون » أي كبر مقتكم  
مقتاً ، ثم قال « أن تقولوا مالا تفعلون »  
أي قولكم ) . ا هـ

قلت : « إذا جعلت لهذا الكلام نسقاً  
أصبح : كبر مقتكم مقتاً قولكم ! جعل  
الأخفش الفاعل محذوفاً ، فقدره ، ثم جعل  
(أن تقولوا) بدلاً من هذا المحذوف ،  
أو الكلام واضح ولا فاعل (كبر) مذكور :  
كبر مقتاً قولكم ، فما الداعي للمحذف والتقدير  
والإبدال والبيان غنى عن كل هذا الالتواء ؟  
٢٤ - في ص ٥٠٥ : قال : ( « بأيكم المفتون »  
يريد : أيكم المفتون ) . ا هـ

قصد أن الباء زائدة ، وليست بزائدة ،  
والذي حمّله على هذا القول ذهاب خاطره  
إلى أن المفتون هنا اسم مفعول . وليس الأمر  
كذلك ، بل (المفتون) مصدر كالفتنة .  
والمعنى فستبصر ويبصرون بأيكم (تقع)  
الفتنة أي الابتلاء (٣) .

(١) انظر مثلاً على ذلك ص ٧٣٧ من كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأثير ، في كلامه على خلافهم  
في الف الوصل ( المسألة ١٠٧ ) .

(٢) المسألة مستوفاة في كتابي ( في أصول النحو ) ص ٣٣ فما بعد ، ومادة (ودع) في المصباح والمغرب .

(٣) مختار الصحاح ( فتن ) .

لمن عمل الألفيش كتابه معاني القرآن ؟

لو كان للكتاب مقدمة تبين الغرض من تأليفه ماورد هذا السؤال الذي بقي في ذهننا ماثلاً حتى آخر صفحة منه ، ومع هذا لانستطيع إجابة تقنعنا ، فبينما نراه في أوله ص ( ٣ - ٩ ) يفيض في بيان سقوط ألفات الوصل ( الرحمن الرحيم الحمد ) في النطق ، بعد إفاضة في أشياء تتعلق بألف ( اسم ) أكثرها لا يوضح معنى في النص ويجب أن يستغنى عنها في هذا المقام ، ولكنها ما يدرسها المتقدمون في علوم اللغة ، نراه في مواضع أخرى يبسط القول في أن الف ( أفعل ) لا تسقط ، ما يعرفه المبتدئون فيقول في قوله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » :

فقوله « أستجب » إنما هو ( أفعل ) ( كذا ) ، وهذه الألف سوى ألف الوصل ، ألا ترى أنك تقول ( أبيع ) فتجىء فيها ألف ( أفعل ) ، فهي نظير الياء والتاء في ( يفعل ) و ( تفعل ) تقطع كل شيء كان على ( أفعل ) في وصل أو قطع ( ص ٤٦٣ )

وحينما يتجاوز السورة لا يعاق عليها بشيء كسور ( الضمى ) و ( البينة ) و ( ألم نشرح ) ، كما لا يعلق على آيات كثيرة بشيء ، بحيث لا تجد السرد متصلاً في أرقام الآيات

وعلى هذا لا يمكن القطع بمستوى القارى الذى تصوره الألفيش حين عمل الكتاب ،

والأحتمال القريب أنه عمله دون منهج مع أن صناعته الغالبة التعليم ومنها مكسبه ، وهو يصرح بهذا عرضاً حين عرض ص ٤٤ إلى اجتماع الهمزتين في مثل قوله تعالى : « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » فقال : ( إذا خففت « الهمزة » الآخرة جعلتها بين بين : والذى نختاره تخفيف الآخرة ؛ إلا أنا نحققهما في التعليم كليتهما ، نريد بذلك الاستقصاء ) .

\* \* \*

وبعد ، فالكتاب في موضوعه غير مغن ، وهو إلى الخوض في النحو والصرف أقرب منه إلى شرح المعنى ، بل يكاد يكون تعليقات نحويه خطرت له وهو يقرأ ، وكثير ما خاض فيه غير واضح ، وبعضه غير مسلم ، ويستشف الممعن فيه ضعفاً في علوم القرآن واللغة والشريعة أحياناً ، إلا أن استشهاده بالشعر كثير ، وإن كان أحياناً يذكره لمناسبة وهمية .

قيمة الكتاب تاريخية محضة ، فهو دون كتاب أبي عبيدة ( مجاز القرآن ) الذى ألف قبله ، ودون كتاب الفراء الذى ألف بعده ، إذ هما إلى مطابقة محتوياتهما العنوان ( معاني القرآن ) أقرب ، وهو عن المطابقة أبعد . وفي كل الأحوال لا أسمع لنفسى - مع بعض الخطأ في تفسيره - أن أقول في



الأخفش ما قال فيه ثعلب : ( أوسع الناس علماً ) ونحن نعلم أن ثعلباً المسكين ليس في حيث يحكم ، ولا أن أذهب فيه مذهب أبي حاتم السجستاني - حين قال :

« ولم يدر الأخفش ما معنى نقدر ( يعني في قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه . . . » )<sup>(١)</sup> وذهب إلى موضع القدرة ، إلى معنى ( فظن أن يفوتنا )<sup>(٢)</sup> ، ولم يعلم كلام العرب ولغاتها... ولو علم أن معنى ( نقدر ) : نضيّق لم يخبط هذا الخبط . قال : ولم يكن عالماً بكلام العرب . . . »<sup>(٣)</sup> :

لا هذا ولا ذاك ، لأن الحق وقف بين القولين ، وهو إلى مذهب السجستاني أقرب ، والله أعلم .

وهل من جناح في أن أختم كلمتي بنكتة زل بها لسان الأخفش عفوا ، دلت على ظرفه وكانت أصدق تعليق على ما يتكلفه بعض الناس ، قديماً وحديثاً في تسويغ الأخطاء ، قال ص ٣٧٥ :

« وبلغنا عن الأعمش قال : « بمُصْرَحِيَّ » فكسره ، وهذه لحن لم يسمع بها من أحد من العرب ولا من أهل النحو . لقد ظرف جداً في كلماته الثلاث الأخيرة ، ولم يهج أحد أهل النحو بمثل هذا الظرف ، وإن كان الأخفش ذكر أهل النحو ونسي نفسه ؛ رحمه الله وتجاوز عنه . »

سعيد الأفغاني  
عضو المجمع المراسل من سورية



(١) سورة الأنبياء ٢١/ ١٥٣

(٢) لم يذكر السجستاني كتاب الأخفش الذي نقل منه . أما الذي في ( معاني القرآن ) هذا فشيء آخر - انظر ص ٤١٢

(٣) نهذيب اللغة للأزهري ٩/ ٢١ . وقد عقب الأزهري بقوله : فأما أن يكون قوله ( أن لن نقدر عليه ) من القدرة فلا يجوز ، لأن من ظن هذا كفر ، والطعن شك ، والشك في قدرة الله كفر ، وقد عصم الله أنبياءه من ما دى ، إليه هذا المأول ، ولا يسأل مثله إلا الجاهل بكلام العرب ولغاتها . اهـ

# تعاريف و نقد

# «لسان العرب» كنز لعرب في تحقيق وإخراج جديد لرؤسائز محمد عبد الغنى حسن

حاج

أصدر الأديب الناقد  
البريطاني الكبير :

« صمويل جونسون » في سنة ١٧٥٥ م  
معجمه المشهور في اللغة الإنجليزية ، مبتدئا  
تدوين ألفاظها المستعملة منذ عصر الملكة  
اليزابيث . سنة ١٥٥٠ م حتى عصره . . . عد  
عمله هذا زيادة عظيمة في الأدب الإنجليزي  
وأثنى عليه اللورد « تشستر فيلد » في مقالتي  
مشهورتين في الفكر البريطاني ، مع أن  
هذا المعجم لم يزد حجمه على مجلدين اثنين

فماذا نقول نحن العرب وقد صنف  
« جمال الدين بن مكرم » - المعروف بابن  
منظور - في القرن الثامن الهجري :  
الرابع عشر الميلادي ، معجمه اللغوي  
الثمين : ( لسان العرب ) قبل معجم « جونسون »  
الإنجليزي بأربعة قرون ؟ وماذا نقول أيضا  
إذا عرفنا أن معجم ( لسان العرب ) قد  
بلغ حجمه عشرين مجلدا ضخما ؟ وأنه  
جمع فيه ألفاظ اللغة العربية منذ العصر  
الحاهلي حتى وقته ، وأنه حشد فيه للاستشهاد  
اللغوي كثيرا من آيات القرآن الكريم ،

والحديث النبوي ، والشعر العربي الذي  
يستشهد به على صحة المعاني التي أراد  
تسجيلها في معجمه ، حتى بلغت عدة  
الأبيات والأراجيز فيه ألفا ، وبلغت  
عدة الشعراء والرجازين فيه بضع مئات  
ألفت فيهم الدراسات المعاصرة ؟ .

الحق أنه يحق لنا - لو يقام معرض  
للفخار - أن نفخر بعمل « ابن منظور »  
العظيم الواسع في خدمة لغة الضاد ، وتقييم  
شرايدها وأوابدها وكل لفظة فيها ، منذ  
أيام إمرئ القيس ، والنابعة ، وزهير ،  
وقس بن ساعدة ، وأكثم بن صيفي ،  
والحجاج وغيرهم ، إلى زمان المصنف

ولم يكن عجيبا على صاحب « اللسان »  
أن ينتج مثل هذا العمل الكبير ، فقد شارك  
الرجل في تزويد المكتبة العربية بحوالي  
خمسمائة كتاب من وضعه ، ما بين مؤلف  
ومختصر ومهذب ... والحق أن « ابن منظور »  
كان مولعا باختصار كتب غيره وتلخيصها  
وتقديمها ، قدر اهتمامه وولوعه بالتأليف ،  
فقد اختصر كتاب « الأغاني » المشهور للأصفهاني



واختصر « الذخيرة » لابن بسام واختصر « تاريخ دمشق » لابن عساكر ، واختصر « تاريخ بغداد » للسمعاني ، واختصر « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، واختصر « يتيمة الدهر » للثعالبي . . . ولن نحصر هنا - في مجال ضيق كل مختصراته النفيسة لكتب سابقه .

وبارك الله في عمر « ابن منظور » الذي زاد على ثمانين عاما ، فاستغل طول عمره كما استغل جمال خطه ، وقلة هموم حياته في نسخ كتب السابقين عليه . ومن هنا كانت حياته إقامة سعيدة وصحبة مباركة للكتب : إما نسخا أو اختصارا أو تأليفا .

وقد رزق معجم « لسان العرب » على الرغم من ضخامة حجمه أو انبساط مداه بعض الحظ في إعادة طبعه منذ طبعته الأولى على مطابع بولاق الأميرية سنة ١٨٨٢ وفي تلك الطبعة ظهر جهد جليل من المصححين والمحققين بعد جهد المصحح الرائد الشيخ نصر الهوريني .

وفي سنة ١٩٥٥ م أعادت طبعه دار صادر وبيروت ، فأصدرته في خمسة وستين جزءا تحتوي كل صفحة نهري - أو عمودين - كبيرين . وهي طبعة مبينة ، إلا أنها لم تبلغ الكمال المنشود .

وجاءت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بعد ذلك بسنوات فنشرت « اللسان » مصورا عن طبعة بولاق

الأولى . فلم يخرج هذا الصنيع عن كونه تكرارا لعمل قديم .

وقبل طبعة صادر وبيروت - وفي سنة ١٩٣٦ - بالضبط - حاول أديب ناشر مصري - هو الأستاذ عبد الله اسماعيل الصاوي - أول محاولة لإصدار « لسان العرب » ؛ على ترتيب الأحرف الهجائية في أوائل الكلمات ، لا في أواخرها كما هي طريقة اللسان . ونجحت المحاولة العصرية التي جعلت لفظة ( أكل ) و ( أرم ) و ( بذل ) و ( حقن ) تأتي في الأجزاء الأولى بدلا من مجيئها - على الطريقة القديمة - في الأجزاء الأخيرة . وقد صدر من هذه الطبعة المرتبة ترتيبا جديدا خمسة أجزاء صغار ، ثم حالت ظروف خاصة دون إكمال ذلك العمل ، والمضى « بلسان العرب » إلى نهايته .

ومن سنوات معدودة أصدرت « دار لسان العرب » ، بيروت طبعة جديدة رتببت المواد اللغوية فيها الترتيب الجديد على حروف الهجاء ، وتحتوي كل صفحة على ثلاثة أنهر . وصدرت هذه الطبعة في ثلاثة مجلدات ضخام ، وقد ألحق بذيل كل مجلد ثبوت بمصطلحات العلوم والفنون .

وجاءت « دار المعارف » أخيرا بمصر منذ سنتين ، فتصدت لإصدار « لسان العرب » على صورة جديدة ، وبمنهج

جديداً ، وتحقيقى وتمقيب جديداً  
 فعمدت إلى ضبطه كله بالشكل الكامل  
 مع ما فى ذلك من عناء — تحقيقاً للسلامة  
 اللغوية ، ورتبته وفق الحروف الهجائية  
 لأوائل الكلمات لا أواخرها ، جرياً على  
 طريقة المعاجم الحديثة ، وأضافت إلى متن  
 الكتاب هوامش حافلة بالتحقيق ، والمقابلة  
 والاستدراك ، والتنبيه على ما وقع فى  
 الطبعات السابقة من أخطاء وحرصت على  
 استكمال كثير من النقص ، وتصحيح  
 الخطأ وملء البياض الذى وجد فى  
 الذى ظهر من طبعات ، وعمدت إلى مقابلة  
 النسخة المعتمدة أصلاً على المصادر التى  
 استقى منها « ابن منظور » مادة معجمه ،  
 وعلى دواوين الشعر الذى استشهد به صاحب  
 « اللسان » :

والحق أن ذلك كله عمل يأخذ من الجهد  
 والمراجعة وإدانة النظر فى المراجع والمصادر ،  
 والمظان وغيرها مالا يوفى عليه إلا القادرون ،  
 ولا يعرفه إلا المكابدون . ومن هنا عمدت  
 دار المعارف إلى ثلاثة من الرجال ملأهم  
 الله همة ، وعزماً ، وصبراً على البحث ،  
 وطول نظر فى المصادر ، وكثرة تقليب  
 للدفاتر ، وإصراراً على تنفيذ الغاية ،  
 وبإوغ النهاية . كما رزقهم الله « الشك »  
 فى كل كلمة « والتوقف » عند كل لفظة .  
 وقد رأيتهم بعينى فى محراب من محاريب  
 « دار المعارف » عاكفين على عملهم ،

مكبين على أوراقهم ، لا يشغلهم شاغل  
 ولا يحول دون إنجازاتهم حائل ، وهم  
 الأساتذة : عبد الله على الكبير ، ومحمد  
 أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلى .  
 وقد طبعت أسماؤهم على أولى صفحات  
 اللسان ، تسجيلاً لفضلهم وتخليداً لذكورهم  
 وعلى الرغم مما بذله هؤلاء المحققون من  
 جهد فى التحقيق والتصحيح وإكمال  
 النقص والضبط — مستعينين فى ذلك  
 باجتهاداتهم الخاصة ، وبقرائاتهم الدائمة ،  
 وبتابعاتهم لتصحيحات المرحوم أحمد  
 تيمور باشا التى نشرها محمد عبد الحواد  
 الأصمعى ، وتصحيحات زميلنا المجمعى  
 الأستاذ عبد السلام محمد هارون — على الرغم  
 من ذلك وقعت فى هذه الطبعة الحليلة  
 أوهام . كنا نود لو خلصت منها ، وتنزهت  
 عنها ، ولكنها جاءت دليلاً على جملة  
 النقص فى البشر ، وشاهداً جديداً يتجدد  
 على أن العصمة لله وحده .

ومن توقفتى واستدراكاتى على هذه  
 الطبعة بعض نماذج وقفت عندها ولم أشأ  
 حصرها ، فإن ذلك قد يبعد هذه  
 الكلمة عن غرضها وينشئها عن قصدها  
 ولكنها أمثلة لا أود — بحال — أن تشين  
 هذا الوجه الجميل ، لهذا العمل الأدبى  
 اللغوى الجليل :

\* جاء فى صفحة ٢٥٨٥ اسم أوس بن حُجْر  
 بضم الحاء ، وسكون الجيم ، وهو خطأ

والصواب : حَجَرَ بفتحين ( انظر الشعر  
والشعراء لابن قتيبة ) وتبصير المنتبه  
لابن حجر ج ١ - ٤١٢ ، والأعلام للزركلي .

جاء في صفحة ٢٥٢٤ ( وهو أصور )  
على وزن أفعال وهو خطأ وصوابه :  
( أصور ) على وزن أفعل أى مائل  
العتق . فالألف زائدة . وأرجو أن  
تكون من أخطاء الطبع .

جاء في صفحة ٢٥١٨ هذا البيت الآتي  
مشكولاً هكذا : -

فَأَقْسَمْتُ لَا أُحْسِلُ إِلَّا بِصَهْوَةٍ  
حَرَامٍ عَلَى رَمْلِهِ وَشَقَائِقِهِ

بضبط الميم من ( حرام ) بكسرتين على  
توهم أنها صفة لصهوة . وهو خطأ بين  
فهى يجب أن تضبط بالرفع : أى بضمتين ،  
على أنها خبر للمبتدأ : رمله ، أو أنها  
مبتدأ خبره ما بعده .

جاء في صفحة ٢٢٩٢ هذا البيت التالى  
مضبوطاً بالشكل هكذا :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا  
وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرَمِ

بضم النون من كلمة ( نزال ) ، على توهم  
أنها جمع ، والصواب أنها ( نزال )

بفتح النون لأنها صيغة مبالغة من الفعل  
( نزل ) وليست جمعاً لنزال .

في صفحة ٢٢٥٢ ورد بيت الشاعر  
«القطامي» هكذا :

لَعَنَّ الْكَوَاعِبُ بَعْدَ يَوْمٍ وَصَلْتَنِي  
بشرى الفرات وبعد يوم الجوسق  
بتاء المخاطب ونون في الفعل : ( وصلتنى )  
والأصح والأنسب : «وصلتنى» بنون النسوة  
وبعدها نون الوقاية . وكان يجب إثبات  
هذه القراءة في الأصل .

جاء في صفحة ٣١٥٢ اسم عبد الله  
ابن الزبير<sup>(١)</sup> الشاعر الأسدي بفتح الزاى  
مع «ال» التعريف وقد جاء هذا الاسم في  
«طبقات» الشعراء لابن سلام بدون (ال)  
كما جاء في «حماسة أبي تمام» وفي «تبصير  
المنتبه» بال . . . فليت المحققين للسان  
العرب أثبتوا هذا الفرق وحققوه .

ورد في صفحة ٢٣٠٢ هذه العبارة :  
( وأنشد عمرو بوملقط ) ، فمن هو ( بوملقط  
هنا ؟ ) أهو مغربي ؟ لا : إنه شاعر  
جاهلي ، وصواب اسمه : عمرو بن ملقط  
ويكشف عنه في بعض كتب الطبقات  
والتراجم تحت اسم عمرو بن ثعلبة .  
في صفحة ٢٥٢٠ كان يجب على المحققين  
الوقوف عند بيت :

أَظْلُومُ إِنْ مَصَابِكُمْ رَجَلًا  
أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةَ ظَالِمٍ

( ١ ) هو بالطبع غير «عبد الله بن الزبير» - بضم الزاى الذى بويح بالخلافة سنة ٦٤ هـ بعد موت يزيد بن معاوية .



والإشارة إلى أنه من شواهد النحو على إعمال المصادر عمل الفعل والإشارة كذلك إلى أن ابن هشام النحوي قد جارى «الحريري» خطأ في نسبة البيت إلى الشاعر «العرجي» مع أنه للمحارث بن خالد المخزومي ، كما نبه على ذلك «ابن بري» في حواشيه .

\* جاء في صفحة ٢٣٠٦ الشطر الآتي محكياً على لسان «الشاعر» ، وألحق أن الشطر المحكى وهو : ( ومن عضة ما يثبتن شكيرها ) هو مثل عربي قديم أورده « أبو هلال العسكري » في جهرته ، كما أورده الميداني في « مجمع الأمثال » ، وإن كان ابن سلمة لم يورده في كتابه « الفانخر » . ولفظ المثل : ( في عضة ما يثبتن شكيرها ) وقد جاء عند الميداني في باب الفاء . ويضرب في شبه الولد بأبيه .

\* في صفحة ٢٤٤٦ جاء شطر لبیت من شعر حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو : ( يبارين الأعنة مصعدات ) . وكنت أود من المحققين إكمال البيت كله في تعليقاتهم بالهامش كعادتهم في إيراد أنصاف الأبيات ، إفادة للقارئ ، وطرذاً للباب على نسق واحد والبيت هو :

يبارين الأعنة مصعدات

على أكتافها الأسل الظماء

\* في صفحة ٢٢٤٦ ما عزي إلى ابن الأثير صاحب « النهاية » من أنه ذكر سورة

« المؤمن » بدلا من سورة « المؤمنون » غير صحيح . فالحق أن ابن الأثير ذكر ( المؤمنون ) ، ولكن النساخ حرفوها إلى « المؤمن » . وفرق بين السورتين . ( انظر النهاية ج ٢ - ٤٦٥ ) .

صفحة ٢٢٥٧ جاء قول صاحب اللسان : ( وربما زادوا في الشيع نوناً ، وأنشد : أحذروها منقطعا شسعى

فأدخل النون ) . وكان يجب على المحققين الأفاضل التنبيه والتذية في الهامش - كعادتهم - على أن النون الزائدة هنا مشددة لا مخففة ، ولو كانت مخففة لخففت قبل ياء المتكلم .

\* جاء في صفحة ١٩١٢ بيت الشاعر ابن الأحمر مضبوطاً بالشكل هكذا :

فكُنَّا وهم كائني سبات تفرقا  
سوى ثم كانا منجداً وتهامياً

بضم الميم من الضمير ( وهم ) . وهذا خطأ في الضبط يكسر وزن البيت ، والصواب إسكانها .

\* جاء في هامش صفحة ٢٩٤٨ هذا الشطر : ( مرسعة وسط أفاغرة ) ، وهو خطأ أظنه جاء من منضد الحروف بالمطبعة تقدماً وتأخيراً والصواب : « أرفاغه » جمع رفغ

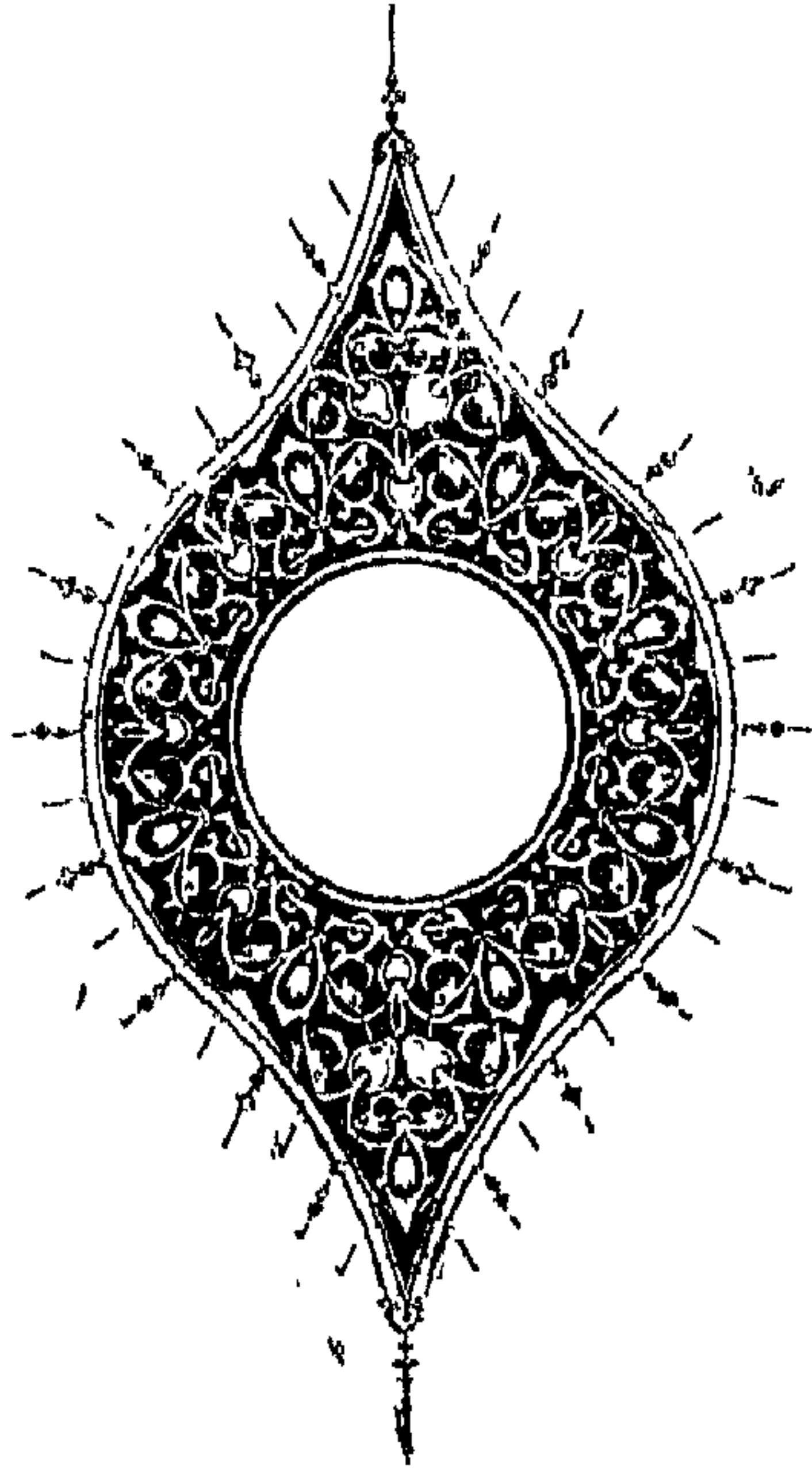
\* ورد في صفحة ١٨٥٥ هذا البيت الآتي لشاعر قديم غير معروف :

يتقارضون إذا التقوا في موطن  
نظرا يزيل مواطن الأقدام

ورواية (يزيل) هنا غير مناسبة ولا مقبولة  
ولو أنها جاءت هكذا في « شرح الحماسة »  
للمرزوقي ، وفي « البيان والتبيين » للجاحظ  
و « الصناعتين » لأبي هلال . وأفضل عليهن  
رواية نسخة كوبريلي المخطوطة من « بيان »  
الجاحظ ، وهي : ( يُزَلّ ) من الفعل :  
أزَلَّ ، لا من الفعل : أزال . وبعد ! فقد  
رأيت من الوفاء « للسان العرب » ؛ في طبعته  
الجديدة الرائعة ، ومن البر للقرم الذين  
أصدروه ، وللثلاثة الذين حققوه ، أن أخص  
به هذا الفصل تعريفاً سريعاً به ، وعرضاً

وجزأله ؛ وتحية لمعجم عربي جامع ، وكثر  
لغوى ثمين ، رأى القائمون على أمر نشره في  
دار كبيرة أن يصدروه في ثوب يلائمه ،  
وفي حلة من التحقيق تليق به ، كما رأى  
القائمون على النشر في دار بريطانية كبيرة  
أن يعيدوا لإصدار معجم « صمويل جونسون »  
للغة الإنجليزية في بزة جديدة ، وفي هذه  
الأيام بالذات ، وصلاً ما بين ماضي التراث  
وحاضره ، ومداداً لسلسلة الفكر الإنساني  
الحالد على توالي العصور :

محمد عبد القنى حسن  
عضو المجمع







# من أنبياء المجمع

### تجديد انتخاب نائب رئيس المجمع :

جدد مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في غرة صفر سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٨ من ديسمبر سنة ١٩٨٠ م انتخابه الدكتور أحمد عمار نائبا لرئيس المجمع لمدة أربع سنوات جديدة .

### تجديد انتخاب الأمين العام للمجمع :

كما جدد مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٣٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م انتخابه الدكتور محمد مهدي علام أمينا عاما للمجمع لمدة أربع سنوات جديدة .

### انتخاب عضو جديد للمجمع :

فاز الدكتور توفيق الطويل بعضوية المجمع في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ عباس حسن ، وذلك في الجلسة التي عقدها مجلس المجمع في ٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ الموافق ١٢ من يناير سنة ١٩٨١ م .

### فوز الدكتور أحمد عمار بجائزة الدولة التقديرية :

فاز الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع بجائزة الدولة التقديرية في العلوم لعام ١٩٨١ م .

### فوز الأستاذ عبد السلام هارون بجائزة الملك فيصل العالمية :

كما فاز الأستاذ عبد السلام هارون عضو المجمع بجائزة الملك فيصل العالمية لتحقيق التراث العربي .

### خبراء جدد للجان المجمع :

وافق مجلس المجمع على اختبار خبراء جدد لبعض لجان المجمع وهم السادة :

- الدكتور فؤاد أبو حطب الأستاذ بكلية التربية بجامعة عين شمس
- والدكتور ممدوح الصمدني المدرس بكلية التربية بجامعة الأزهر ( لجنة عام النفس والتربية )
- الدكتور أحمد مدحت شمس الدين أستاذ الكيمياء بالمركز القومي للبحوث ( لجنة الكيمياء والصيدلة )
- الدكتور شحالة آدم المدين السابق لهيئة الآثار ( لجنة التاريخ )
- الدكتور البدر أوى زهران المدرس بكلية الآداب ببيوهاج ( لجنة اللهجات )

● الدكتور عبد الحكيم أحسان أستاذ الآداب العربى بكلية دار العلوم  
( لجنة الآداب )

● الدكتور سعد الدين مصطفى الأنصارى الأستاذ بكلية الهندسة  
بجامعة الأزهر ( لجنة النفط لجنة الجيولوجيا )

● الدكتور محمود فهمى زيدان الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية  
والدكتور صلاح قنصوه الأستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة  
والأستاذ سعيد زايد المدير العام السابق للمجمع  
( لجنة الفلسفة )

● الدكتور محمد بهير أنسى الأستاذ المنتدب بكلية السياحة  
( لجنة الفاظ الحضارة )

### صلات المجمع الثقافية :

●● ورد الى المجمع كتاب من مدرسة نوباريان الأرمينية يعرض فيه على  
المجمع كتابا نشرته أكاديمية العلوم بأرمينية يضمن كلمات عربية  
دخات اللغة الأرمينية قبل الفتح العربى لأرمينية . وقرر المجلس  
بجاسته المنعقدة فى ١٠/١١/١٩٨٠ احواله على لجنة الالفاظ  
والأساليب .

●● بعث الأستاذ اسماعيل شوقى كتابا الى المجمع بشأن علامات الترقيم  
وقرر المجلس احواله على لجنة تيسير الكتابه العربيه .

●● كما بعث الأستاذ محمد الكسار الى المجمع بكتابه « المفتاح لتعريب  
النحو » يطلب رايه فيه . وقرر المجلس فى جلسه المنعقدة فى  
٢٣/٣/١٩٨١ احواله الكتاب على لجنة الأصول .

●● قام الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع بمثيله فى الاجتماع السنوى  
للاتحاد الدولى للأكاديميات الذى انعقد فى بودابست فى المدة من ١٤  
الى ٢٠ من يونيه سنة ١٩٨١ .

●● بعث مكتب تنسيق التعريب فى الرباط بتوصيات الندوة التى عقدها  
بشأن « توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلميه الجديدة » ، وقد  
أخذت فيها بأكثر ما أصدره مؤتمر المجمع فى الدورة الخامسة والأربعين  
من توصيات فى هذا الشأن .



## مسابقتنا المجمع

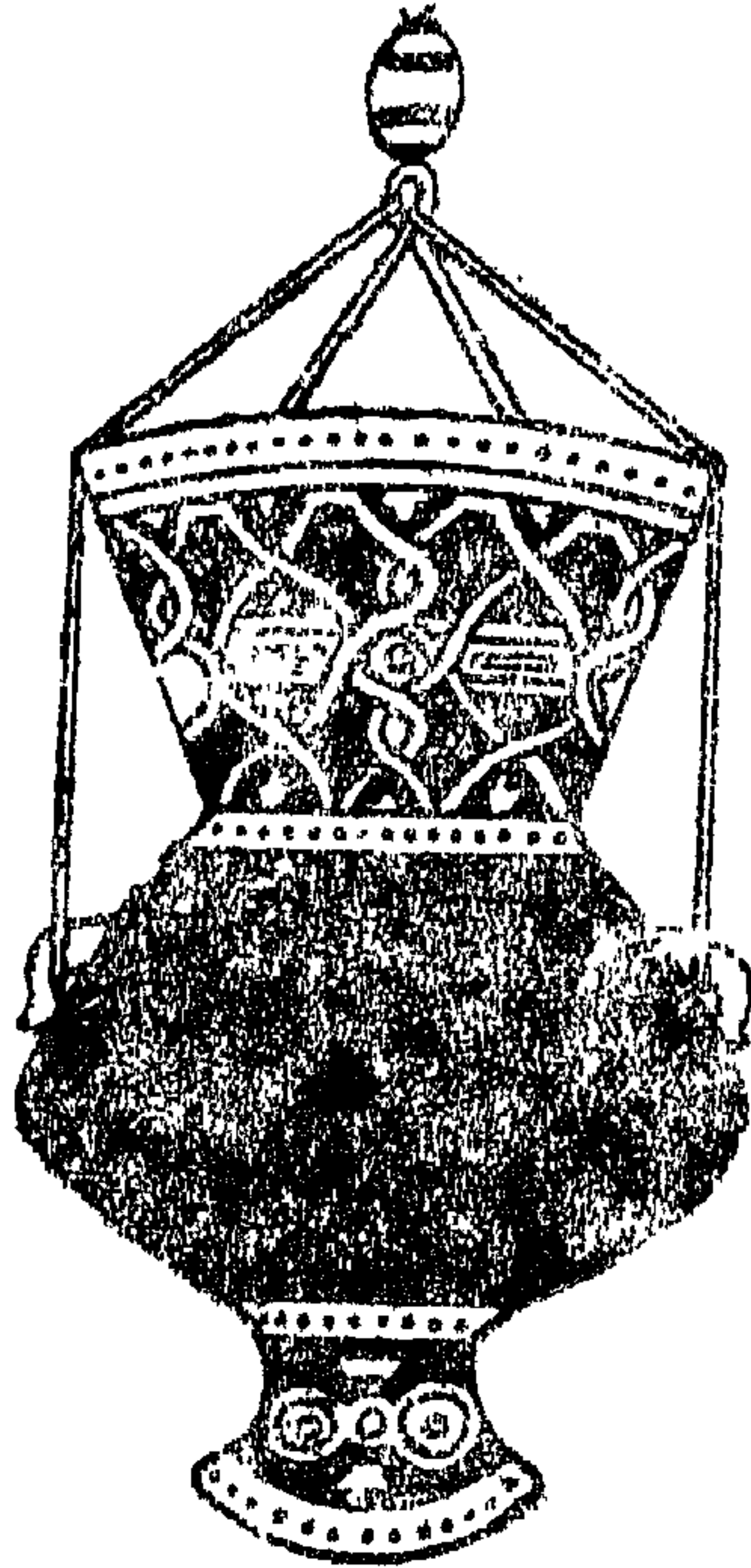
( أ ) مسابقة احياء التراث العربى :

فاز بجائزة المسابقة لعام ١٩٨٢/١٩٨١ كتاب « ضائر الشعر »  
لابن عصفور الاشبيلى . بتحقيق الأستاذ السيد ابراهيم محمد .

( ب ) المسابقة الأدبية :

فاز بالجائزة الأولى لمسابقة عام ١٩٨١/٨٠ الأستاذ صلاح عبد العزيز  
عن كتابه « الشباب فى الأدب العربى - بحث فنى » وهو موضوع  
المسابقة .

وأعلنت لجنة الأدب مسابقة المجمع الأدبية لعام ١٩٨٢/٨١ م ،  
وموضوعها « الشيخ مصطفى عبد الرازق مفكرا وأديبا » .





طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة

مصطفى حسن على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٨٤١٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية  
١٥٧-١٩٨٢-٢٠٠٠





